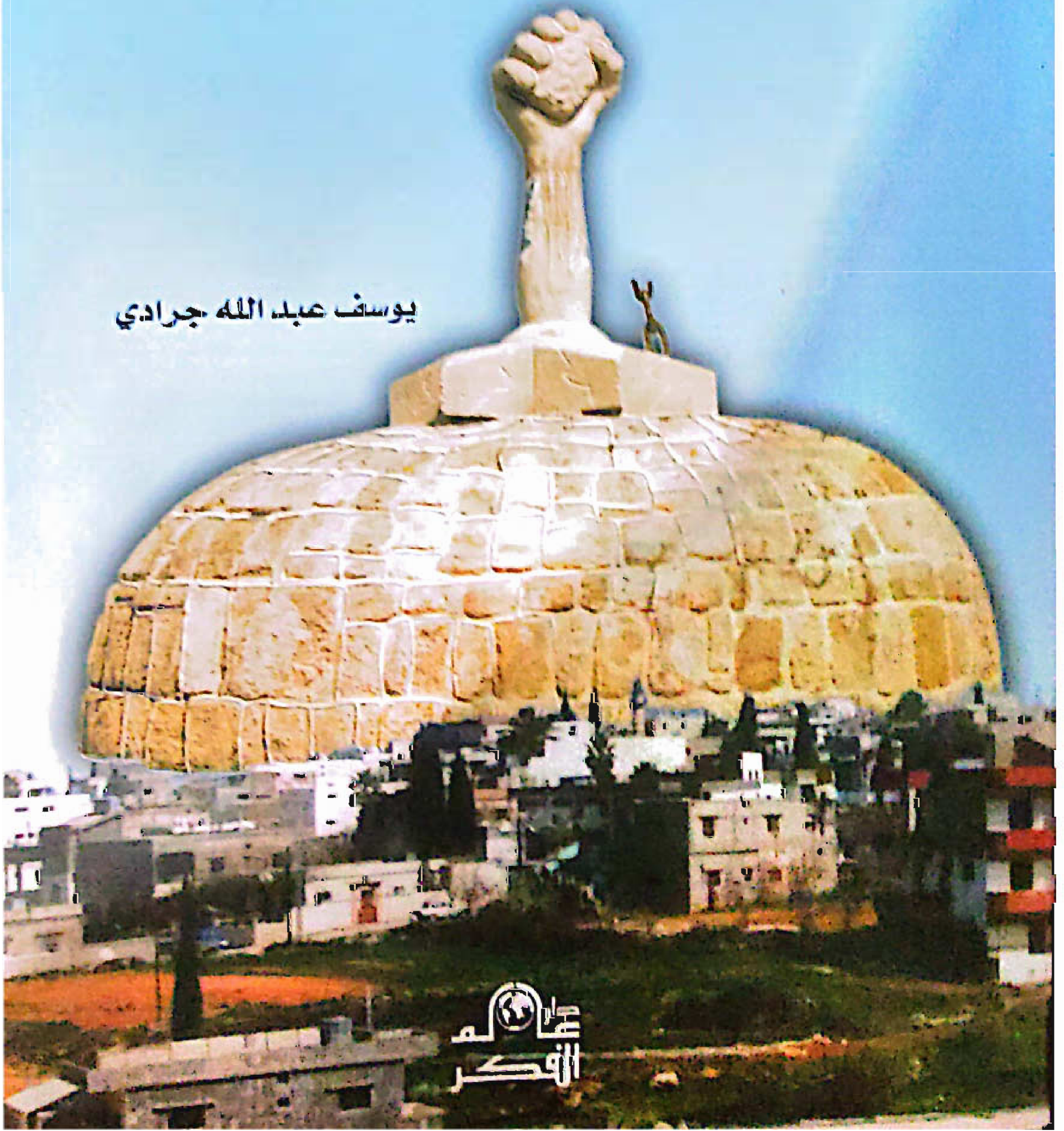
بلدة معركة

اسم على مسمى

يوسف عبد الله جرادي



المُحتَويات

مُقدِّمة

أنْ تكتب نفسك شعراً أو نثراً. تضحك أو تبكي هو أمر سهل. أما أن تكتب غيرك، هنا تكمن المسؤولية وبالأخص عندما تتناول الكتابة تاريخ بلدة كبيرة، لها تاريخ عريق في الماضي وباهر في الحاضر، وقد كانت لقرونٍ مركز مقاطعة عُرفت بساحل «معركة» وشهدت أحداثاً جساماً ماضياً وحاضراً فلقبت بأسماء مضيئة إلى جانب اسمها كـ «نجمة الصبح» و«أم القرى» و«بوابة التحرير». وعلى الرغم من هذا كله فالمصادر نادرة شأنها شأن كل بلاد عاملة لما شهده هذا الجبل من ويلات وحروب، تعرّضت فيه قراه للحرق والدمار والتهجير والهجرة. ما توافر لدينا قليل جداً، ولولا أنني تنبّهت لعدد من الكبار الواعين الذين زوّدوني بمعلومات وافية لأكثر من مئة عام بالمشافهة عن آبائهم وأجدادهم لما كنت أقدمت على الكتابة. لقد كانت فرصة ذهبية لي عندما عزمت وبكل جرأة وشجاعة على خوض غمار هذا البحر المتلاطم الأمواج في ليل شديد الظلمة، وكنت كلما واجهتني متاعب، وما أكثرها، كنت أقول: المتاعب أن يضيع قرن آخر يضاف إلى قرون منسية أو مجهولة فعلي أن أبدأ ولو من هذه اللحظة.

وهكذا كان... وقد نسيت تعبي عندما وجدتُ بين يديّ أوراقاً كثيرة، جمعتها من مقابلات أجريتها أو أخبار قرأتها في كتب قديمة وحديثة وفي مجلات وصحف، فأحسست برضى نفسي وضميري وأني أوجدت شيئاً قد يكون منطلقاً لغيري في استكمال البحث والتنقيب والمتابعة.

لقد فرغت من كتابة هذا السفر في شهر آذار عام ١٩٩٠م، بعد عامين من البحث في بطون الكتب ومن المقابلات مع كبار السن في بلدتي وقد فاقوا العشرة، ومن زيارة عيون الماء والأودية والمغاور والآثار البارزة لمواقع المَزَارع والبيوت المدمرة والمقابر الدارسة ومن عهود قريبة وأخرى قديمة بيزنطية ورومانية. لقد عملتُ على اختزال أسماء كثيرة لعبت أدواراً غير لائقة يدفعها إليها الإقطاع، فارتأيت حذفها للنواحي الفنية.

إن الغاية القصوى من كتابة هذا السفر، إلى جانب لملمة التراث وتدوينه وحفظه من الضياع الذي هو بمثابة الهوية، كشفٌ للحقائق والمواقف الحرّة التي رفضت الذلّ والإستكانة، وساهمت خلال مراحل متلاحقة في رفع الصوت عالياً في وجه مستبد محليّ أو محتل غاشم واظهارها جلية لوحة مقدسة بين أيدي أجيال المستقبل وتعرية الذين سبّبوا ظلماً وقهراً لأهلنا فرموهم في مجاهل الفقر والعوز، وحرموهم من مزاولة حياتهم الطبيعية فأفسدوا عليهم تربية أولادهم وتعليمهم.

لا يسعني إلا أن أشكر الذين كان لهم الفضل في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، لا سيما العلاّمة العَلَم المجتهد الأكبر الشيخ إبراهيم سليمان الذي فتح لي مكتبته الفريدة من نوعها والتي تضم أكثر من ثلاثة عشر ألف مجلد إضافة إلى تشجيعه الدؤوب.

والصديق الدكتور حسين زيدان الذي فتح لي مكتبته ووضع تحت تصرفي كل إمكانياته العلمية والثقافية.

وأشكر كل من ساهم ولو ببسمة أو أطلعني على ورقة قديمة أو روى لي خبراً عن حادثة. وشكري الكبير إلى الذين رووا لي الأحداث بكل تجرد اخص بالذكر السيد محمود جواد خليل والحاج موسى عبدو طراد والحاج عبد حجازي والحاج يوسف حسين حجازي والحاج علي فرج و«أبو علي» محمد عتريسي والسيد محمد إبراهيم خليل والحاج أحمد مصطفى والحاج خليل إبراهيم سعد والحاج أحمد عيد!

وأشكر الحركة الثقافية في لبنان لدعوتها لمحاضرة حول الكتاب في شباط ١٩٩١ في «معركة»، ومجلة «العواصف» لنشرها بحثاً عن الكتاب في ٤ آذار ١٩٩١، وأشكر تلفزيون MTV لبثه مقابلة أجريت معي حول «معركة والكتاب» يوم السبت في ١٦/ ٥/ ١٩٩٤، وجميع الإذاعات المحلية في صور.

وشكري الخالص لأخي وصديقي الأستاذ بلال شراره الذي طالما طلب مني الكتاب ولو لبيته لطُبع قبل هذا الأوان.

الفصل الأول

الأرض والسكان وحياة القرية

«معركة في التسمية»

ذُكر اسم بلدة «معركة» في مناسبات عديدة.

- بعد أن فتح الملك الأشرف خليل بن قلاوون عكا سنة ٦٩٠هـ - ١٢٩١م أوقف على قبر أبيه في القاهرة. قرية معركة من ولاية صور[١].

- قسمت بلاد الشام بعد خضوعها للمماليك إلى ست وحدات إدارية، أُطلق على الوحدة اسم «مملكة» وقد كانت «معركة». تشكل جزءاً من ولاية صور إحدى ولايات مملكة صفد[٢].

وفي زمن الحكم العثماني، ظهرت بعض الأسر أمثال الأسرة الوائليه وأسرة بنو سودون وأسرة آل شكر السادة في ساحل معركة[٣]...

---

(١) طه ثلجي الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، ص ١٦٢؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨ ص١٢١ - ١٢٢؛ المقريزي، السلوك، ص ٧٦٩.

(٢) الطراونة، المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، طبع اسطنبول، ص ١٤٣، ابن طولون، رسائل ابن طولون التاريخية؛ على الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ٢٠٥ عن تاريخ الشهابي وصالح بن يحيى،

كانت بلاد بشارة أو عاملة زمن الحكم العثماني تقسم إلى قسمين رئيسين: بلاد بشارة الشمالية وبلاد بشارة الجنوبية ويفصل بينهما نهر القاسمية. فأما الشمالية فكانت تقسم إلى خمس مقاطعات وهي: بلاد الشقيف، أقليم التفاح، أقليم الشومر، مقاطعة جزين ومقاطعة جبل الريحان.

وأما الجنوبية فكانت تقسم إلى أربع مقاطعات وهي: مقاطعة تبنين، مقاطعة هونين، مقاطعة ساحل قانا ومقاطعة ساحل معركة(٤).

يروي الباحث عفيف بطرس مرهج أنّ أصل اسم بلدة «معركة» يعود إلى المعارك العربية التي خاضتها هذه البلدة.

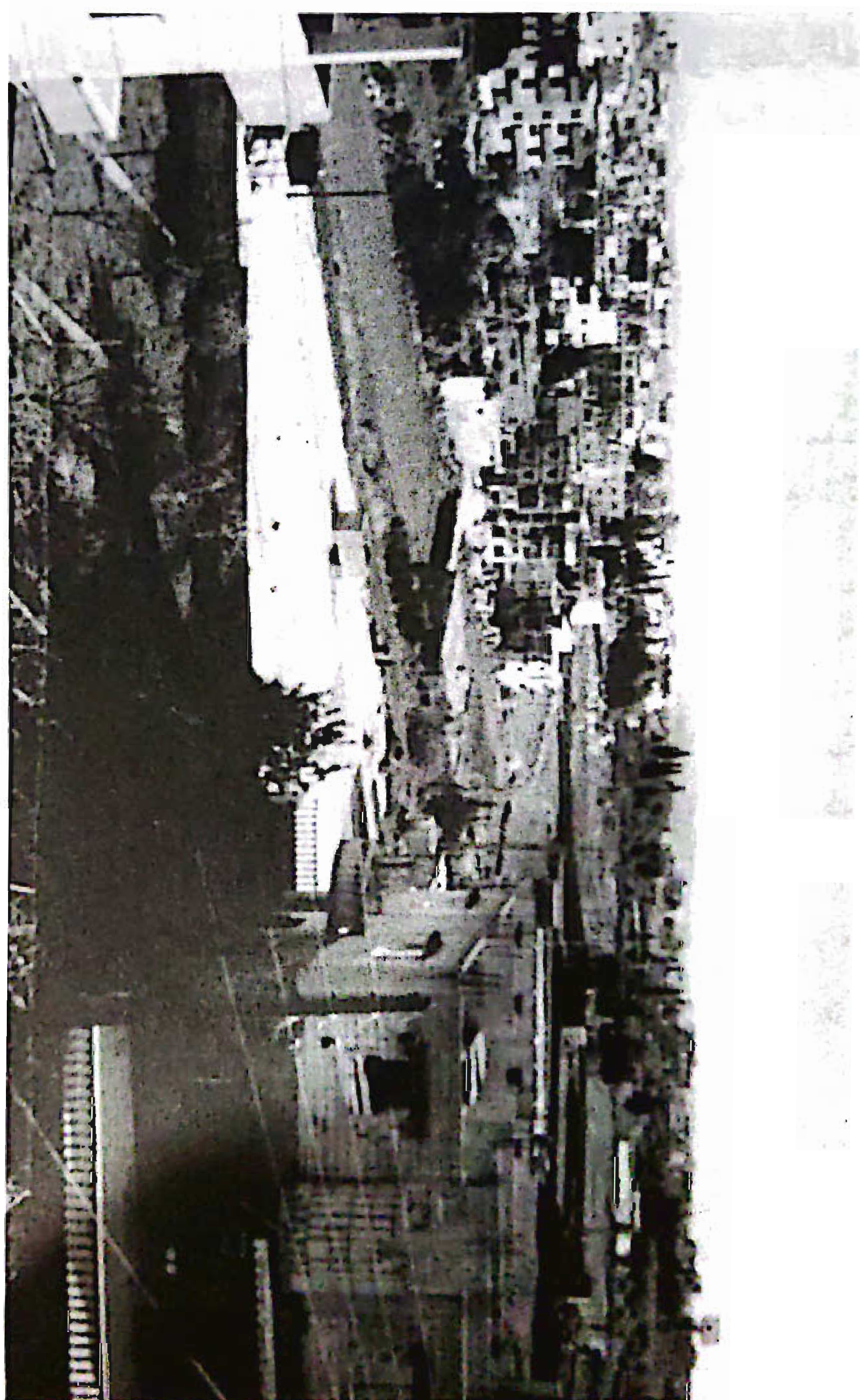
أما المؤرخ أنيس فريحة فيقول: إن اسم بلدة معركة يعود إلى ألتحام الجيوش التي تصارعت على أرضها. أما العلامة الحجة السيد محسن الأمين فيقول في كتابه «خطط جبل عامل»: «معركة» بلفظ الحرب قرية في ساحل صور وبها كان يسمى ساحل معركة أحد مقاطعات جبل عامل.

أما في اللاتينية معركة (Maaraké) معناها المخبأ والملجأ، ومعركا (Maaraka) معناها العجانون.

ويشيع بين أهالي «معركة» والعامليين أن البلدة كانت تعرف بـ «نجمة الصبح» ولمعارك طاحنة دارت على أرضها تغيّر اسمها واستبدل بـ «معركة». وكثيرون منْ يردّونه إلى حادثة ١٠٥٩هـ يوم قضى علي الصغير على آل شكر حكام مقاطعة ساحل قانا وساحل معركة.

---

(٤) أبي شقرا، الحركات في لبنان، ص ١٥٠، والصفدي، ص ٦٢.



جانب من بلدة معركة

وإذا كنّا لم نعثر على ما يدل على هذه التسمية إلا مشافهة من الرعيل الذي أدركناه، فإن تسميتها بـ «نجمة الصبح» لَقب إلى جانب اسمها اشتهرت به في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عملاً بالقول المتناقل يومذاك. «ميس الجبل ومعركة الساحل» أو لعلاقة ما نجهلها بين معركة ونجمة الصبح القريبة من صفد بين كعوش والجاعوني كالعلاقة بين صفد وصفد البطيخ.

ثم إن تسمية «معركة» أبعد بكثير من حادثة علي الصغير عام ١٠٥٩هـ إذا ما راجعنا «الوقفية» رقم ١١١٠ و١١١١ للسلطان خليل بن قلاوون الذي أوقف معركة على قبر أبيه في القاهرة سنة ٦٩٠ هـ - ١٢٩١م(٥).

أما إذا اعتمدنا ما ذكره بطرس مرهج وأنيس فريحة، فقد تكون المعارك على أرضها حدثت زمن ابن بشارة أيام الدولة الصلاحية الأيوبية التي حاربت الصليبيين. حيث إن بشارة هذا قد ناصر صلاح الدين على الصليبيين في حروبه في جبل عامل ونواحي فلسطين، فسلمه القلاع والحصون بعد تحريرها وطرد الصليبيين.

وقد نعود بالتسمية إلى معركة بين الجيوش العربية مع الروم على أرضها والأرجح زمن معاوية وأخيه يزيد في خلافة عمر بن الخطاب.

وحيث إن «معركة» باللاتينية تعني الملجأ والمخبأ فمن الممكن أن تكون مخبأ للسكان الفارين من صور ونواحيها هرباً من الصليبيين. ولا نستغرب إذا ما كان التاريخ يعيد نفسه، فإن معركة

---

(٥) المقريزي، السلوك، ص ٧٦٩؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١٢١؛ تلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، ص ١٦٢.

كانت ملجأ ومخبأ الثوار عندما دخلت إسرائيل جبل عامل إذ كانت وحدها هدف إسرائيل، فسجلت معركة تاريخ البطولات العاملية والعربية المعاصرة في ملحمة ٢٤ شباط وكانت الشرارة الأولى للمواجهة ١٩٨٤ بين المدنيين اللبنانيين العزل والجيش الإسرائيلي، وقد تكررت المحاولة بعد اربعين يوماً، ولكن الجيش الإسرائيلي تراجع يجر وراءه أذيال الهزيمة والفشل. ولم تدخل «معركة» دائرة الاحتلال رغم وجود الجيش الإسرائيلي في كل بقعة من الجنوب والبقاع الغربي. وانطلاقاً من بلدة معركة توسعت المساحة المحررة لتشمل القرى الست، طورا، بدياس، برج رحال، العباسية، يانوح، طيردبا[٦]: والجنوب بفضل ابنيها البارزين القائدين محمد سعد وخليل جرادي.

عرفت «معركة» أسماء وألقاباً قديمة وجديدة كـ «نجمة الصبح»، «معركة الساحل»، «بوابة التحرير» و«أم القرى»[٧]، و«أم المقاومة».

---

(٦) السفير، ١٤/١٢/١٩٨٤.

(٧) روبرت فيسك، ويلات وطن، كانت معركة، من القرى كما لقبت رائدة البلدات للمواجهات اليومية وسقط فيها الشهداء والجرحى وتناقلت وسائل الإعلام العالمية أخبارها.

الموقع والمساحة والسكان

الموقع والمساحة

تقع «معركة» على مجموعة من التلال المتقاربة المنبسطة شرق مدينة صور وتبعد عنها حوالي عشرة كيلومترات، تحيط بها الأودية من الجهتين الشمالية والجنوبية، وتحدها قرى العباسية وطورا وجناتا ومعروب وباريش وبافليه ودبعال وجويا ووادي جيلو ويانوح والبازورية وطيردبا.

تعلو عن سطح البحر من ٢٠٠ متر إلى ٢٨٥ متراً، وتبلغ مساحتها في الدوائر العقارية في صيدا: (١٨٣٦٠ دونماً)[١].

وكانت مساحتها وهي مركز مقاطعة ولأوائل القرن العشرين أوسع مما هي عليه اليوم حيث كانت تمتد إلى الرمالي وعين ابريان وشارنيه وجوار النخل: وقد اقتطعها الإقطاع بكاملها كما اقتطع ثلثي المساحة الأولى (الأم)، وعندما أجرت الدولة اللبنانية المساحة عام ١٩٣٨م تم فصل ابريان وجوار النخل والرمالي وشارنيه وعزبة

(١) دائرة لبنان الجنوبي العقارية.

معركة وأماكن أخرى وتم تسجيل المساحة الحالية والبالغة (١٨٣٦٠ دونماً). وقد باع الإقطاع مساحات واسعة من هذه الأماكن ولا يزال يحتفظ بقسم منها كالحمادية والشبريحة[٢] وجورة البئر.

(ومع تدخل الفرنسيين أيام المساحة وعلماء أفاضل أمثال الشيخ حسين مغنية تم مسح ما يعادل الربع إلى كل أهالي معركة والربع الثاني بالمناصفة وما يعادل ألفي دونم مشاعات في فقعين وكرم الخروبة بقيت تحت تصرف الإقطاع إلى أن عين كاظم الخليل وزيراً للعدل فاشتراها بثمن بخس دون علم أحد إلا بيدر الشمال التي بنيت عليه ثانوية الشهيد خليل جرادي والمدرسة الابتدائية وملعب كرة القدم عندما تنبه لذلك المختار عبدالله يوسف خليل ونادي الأمل).

السكان

سكان «معركة» شأنهم شأن كل العامليين واللبنانيين، هم عرب خلص قدموا في مراحل زمنية مختلفة من اليمن والحجاز والعراق قبل الإسلام وبعده. ومما يجدر ذكره هو أن سكانها الحاليين هم غير سكانها قبل حملة الجزار على جبل عامل عام ١٧٨٠م فهؤلاء نزلوها أيام حكم سليمان باشا حين طلب من العامليين على لسان مرجعهم يومذاك السيد محمد الأمين بأن يعودوا إلى ديارهم بعد نزوحهم هرباً من الجزار. وكثيرة هي العائلات التي عاشت في معركة ثم غادرتها كآل شكر الذين قضى عليهم علي الصغير فنزح من

---

(٢) الشبريحة: لم تكن معروفة كقرية بل كأرض ولكن بعد نكسة فلسطين نزلها أهل صلحة من القرى السبع وبنوا فيها بيوتاً وسكنوها ومعظمهم من آل عون. ويشير العلامة الشيخ إبراهيم سليمان في كتابه بلدان جبل عامل إلى ذلك نقلاً عن عمه صفحة ٢٣٨. والقرية المعروفة بجوارها والتي هي اليوم خراب. عزية معركة.

بقي منهم باتجاه زفتا والنبطية الفوقا ونواحي بعلبك، وآل مازح الذين فروّا إلى باريش وطرفلسيه، وآل الصدر وشرف الدّين الذين غادروا إلى العراق وإيران[٣] أما فقعين التي دمرت وفرّ أهلها باتجاه العراق وشمالي لبنان، كانت تسكنها عائلة علمية ذات شأن رفيع ومن أبرز علمائها الشيخ علي بن جمال الدين محمد بن طي العاملي الفقعاني المتوفى سنة ٨٥٥هـ والشيخ عبدالله بن محمد الفقعاني وزين الدين بن علي الفقعاني[٤].

أما العائلات التي تسكنها حالياً فيعود معظمها إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر زمن حكم سليمان باشا والحكم المصري من عام ١٨٣١ ولغاية ١٨٤٠م، نذكر منها: سعد ـ زيدان ـ طراد ـ روميه ـ خليل ـ جرادي ـ زيون ـ حجازي ـ حسان ـ طالب ـ الطفـ الحاج علي ـ سليمان ـ غندور ـ أبو الحسن سرور. نجم ـ فرج ـ بلاغي. سلمان ـ شراره ـ خاطر ـ حمود.

وهناك عائلات صغيرة بدأت بشخص ما دخل البلدة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في الحرب العالمية الأولى وفي عام المجاعة في «سفر برلك» كآل بيضون وآل عتريسي وآل معنّ وآل عجمي وآل منصور وآل عيد وآل صوفان وآل قاسم وآل طحيني وآل عطوي وآل لوباني. ويبلغ عدد نفوسها قبل الحرب الأولى ٨٩٢ نسمة[٥] وفي إحصاء ١٩٣٢م حوالي ٢٢٠٠ نسمة[٦] وعدد بيوتها أربعمئة. وتوجد عائلات تفرعت عن غيرها ظهرت بعد

(٣) إبراهيم آل سليمان، بلدان جبل عامل، (بيروت: مؤسسة الدائرة ١٩٩٥)، ص ٤١٢.

(٤) الحر العاملي، أمل الآمل، ج١، صفحة ١١٣.

(٥) آل سليمان، بلدان جبل عامل. ص ٤١٢.

إحصاء ١٩٣٢م نتيجة أخطاء ارتكبها المختار، فآل سلمان من آل لطف، وآل ذيب من آل حجازي، وآل عبدالله من آل جرادي، وآل أحمد وأبو يحيى من آل حاج علي، وآل برجي من آل حسان، وآل حمد وآل يوسف من آل خليل. وهناك عائلات دخلت البلدة في منتصف القرن العشرين بعد نكبة فلسطين نازحة من القرى السبع كآل الأعرج وآل معنقي وآل مصطفى. وكان عدد سكانها عام ١٩٧٥م ستة الآف نسمة[٧] وقد أصبح عام (١٩٩٨) (١٦٠٠٠ نسمة) وحوالي ٤٧٠٠ صوتاً ممّن اتموا الواحد والعشرين من العمر كحدٍ أدنى، وقد انتخبوا المجلس البلدي الأول والمجلس الاختياري المؤلف من أربعة مخاتير.

---

(٦) آل سليمان، المصدر السابق،

(٧) آل سليمان، المصدر السابق،

أصل العائلات

فآل غندور من النبطية الفوقا، وآل بيضون من بنت جبيل، دخلوا بجدهم عبدالله، وآل شرارة من بنت جبيل دخلوا بجدهم عبد الرسول شرارة، وآل خليل السادة من هونين دخلوا بجدهم السيد حسين خليل، وآل عتريسي من الجبين دخلوا بجدهم علي عتريسي، وآل خليل من آل الزين من شحور دخلوا بجدهم حسين خليل، وأخويه، وآل الزين من شحور، والسادة آل أبو الحسن من مزرعة شدغيث وهم من آل عباس ومنهم آل الصدر من عظماء أهل العلم المشهورين بالعراق العلامة الكبير السيد حسن الصدر، وولده السيد محمد باقر الصدر الذي كان رئيس الأعيان بدولة العراق ومنهم علامتي العصر الامام السيد موسى الصدر والامام السيد محمد باقر الصدر، وآل فرج من مصر في الحملة المصرية وآل معنّ من الشوف نسبة إلى معن، وآل لوباني من بافليه، وآل بلاغي من النجف من قبيلة ربيعة، وآل زيدان من فلسطين نواحي طبريه من ولاية صفد من قبيلة بني صخر الزيدانية، ومنها حاكم عكا ظاهر العمر الزيداني، جاء جدهم ناصر إلى معركة أيام نصار الأحمد بن الصغير فاقتطعه فيها قطعة أرض يعتاش منها ثم اقتطع حمد المحمود لولده الشيخ الشاعر المشهور علي زيدان أرض الرمالي في ساحل معركة القريبة من شارنيه حوالي العام ١٨٤٥م.

وآل جرادى أو جرادة من حلب. يقول ياقوت الحموي في كتاب الكنى والألقاب. عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن صعصعة صاحب أمير المؤمنين علي (ع) وهو جد بني جرادة وآل أبي جرادة طائفة مشهورة بحلب وفيهم العلماء والشعراء والقضاة وابن العديم جد بني جراده بحلب وقد استضاف المتنبي الشاعر العربي الكبير في بيته تسع سنوات وهو صاحب «بغية الطلب في تاريخ حلب» وله كتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني جراده». تشردوا من حلب بعدما أبلوا بلاءً حسناً في مواجهة المغول وقدموا العديد من الشهداء هم وآل أبي زهرة. دخلوا إلى معركة بجدهم عبدالله جراده.

وآل سرور من البازورية، وآل سليمان من النبطية الفوقا، وآل قاسم من حولا، وآل عيد من الشوف، وآل حمود من ياثر، وآل عطوي من عيتيت وآل دهيني من طورا، وآل جردلي (كردلي) أتراك وآل منصور من ركي، وآل نجم من باتوليه، وآل طراد من حوران، وآل رومية نَسبة إلى أمهم الرومية أو نسبة إلى قرية روميه، ومنهم آل رومية في قرية الرمادية وآل سعد من بنت جبيل، والنبطية، وعند الشيخ إبراهيم آل سليمان أنهم من سعد بن عبادة الصحابي الجليل وآل حسان ومنهم آل برجي وسلامة في قانا وآل حجازي من صعيد مصر أيام حملة إبراهيم باشا وآل خاطر من جزين.

الأودية والعيون

١ ـ الأودية

تحيط بمعركة أودية أشهرها:

وادي الغزّ. الذي تجري فيه المياه طيلة فصلي الشتاء والربيع وتتغذى من نبع عين الراموح وعين الجنان قرب بافليه.

وادي جناتا، هو امتداد لوادي الغز، وقد سُمي بوادي جناتا لوقوعه ناحية جناتا، تنظم مياهه إلى مياه وادي الحوش التي تنبع من عين باريش.

وادي المشبرع، تجري مياهه طيلة فصلي الشتاء والربيع وتنبع من نبع عين مكموره وعين فقعين وعين يانوح ثم تنظم إلى وادي الحضايه التي تنبع من عين وادي جيلو الغزير، وجميعها تتجه غرباً لتصب في البحر شمالي صور.

٢ ـ العيون

كان للعيون قديماً أهمية كبرى في اختيار مواقع القرى فلا قرية من دون عين. وهكذا أخذت «معركة» بين القرى مكانة عالية لما تتمتع به من وفرة المياه، فهي محاطة بخمس عيون جعلت منها موقعاً استراتيجياً حافلاً على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية

والعلمية وهي:

١ ـ عين فقعين أو فوق العين: تُعرف بهذا الاسم نسبة للمزرعة أو القرية التي كانت تقام فوقها على تلة فسيحة. وقد قال عنها السيد محسن الأمين في كتابه خطط جبل عامل (فقعيه أو فقعين قرية في ساحل صور هي اليوم خراب وكانت من أملاك عمنا السيد محمد الأمين).

وقد حدثني عدد من كبار السن ممنّ ناهزوا الثمانين أو التسعين من العمر، كانوا يشاهدون حتى العشرينات من هذا القرن بيوتاً مهدمة، بعضها كان قائماً يعمره رعاة ماعز في فصل الشتاء يأتون من قرية يارين: وأحد هذه البيوت كان في قطعة أرض كانت تُعرف «بشقفة البيت»[١].

والظاهر أن القرية أخذت أسمها من الأرض التي فوق العين فصارت تُعرف بفوق العين، وللتخفيف أُدغمت بفقعين وكون العين تأخذ اسم القرية التي تنسب إليها فصارت تُعرف بعين فقعين.

٢ـ عين مكموره: تبعد حوالي ثلاثمئة متر عن عين فقعين لجهة الشرق من الوادي نفسه المعروف بوادي المشير ع، ويظهر أنها كانت مغمورة بالعليق وفي العامية يقولون «مكمورة» وكنا نستعمل هذا فنقول كمرنا الخيمة أي غمرناها، والأم تقول لولدها الله يكمرك يعني الله يغمرك.

---

(١) السيد محمود جواد والحاج وجيه زين. وحدثني السيد محمود جواد قائلاً: إنه لما اختلف السيد محمد الأمين مع حسين آغا المملوك، ملتزم صور، اشتكاه المملوك إلى الصدر الأعظم. فبعث الأمين للصدر الأعظم بقصيدة شعر مادحاً ومعللاً سبب الخلاف فلاقت استحسان الصدر الأعظم وعلم ما له من مكانة علمية واجتماعية في جبل عامل فأكرمه وملكه عدة نواح منها: «فقعين، دير قانون رأس العين، الصوانه».

ولأهمية موقع العين وغزارة مياهها قرّر زعيم عاملة الشيخ ناصيف النصار أن يشيد لها بناء ويقيم عندها فرقة من جيشه تحرس وتراقب وتشرف على حماية المواطنين ورعاية مصالحهم(٢). وقد اشتهرت بعذوبة مائها وخفتها على المعدة.

٣ـ عين شدغيث: تقع لجهة الغرب، وقد سميت بشدغيث نسبة إلى مزرعة «شد غيث» قرية آل شرف الدين والصدر. وهي كما وردت في خطط جبل عامل للسيد محسن الأمين قرية في ساحل صور وهي اليوم خراب، كانت قرية آل الصدر وشرف الدين فرّوا منها في هجوم الجزار على جبل عامل(٣).

هذا ولا تزال بعض معالمها ماثلة بمقبرة قبورها دارسة، تبلغ مساحتها دونماً من الأرض وفيها عدد من الآبار المهجورة ورجم من الحجارة.

تُعرف شد غيث باللاتينية بشلفيت ونحن في معركة وجبل عامل نلفظها شرغيت تخفيفاً.

٤ـ عين الراموح: تقع شرق «معركة» حيث تتوسط قرى معركة وباريش وبافليه ودبعال، وهي معروفة بغزارتها فلا يضاهيها إلا عين وادي جيلو، ولها نبع يتفجر شتاء فيغذي وادي الغُز طيلة فصلي الشتاء والربيع، وهي متنفس القرى المحيطة بها حيث يستمتعون عندها بنزهاتهم ورحلاتهم فيمدّون الولائم ويقدمون أجمل العروض الفولكلورية الجنوبية من دبكة ورقص وغناء.

---

(٢) عن كبار السن بالمشافهة.
(٣) محسن الأمين، خطط جبل عامل، ص ٢٤٢ـ ٢٤٣.

ويظهر أن تسميتها بعين الراموح عائدة لكثرة ما ينبت عندها من قصب هندي كان يستعمل في صنع الرماح.

ولعين الراموح موقع استراتيجي هام، وهذا ما جعل الأمير بشير الشهابي سنة ١١٠٩هـ عند مهاجمة مشرف بن علي الصغير في مزرعة مشرف القريبة من قانا أن يشيد لها بناء لتكون مصدر حاجته من الماء لجنوده وخيله إلى جانب عين الجنان قرب بافليه وعين الدروز بين جويا ومحرونة[٤]، وهذه الأخيرة أخذت اسمها من هذا التاريخ.

وكذلك فعل صادق الحمزة الفاعور ابن دبعال الثائر الكبير في وجه الاستعمار الفرنسي عندما شكّل عصابته فكانت مصدر حاجته من المياه[٥]، وما حولها من الأودية وما فيها من مغاور كان مقراً لعصابته.

٥ ـ **عين زوبيا**: هكذا يلفظها الأهالي منذ زمن بعيد وهي مخففة عن زنوبيا وأصلها زينب، وقد سمى العرب زينب ملكة تدمر بزنوبيا لأنها تمردّت على عادات زمانها فكانت أول امرأة تحكم والزبّاء في المعجم عند العرب «المتمرد». ولا نعلم لأي امرأة نسبت هذه العين، إلا أننا نحكم أنها زينب فقط ولا نملك الدليل القاطع للنسبه ولا للزمن أيضاً. ولكننا نُرجح التسمية والزمن لتاريخ وجود قرية «فقعين» التي دمرت على يد الجزار، كونها تقع في أراضيها ولا تبعد إلا المسافة الممتدة بين آثار البيوت الباقية هنا وهناك على رأس تلة. وهي عبارة عن رجم من الحجارة وعددٍ من الآبار ومقبرتيْن، وعمق «الخلة» لجهة الجنوب منها فلا تتجاوز مئة وخمسين متراً.

---

(٤) حيدر الشهابي، **تاريخ حيدر الشهابي**، ص ١٦٥.

(٥) علي مرتضى الأمين، **صادق حمزة الفاعور**، ص ١١١ (ملحق رقم ٦).

إنها تشبه البئر، ملازمة للعريض وخندق المياه المنحدر من فقعين، وحولها عدد من الأجران المحفورة في الصخر أو المنحوتة في حجارة كبيرة. ولا يزال رعاة الماعز من العرب المقيمين في التلال القريبة منها وهم من يارين يستعملونها فيسقون منها المواشي ويأخذون حاجاتهم من المياه. وعلى مقربة منها في الوادي لجهة الشرق مغارة تتدفق منها المياه باستمرار إلى جانب العديد من المغارات والكهوف تدل آثارها على أنها سُكنت في الماضي، وبئر مدهش نحت في الصخر ويُسمى «بئر صخر» على بعد مئتي متر من المغارة شرقاً.

أسماء الأماكن والنواحي

كانت «معركة» حتى السبعينات عبارة عن الحارتين الفوقا والتحتا يفصل بينهما الساحة العامة والشارع الرئيسي اللذان يقسمانها نصفين شمالية وجنوبية. والشارع يصلها بصور من جهة الغرب وبجويا لجهة الشرق.

أما اليوم فمعركة أوسع رقعة وأكثر انتشاراً، فهي تحاكي القرى المحيطة بها وقد اتصلت وتداخلت مع طيردبا ودبعال وطورا ويانوح وإلى جانب الحارتين الفوقا والتحتا الوطاويط وكرم البيطة والحمارة وأبو زقر والقزحة وكرم الداهوق وبيدر السيرة وخلّة صور والترمسة وخلال العبيد ومرج العباسية وكرم العريش والغرب وشدغيث ومرج شدغيث ومرج البيضانية وجل عمّار والكسارة والقلعة والبيّاضة وخلة أبي العمش والشمالية والدحدوحة وبئر عيسى والمرج وبيدر الشمال والشمال «الجواني» و«التحتاني» والعمارية ومرج البرعماني والشراقه وخلّة العين والمحفرة والرشيدية والمعقب وبيدر الشقيف والشرق وكرم الحلو والدوراث وبهيرة والبركة.

أما النواحي التي تشغلها الزراعة فهي: فقعين، بهيرة، العامود، الدوراث، السلالم الوادي (الغز وجناتا) كرم بولاذ، الصليعة كرم رضا، كرم الزيتون، ظهر السوق، خلة خليل، خلة صور، خلة أبي

العمش، خلة الشمال، خلة المعصرة، الظهر، جورة النجاصة، جورة محي الدين، خلة الحبس، الدير، مرج العباسية، السدر، الدوراث، مرج العجمي، ظهر زيدان، خلة سريسة، خلة غملوش، المرج، مرج شرغيث، مرج البيضانية، خلة المعنى، الصليعة، كرم رضا الوادي، عقبة الحصان، الحمارة، بهيرة جل عمّار، خلة المطحنة، الدير «القزحة» دير شرغيث، الجران، المشيرع، عريض الضبع، عريض علي أمين، عريض القزحة، عريض الشمال، خلة العين وعريض عبد الرؤوف، العقبة.



حي قديم وقد ظهر بيت الحاج ابراهيم سرور رئيس الجمعية الخيرية المركزية

المساجد والحسينيات والمزارات

في «معركة» ستة مساجد، منها ما هو قديم العهد ومنها ما بني في مطلع القرن العشرين ومنها ما بني حديثاً وهي: المسجد «التحتاني» أو مسجد آل مازح، يطلق عليه «بالتحتاني» لوقوعه في الحارة التحتا، ويقابله المسجد «الفوقاني» في الحارة الفوقا. يحدثنا كبار السن أن معركة كانت ما قبل الأربعينات عبارة عن حارتين يفصل بينهما الساحة والطريق العام والأرض مغروسة بالتين والصبّير.

يعود **المسجد «التحتاني»** الذي أعيد بناؤه أكثر من مرة إلى القرن العاشر الهجري وأصحابه من آل مازح ومنهم العلامة الكبير الشيخ أحمد المازحي، عاصروا أسرة آل بشارة والأسرة الوائلية وظلوا مقيمين في معركة حتى حملة الجزار سنة ١٧٨٠م. فنزحوا عنها[(١)].

وقد أُعيد تشييده في القرن العشرين مرتين، كانت أولاها على يد الشيخ عبدالكريم مغنيه عام ١٩٢٨م، وثانيها بعزيمة العبد الصالح السيد أحمد علي خليل حيث قام السيد النائب محمد صفي الدين بتمويله. وكانت فيه نخلة ضاربة في الطول وفي التاريخ، يُقدَّر عمرها بثلاثمئة سنة وأكثر وقد أصابتها صاعقة عام ١٩٥٨م فيبست

(١) عن كبار السن، بالمشافهة.



المسجد التحتاني ـ مسجد آل مازح

واقتُلِعت عام ١٩٦٣م، عندما عُمل على توسيع المسجد. وله مئذنة عالية بناها بناؤون دروز بحجارة صخرية على نفقة المرحوم الحاج وهبي خليل عام ١٩٥٤ الذي كان مغترباً في أبيدجان. وحدثني السيد محمود جواد والحاج موسى عبدو طراد والسيد أبو الحسن عن والده السيد محمد أبو الحسن بقولهم: بعد أنْ فرغنا من صلاة الظهر في أحد الأيام خلف الشيخ عبدالكريم مغنية في المسجد «التحتاني»، تحلّقنا حول الشيخ تحت نخلة المسجد ودار حديث بين الشيخ وخليل إبراهيم سعد الذي عاصر الشيخ الشاعر علي زيدان المتوفي سنة ١٨٧٢م، فقال خليل إبراهيم سعد للشيخ: أتعرف من أصحاب هذا المسجد أجاب: لا.. قال: هذا مسجد آل مازح ولهم مقبرة، وأشار إليها ودلّ على قبر القاضي فيها وكان عبارة عن نُصبٍ لنصف رجل فوق الأرض نُحت بدقة وتصميم وعلى رأسه عمامه وكنا نراه حتى عام ١٩٧٠. قال السيد محمود جواد: كان هذا شائعاً بين الناس إلا أن خليل إبراهيم سعد أراد أن يعرّف الشيخ عبد الكريم كونه نزيلاً على معركة يومها من عامين.

أما المسجد الفوقاني، فقد سُمي بالفوقاني لوقوعه في الحارة الفوقا، ويرجّح أنه بُني زمن أسرة آل شكر السادة وأنه ملازم للمسجد التحتاني، والذي استفدناه من كبار السن أن هذا المسجد أعيد بناؤه في أوائل العشرينات بهمّة العبد الصالح السيد محمد أبو الحسن ووقف له قطعة أرض بجانبه وأنه كان قبل ذلك مهدماً متناثرة أحجاره. وكان فيه نخلة هي النخلة نفسها التي كانت في المسجد التحتاني وهذا ما يتلازم معه زماناً. وفيه مئذنة تلازم بناؤها مع المئذنة في المسجد التحتاني وبالمواصفات نفسها وعلى نفقة المرحوم المغترب الحاج وهبي خليل المتوفي سنة ١٩٦٢م.

وهناك مسجد الحاج محي الدين، المعروف بجامع آل بيضون. يقع هذا المسجد في الحارة الفوقا في الناحية المعروفة بالشمالية وعُرف بمسجد آل بيضون في مطلع القرن العشرين لحكم الجيرة، وهم ليسوا أصحاب المسجد فالمسجد قديم العهد يعود لزمن الأسرة الشكرية وآل بيضون حديثو العهد في «معركة» وقد دخلوا بشخص عبدالله الجد الأول لآل بيضون في معركة في سفر برلك وأقام بجوار المسجد. وقد حدثني السيد محمود جواد خليل أنه أدركه جيداً وكان يشتغل بالسحر والشعوذة. وفي الأربعينات كان عامراً وتصلي فيه النساء وعُرف بهذا الاسم وبعدها تهدّم، وبقي أكثر من ثلاثين عاماً خراباً. وكانت تعلق على بابه بلاطة ذكر عليها اسم بانيه وصاحب الوقف، ضاعت بين أحجاره إلى أن جاء العبد الصالح الحاج عبد الحسين بيضون من بنت جبيل وأعاد تشييده سنة ١٩٨٤م وكتب على رخامة فوق مدخله (شيّد هذا المسجد الحاج عبد الحسين بيضون سنة ١٩٨٤م).

في أحد الأيام، ذهبت بصحبة السيد محمود جواد خليل وأحمد علي سليمان المعروف بالشيخ أحمد سليمان وصلّينا الظهر في الجامع المذكور واعترضنا على مضمون الرخامة. وأخذت أسأل عن البلاطة القديمة فهداني إليها الحاج يوسف بيضون وكانت موضوعة على سطح الحمامات. حملتها إلى البيت وقد أصيبت أطرافها بكسور كما عمل فيها علي تحريف بمسمار أو أزميل حديث التجريح، فأدخلت على البلاطة «آل بيضون»، وكان لهذا التخديش أثره في تضييع تاريخ بنائه - سامح الله الفاعل -.

بعد جهد شاق استطعت قراءة البلاطة ونجد ما جاء فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

عمّر هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله الحاج محي الدين

بن الحاج سعد بن عبدالله.

وعلى جانبها (عمل العبد الفقير حسين). وهكذا لم أتمكن من معرفة تاريخها وعائلة هذا الأخير.

وفي «معركة» قطعة معروفة بجورة محي الدين، كذلك على مقربة من المسجد بئر يعرف ببئر محي الدين. وللمسجد قطعة أرض وقف لجهته الشرقية.

مسجد آل الزمن: يقع هذا المسجد عند بوابة الحارة الفوقا المطلة على الساحة العامة وصاحبه الحاج إبراهيم زين، بناه في العام ١٩٣٨م وهو خالٍ من مئذنة.

مسجد الحاج محمد مصطفى حجازي: يقع عند مدخل الساحة الغربي مقابل الحسينية (حسينية الرجال) بناه عام ١٩٣٠م وهو دون مئذنة يتألف من غرفة كبيرة.

مسجد الحاج يوسف حسين حجازي: يقع في المنطقة المسماة ببلاّنة العين أو الشائع حالياً «الشرق»، بناه الحاج يوسف حجازي عام ١٩٨٧م.

الحسينيات

حسينية الرجال، وَقَف لها أرضاً العبدُ الصالح الحاج محمد جواد سعد وواكب العمل بها، وقد قام بجمع تبرعات في معركة وخارجها حتى انجزت. وقد كان المشجّع لهذا العمل والداعي إليه الأمام السيد موسى الصدر ووضع لها حجر الأساس عام ١٩٦٨م. وانتقلت المناسبات لها بعد أن كانت تُقام في المسجدين «الفوقاني والتحتاني»، ومع الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م كانت الحسينية

منبر الثورة ومقر المقاومة، وقبيل الإنسحاب كانت إسرائيل تهاجم «معركة» وتواجَه بثورة عارمة من الأهالي. استغلت إسرائيل التسلل إلى الحسينية وزرعت فيها عبوات ناسفة فجّرتها على يد عملائها، فدمر الطابق العلوي المستحدث وقسم من سقف المبنى السفلي واستشهد قائدا المقاومة محمد سعد وخليل جرادي وعشرة شهداء آخرين وكان ذلك في ٤ آذار عام ١٩٨٥م.

ثم أُعيد إصلاح ما تهدم واستكمل الطابق العلوي ليوازي السفلي.

حسينية النساء: بتشجيع من سماحة الإمام الصدر وبعزيمة من العبد الصالح الحاج محمد جواد سعد الذي تابع سير بنائها وجمع المال من الخيّرين، أُنجز بناؤها عام ١٩٧٦م عند مدخل المقبرة ومساحتها ثلاثمئة وخمسين متراً مربعاً.

وفي عام ١٩٩٦ قامت حملة تبرعات دعت إليها مسؤولة التنظيم النسائي لحركة أمل في معركة «رجاء حسان»، وتم إنجاز حسينية جديدة فوق الحسينية القديمة بعد توسيع المساحة لتتجاوز الستماية وخمسين متراً مربعاً، وقد ساهمت حرم رئيس مجلس النواب السيدة رندة بري باتمام المرحلة الثانية بعد البناء من دهان وأبواب وشبابيك وكهرباء وأدوات صحية وتجهيزات أخرى، وقامت بافتتاحها بحضور حشد كبير من أهالي البلدة في ٢٤ تموز ١٩٩٦م.

مقام النبي محمد رشيد: يوجد في الجهة الشمالية الشرقية للحارة الفوقا، بُني على نمط المقامات في العراق تعلوه قبة، وعند مدخله شرفة محمولة على قنطرتين وداخله عبارة عن غرفة فيها قبر عليه قفص من خشب يشبه ما يُعرف بالمحمل، وتحيطه أرض وقف

وفيه بئر ماء ولازال الناس يقدمون لهذا المقام النذور ويضيئونه ليلاً. وقد سألت العلامة الكبير الشيخ إبراهيم سليمان عن تسميته فقال: «ليس هناك نبي بهذا الإسم ولعلّه عبد صالح». ويظهر أنه عالم كبير من علماء آل شكر السادة. والعادة أن يُبنى على قبور العلماء بناء تعلوه قبة كقبر الشيخ عبد الكريم مغنية وقبر الشيخ علي زيدان ـ هذا في معركة وشأنه في كل مكان.



مقام النبي «محمد رشيد»

المقابر

توجد في «معركة» مجموعة مقابر، أكبرها المقبرة التي تشغل حالياً وفيها قبر الشيخ الشاعر علي زيدان المتوفى سنة ١٨٧٢م وقبر العلامة الشيخ عبد الكريم مغنية المتوفى سنة ١٩٣٤م وقبر العلامة السيد محمد جواد الحسيني، ولعلها أكبر مقبرة في المنطقة وفيها الكثير من القبور الدارسة ويظهر أنها الأساسية منذ زمن بعيد.

مقبرة آل زيدان: تقع على الطرف الشمالي من المقبرة الكبرى وقد تداخلت بها وصارت جزءاً منها.

مقبرة آل مازح: تقع داخل المقبرة الكبرى وشمالي مقبرة الشهداء وقبورها بنيت بأحجار منقوشة وبشكل هندسي منظم، ويعود تاريخها للقرن العاشر الهجري تقريباً. وفيها قبر العلامة الشيخ أحمد المازحي المعروف بالقاضي وله مراسلات مع الشهيد الثاني في العام ٩٦٦هـ.[1]

مقبرة شدغيث: تقع في منطقة كرم رضا، وفيها قبور دارسة تعود لآل الصدر وشرف الدين أصحاب شدغيث الذين فروا منها في هجوم الجزار على جبل عامل سنة ١٧٨٠م بعد أن أحرقها

---

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة، المجلد ٩، ص ١٦٦.



قبر الشيخ الشاعر علي زيدان المتوفى سنة ١٨٥٢م، وقد ظهر جانب من بيته خلفه.

ودمرها[٢]. ولا تزال المقبرة إلى اليوم واضحة المعالم في دونم من الأرض وحولها آثار بيوت قديمة وآبار مهجورة نبت على أبوابها العلّيق. وقد زارها السيد موسى الصدر والسيد محمد باقر الصدر عام ١٩٦٦م. وكرر السيد موسى الزيارة مراراً وكان يردد البيت الشعري المشهور لزهير بن أبي سلمى:

وما حبُّ الديار شغفنَ قلبي ولكن حب من سكن الديار

مقبرة فقعين: وتقع إلى الشمال والشرق من الغرفتين المنفردتين من تلك الأرض الواسعة، وهي عبارة عن قبور دارسة تزيد مساحتها على دونمين من الأرض ويعود تاريخها للقرنين الثامن والتاسع الهجري. فيها قبر العلامة الكبير علي بن علي جمال الدين محمد بن طي العاملي الفقعاني المتوفى سنة ٨٥٥هـ[٣].

وقد عثر جماعة من قرية يانوح القريبة من فقعين، وهم يبحثون عن آثار، على خاتم من فضة في أحد قبورها ونقش عليه: «لا إله إلا الله محمد رسولِ الله»، وذلك بحضور الحاج أحمد سليمان المعروف بالشيخ أحمد.

وهناك مقبرة بجانب المقبرة الكبرى تنفصل عنها لجهة الشرق، مساحتها دونم من الأرض تقريباً، قبورها دارسة لا نعلم عنها شيئاً ويُرجّح أنها كانت لعائلة ذات شأن لآل شكر أو لآل مازح.

(٢) الحوادث، ١٢/٩/١٩٧٧؛ النهار، محمد درويش ١٥/٧/١٩٧٩.

(٣) محمد مغنية، رياض العلماء، مخطوط. ص ٢٨١.

الآثـــار

إذا صحّ القول المتناقل عن صور زمن الرومان بأنّ تعداد سكانها بلغ سبعة ملايين نسمة، فالجائز هنا أن صور كانت مملكة تجمع إليها القرى المحيطة بها والتي تحمل إسمها الحالي حيث هي تسميّتها باللاتينية. وجميعها غنية بالآثار الرومانية. عندنا في «معركة» أينما وقفت وحفرت تجد مدافن فيها الخواتم والعقود الذهبية والفوانيس والزجاجيات وقطع من العملات الذهبية تدل رموزها وكتابتها على زمن الرومان. وفي فترة الأحداث الممتدة بين السبعينيات وأواخر الثمانينيات، عثر الناس على الآلاف من هذه المدافن ووجدوا فيها ما يملأ متحفاً كبيراً من التماثيل المصنوعة من الحجارة أو الذهب أو البرونز. قبل هذه الفترة، وفي أواخر الستينات عُثر على تمثالٍ لرأس هنيبعل قرب الساحة بجوار جامع آل الزين، بيع بثمن بخمسٍ بأربعة آلاف ليرة لبنانية وقيل: إن الذي اشتراه باعه بأربعين ألف ليرة لبنانية، وعلى مقربة منه وُجدت بيوت كثيرة ومدافن مطمورة، وقد حضر عمال الآثار من صور ونقبّوا في البلدة لمدة طويلة. وعلى مقربة من مقام النبي محمد رشيد توجد مقبرة، قال خبير الآثار: إنها تحتوي على خمسة وثلاثين مدفناً من الرصاص وأنها تعود للعهد البيزنطي، وقد حملوا منها ثلاثة ولا زالت المدافن باقية، إن أسماء النواحي مرتبط بالحدث فيها، فالناحية المسماة

بالقلعة إنما يشير لوجود قلعة كانت قائمة فيها ولا تزال رجم الحجارة الكبيرة وكثرة الآبار والمدافن الموزعة هنا وهناك إلى جانب موقعها الإستراتيجي على رأس تلة يصعب الوصول إليها إلا من ناحيتها الشرقية. وموقع القلاع قديماً يدل على صدق وجودها.

كما توجد ثلاثة أماكن تحمل اسم «الدير». من يراقب يرى بقايا هذه الأديرة والمدافن المتعددة والآبار الموزعة وقد كشفت كلها في الآونة الأخيرة. إضافة إلى رجم من الفخار الذي أُتلف أثناء الحفر وبقايا الزجاج والأحجار الدالة على أنها كانت من أصل البناء لنقشها وضخامتها.

كما توجد أماكن كثيرة، منها ما يحمل اسم «المعصرة» وآثارها باقية، و«خلّة الحبس» الذي لا يزال محفوراً في الصخر ويتألف من غرفتين كبيرتين. وهناك لجهة الشرق منطقة يطلق عليها اليوم اسم «العامود» لوجود عامودين ضخمين يرتفعان لأكثر من مترين فوق الأرض ولا أدري كم يغوصان في التراب، واحد منها حفر فيه بارتفاع متر تقريباً بشكل مدروس فظهر العامود الآخر من خلال الحفر. وحول العامودين حجارة ضخمة لها مثيلات في آثار صور وعند قلعة بعلبك. ويحيطها أكثر من عشرين بئراً كانت تستعمل لجمع المياه ولتخزين الحبوب وغيره. إن الحجارة الموجودة كافية لبناء قلعة أو معبد بكامله. ولا يُخفى فإن الناس أخذت منها الكثير عندما أشادت بيوتها في «معركة» عبر أزمان مختلفة وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. يبقى أن نشير إلى أن القرية المسماة دبعال، والقريبة جداً من هذا المكان، يمكن أن تكون قديماً هذا المكان المسمى اليوم بـ «العامود» فدبعال هذه بموقعها وضيق مساحتها وقلة سكانها وعائلاتها التي جاءتها من

مناطق عدة أيام حكم سليمان باشا منذ العام ١٨٠٦م إلى العام ١٩٠٠م قد اتخذوا هذا الجانب أو التل المقابل «للعامود». والناحية كلّها يُطلق عليها دبعال. والمعروف أن دبعال باللاتينية تعني «بيت المال» وقد يصح إذا كانت صور مملكة وهي غير آمنة لتعرضها دائماً لحروب وهجمات من قراصنة البحر، وإلا كيف نفسر وجود قبر حيرام ملك صور أيام الفينيقيين في حناويه على مسافة كيلومترات من صور.

أما إذا اعتمدنا «دبعال» وباللاتينية أيضاً أنها بيت العبادة فيعني ذلك وجود هيكلٍ تؤدى فيه الطقوس فكلمة (دب معناها بيت وبعل معناها الإله).

ويوجد في «معركة» بناء لمقام عبد صالح يعود تاريخه لأسرة آل شكر في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، كما كان فيها بيت كبير يشبه الحصن رفع على قناطر متعددة وضم غرفاً كثيرة كان يطلق عليه اسم «القبو»، ويعود تاريخه لعام ١٨٨٥م على عهد الحكم التركي المباشر حيث كان مقر الملتزم، وقد دمر أثناء الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، دمره الأهالي إنتقاماً من الأسرة الإقطاعية المتهمة بتدبير عملية تفجير حسينية معركة مع الإسرائيليين في ٤ آذار ١٩٨٥م.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

مقدمة

مرت «معركة» بظروف اجتماعية واقتصادية مرّة في عهدي الحكم التركي المباشر وعهد الانتداب. رجل متسلط يتحكم بجموع الناس وإن عدّوا بالآلاف لا يملكون معه ضراً ولا نفعاً، ومنْ حرّك ساكناً فله القتل أو السجن أو النفي، سبيل النجاة الوحيد هو الصمت والاستسلام لإرادة الظالم الطاغي، والفلاح يعمل ليله ونهاره ولا يستطيع العيش بأحسن من البهيمة التي يقتنيها، والأمراض ما أكثرها إنْ دخلت بيتاً حصدت نصف العائلة فلا أحد قادر على التطبيب أو التداوي.

في الاستقلال صفق الناس وهلّلوا كثيراً وكل علمهم أنهم خرجوا من الجحيم إلى النعيم، وما لبثوا أن شربوا مع الكلاب والقطط والدواب من بركٍ تجتمع إليها الأمطار أيام الشتاء ولا مدرسة ولا طريق ولا مستشفى.

عام ١٩٤٥م تأخر سقوط المطر فوقع الأهالي في ضيق شديد فلا مؤن في البيوت ولا مواسم في الحقول والدولة لا يعنيها من أمر الناس إلا جباية الضرائب. ودبت الأمراض وفتكت الملاريا بعدد كبير من الناس في جميع القرى، ففي قرية مجدل زون مثلاً فتكت الملاريا بسبعين شخصاً مع أن سكانها لا يتجاوزون أربعمئة شخص

وكان المريض يُحمل على الأكتاف في نعش الأموات ليوصلوه إلى طريق السيارات[١].

ولعل كثرة العيون في معركة وغزارة نبع عين الراموح والآبار التي تزيد على السبعماية جعلها تستمر بمواجهة الجفاف حتى أمطرت في ١١ كانون الأول عندما زحفت معركة ومعها القرى المجاورة وراء الشيخ حسين مغنية عند مروره فيها من قريته طيردبا إلى عين الراموح وصلى بالناس صلاة الاستسقاء لأكثر من عشر ساعات ولا غيوم في السماء ولا شيء ينذر بسقوط المطر، فأفل من أفل من الناس وبقي من بقي. وقول الرواة: إن الذين بقوا خلفه لم يتجاوزوا العشرة وهو يقول: لن أبرح مكاني حتى أُبتلّ بالمطر، ويقولون: وبلمح البصر ظهرت الغيوم في السماء وأرعدت وأبرقت وتساقط المطر فعاد الشيخ إلى قريته مشياً على قدميه حافياً وهو يقول: دعوني أتبلّل بالخير دعوا الرحمة تسقط علينا وهو يحمد الله وعيناه تفيضان بشراً ودمعاً. وتعد هذه الحادثة من كرامات الشيخ حسين مغنية عند أهل جبل عامل.

وبعد خمس وخمسين سنة تقريباً أي في العام ١٩٩٩ إنحبس المطر حتى ١٣ كانون الأول، ولولا المياه الجوفية التي تصل البيوت عبر الأنابيب لضاقت أحوال الناس ومع ذلك تأخرت زراعة المواسم، وكاد يدق ناقوس الخطر في بحيرة القرعون وري بساتين الساحل وتوليد الطاقة الكهربائية.

أما شبكة المياه فقد عرفتها معركة عام ١٩٦٦م، وفي فترة الإجتياح الإسرائيلي وبعده تعرضت لأعطال وتوقّف ضخ المياه

---

(١) حسن الأمين، الذكريات من الطفولة إلى الصبا، ص ١٥ ـ ٢٠.

لفتراتٍ طويلة، وهذا ما جعل الناس تشتري صهريج الماء بخمسة آلاف ليرة لبنانية وارتفع ثمنه في آب وأيلول من عام ١٩٩٠م إلى ستة وسبعة آلاف ليرة.

محاولات عدة قامت بها حركة أمل في البلدة لحل هذه المشكلة ولم تر النور. لا ماء من رأس العين ومشروع حفر بئر ارتوازي مع مستلزماته يحتاج لمبالغ طائلة.

وأخيراً، لبّى مجلس الجنوب حفر بئر ارتوازي عند عين فقعين وتعهدت اليونيسيف بتركيب (طلمبة) وتمديدات (قساطل من البئر إلى الخزان) وتشكلت لجنة انمائية في البلدة بمبادرة من الحركة لشراء محول كهربائي للبئر (وكنت واحداً من اللجنة) جمعت من الأهالي مبلغ خمسة آلاف ليرة عن كل منزل. واصطدمت اللجنة بإيصال الكهرباء إلى البئر فأمنت الأعمدة والأسلاك وشقت طريقاً تجاوز حوالي الكيلومتر ونصف الكيلو. وساهم الوزير نبيه بري (وزير الكهرباء) بتقديم المحَول الكهربائي. وحلّت المُشْكلة.

الزراعة

كانت زراعة القمح والشعير والذرة والعدس والبيفة والسمسم هي المورد الوحيد لبلدة «معركة»، فلم يُترك سهل أو جبل أو وادٍ إلا حُرث وزُرع والأرض خصبة وتعطي غلالاً وفيراً وقد استعمل المزارعون الوسائل القديمة في الفلاحة والحصاد.

كانت أراضي «معركة» قديماً أوسع مما هي عليه اليوم إذ تمتد غرباً حتى شاطىء البحر، «فالرمالي» من أملاك آل البلاغي و«عين ابريان» من أملاك آل زيدان، ويحتفظ الدكتور حسين زيدان بأوراقٍ أي سندات صادرة عن الدولة العثمانية وبعضها من حاكم عاملة حمد المحمود باسم جدهم الشيخ ناصر وولده الشيخ علي زيدان.

وكذلك «جوار النخل» من أملاك آل طالب (لطف) و«شارنيه» من أملاك السادة آل أبو الحسن وجدهم السيد مهدي[1].

وظلت معركة تدفع خراج هذه الأراضي من ضرائب وأعشار لحاكم عاملة زمن الحكومات الإقطاعية وبعده زمن الحكم التركي المباشر حيث أصبح الملتزم يمثل الحكومة، فكانت «معركة» تدفع

(١) آل سليمان، بلدان جبل عامل، ص ٢٣٧.

لإبراهيم الحاج يحيى خليل الملتزم «معركة» من قبل الدولة التركية الأعشار والويركو.

لما كان الملتزم يملك صلاحيات واسعة، أرهق الناس بالضرائب والضرائب الإضافية مما حملهم على ترك الأرض فصار يضمها لنفسه والناس تعمل لديه وهم أقلّ من عبيد. وقد هاجر عدد كبير منهم نحو المدن وسافر البعض إلى الأرجنتين. بعد ذلك ثار أصحاب الأراضي وشبّ صراع طال أمده بين هذه العائلات والإقطاع. ووقف الشيخ عباس البلاغي الشاعر الحر ناشداً:

طغت سفهاء عامل في البلاد وفيها أكثروا كل الفساد
لقد ظلموا العباد ولم يخافوا من الرحمان في ظلم العباد
إذا العشار وافى نحو قوم تراهم هائمين بكل واد
لقد عاثوا بعاملة فساداً كأنهم بقايا قوم عاد(٢)

يقول كبار السن كان في معركة أكثر من ثمانين فداناً لا يتوقفون عن الفلاحة والزراعة على مدار السنة، واستمرت حتى الخمسينيات وأنهم كانوا في عداد من يفلحون.

كانت الوسائل المتّبعة في مواسم الحصاد «الديمرج والحاشوشة والمنجل» وعلى البيادر «النورج» المصنوع من الخشب القوي حيث تثبت في الوجه السفلي الملازِم للقش أحجار سوداء، والنورج مشدود إلى بقرتين أو حمارين أو بغل بحبلين يسحبانه فوق القش وعليه الفلاح. وهكذا كانت تتم عملية تكسير القش وبعدها عملية

(٢) محسن الأمين، **الأعيان**، مجلد ٣٧، ص ٣٧ ـ ٣٨.

فصل الحب عن التبن بواسطة ماكينة مصنوعة محلياً تسمى ماكينة الذراوة، وهذه الماكينة تعتبر حديثه، وقد استعمل قبل ذلك المذراة وهي تشبه الرفش ولها أصابع خمسة أو ستة من خشب ترفع التبن في الهواء فيسقط الحب في مكان والتبن في مكان آخر.

آواخر الستينات حلّت الآلات الحديثة واختفى «النورج» ولم يبق له أثر في السبعينيات بعد وفاة فلاح كان يستعمله.

عرفت زراعة القثاء والبطيخ والشمام والبصل والبطاطا في الثلاثينيات من القرن العشرين على يد من كانوا يشتغلون في رأس بيروت[٣] بزراعتها، وانتشرت السحاري في أيام الصيف، كما عرفت زراعة التبغ في الخمسينيات بعد أن رخّصت الحُكومة لكل قرى جبل عامل فكان نصيب معركة تسعة وسبعين دونماً منها ثلاثة وعشرون دونماً لآل الخليل وزّعت على الأهالي المنتمين للإقطاع وحرم الباقون. لكن هذه الزراعة عمّت البلدة بعد شراء الأهالي رخصاً من الخارج.

زراعة التبغ أنعشت الحالة الاقتصادية فسادت في معركة المعاملة النقدية بعد المقايضة، وكانت المؤشر الأول في إحياء الحركة العمرانية حيث بدأ الناس بهدم السقوف القديمة المصنوعة من خشب وقصب وبلان فوقها التراب لتستبدله بالإسمنت والحديد. وفي المقابل أخذت زراعة القمح بالتقلص فبينما كانت معركة تتمتع باكتفاء ذاتي بدأت تستورد الطحين بنسبة الربع من حاجتها الإجمالية إلا أن وضعها الإقتصادي لم يتأثر لما تعطيه زراعة التبغ من أرباح.

(٣) الحاج عبدالله جرادي ومحمود عبدالله جرادي.

ومع أوائل الستينيات تنفست معركة عندما انفتحت أمامها الحجب لتدخلها زراعة الخضار. ففي عام ١٩٦٥ عاد ابن معركة محمود يوسف الحاج سليمان من البازورية حيث كان يعمل في المزارع القريبة من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وأدخل إلى معركة خبرته الزراعية فزرع وتمثل به الأهالي فغطت زراعة البطاطا والبصل والفجل والسبانخ والفول والقرنبيط والملفوف والخس وغيرها معظم الأراضي. كلها تسقى بماء المطر وموسمها الشتاء.

ودرّت هذه الزراعات أرباحاً طائلة فأكثر الأهالي من زراعتها حتى غطت أكثر من ثلث مساحة البلدة وهم باعوا حصصهم من الدخان لأعماله الشاقة وأرباحه القليلة إذا ما قيست بموسمه الممتد أربعة عشر شهراً. بينما مواسم الخضار لا تتجاوز الثلاثة والأربعة أشهر، وقد غطت جانباً كبيراً من سوق بيروت وحظيت بشهرة عالية، على مدار عشر سنوات كانت تتوجه يومياً إلى بيروت من خمس إلى سبع شاحنات محملة بمختلف أنواع الخضار.

ومع بداية الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ بدأت زراعة الخضار تتقلص لعدم وجود سوق يستوعب إنتاجها الكبير.

والهجرة إلى ليبيا في الستينيات أضافت عاملاً آخر في إستنهاض الاقتصاد. عاد المغتربون برؤوس أموالٍ وظّفت في الحقلين الزراعي والعمراني، فقد تم استصلاح مساحات واسعة من الأراضي البور وحوّلت إلى بساتين ليمون وزيتون وأشجار مثمرة مختلفة كاللوز والمشمش والعنب والتين والأكي دنيا وغيرها. وكان أول بساتين الليمون في مرج شدغيث للأستاذ المحامي محمد داود حسان ثم انتشرت في كل النواحي.

ومع توسع الحرب الأهلية ودخول إسرائيل جنوب لبنان عام ١٩٨٢م توقفت إدارة حصر التبغ والتنباك عن استلام المحاصيل، فهجرت الناس زراعة الدخان وتوجهت لزراعة الخضار في الخيم البلاستيكية التي ضعفت أواخر الثمانينيات ولم يبق منها إلا ثلاثة ثم ما لبثت أن زالت هي الأخرى.

مطلع السبعينيات تعددت الآبار الأرتوازية واعتمد المزارعون الريّ في زراعتهم.

وأكثر ما أهتمت به معركة قديماً إلى جانب زراعة الحبوب (المورد الأساسي) شجرة التين التي اشتهرت بها في أنحاء جبل عامل حيث غطت أكثر من ثلث مساحتها وعرفت بفاكهة الصيف وحلاوة الشتاء.

في فصل الصيف كان الأهالي يهجرون البيوت إلى الكروم حيث يقيمون في خيم يصنعونها من الخشب والقش، وأمام الخيمة سياج من البلان يجفّفون في داخله التين المنشور على عشب طويل الساق يسمونه «سليحه». هذا التين المجفف يعدّ للشتاء فهو حلاوة وزاد الفلاح الذي يلازم جيبه طوال النهار في الحقل. يقول السيد حسن الأمين في كتابه «ذكريات الطفولة والصبا» (ص ١٣٠ـ) حين كان يرافق موكب والده السيد محسن الأمين في طريقه من صور إلى شقراء عام ١٩٢٠م - وفي مرورنا بقرية معركة، لا أزال أذكر، على جانب الطريق قرب معركة بضع شجرات من التين منفردة عن الكروم كنا لا نحجم عن أن نقطف بعض أثمارها اليانعة.

ويقول كبار السن ممن عاشوا هذه المرحلة كالسيد محمود جواد والحاج موسى عبدو طراد والحاج خليل إبراهيم سعد والسيد محمد

إبراهيم وغيرهم: إن معركة كانت عبارة عن الحارة الفوقا والحارة التحتا والأراضي حولها مغروسة بالتين والصبير كما البعيدة مغروسة بالتين. وأكثر أماكن الصبير كانت كرم البيطة والحمارة وأبو زقر والمحفرة وجوار مقام النبي محمد رشيد. أما أماكن التين المشهورة: كرم رضا، الصليعة، الشمال والوطاويط (نسبة إلى الوطواط)، الدحدوحة، الشمالية وكرم الداهوق ونواحي عين مكمورة وعين فقعين وفقعين والقزحة والشراقة وكرم الحلو ومرج البيضانية والبياضية وكرم الخروبة. وقد استمرت حتى أواخر الخمسينات. أما عن شجرة الزيتون فقالوا: كانت محدودة بما يقارب العشرة، منها كرم في المرج (النقعة) لآل الخليل وكرم الزيتون قرب الجبانه وهو مشَاع وكرم في جورة محي الدين لآل الخليل وكرم في المرج لآل الخليل وكرم للحاج إبراهيم والحاج صالح زين على بيدر الشمال وكرم للسيد محمد جواد خليل في خلة أبي العمش ولا يزال البعض من هذه الكروم والباقي اقتلع يوم بُهِرَتْ الناس بزراعة التبغ: ويقولون: أننا وأهلنا عشناها كما هي بجذوعها الضخمة مما يدل على قدمها وهم يسمونها «معنيه» نسبة إلى المعنيين من أمراء جبل لبنان، وهذا ما يترافق مع القول ان شجرة الزيتون والخرّوب جاء بهما الأمير فخر الدين المعني الكبير من إيطاليا إلى لبنان.

عام ١٩٣٦م - عام مسح الأراضي - توجهت الناس لزراعة الزيتون فكثرت الكروم لتوازي كروم التين. أما اليوم فإن كروم الزيتون هي المنتشرة في كل مكان من «معركة» وشجرة التين تكاد تنعدم لولا وجود بعضها في الجنائن والحدائق.

وهناك أشجار أخرى أخذت اهتمام الأهالي كالعريش والرمان والخروب واللوز والسماق والمشمش عدا الليمون الأكثر انتشاراً

واقتصادياً. ويروي هذا السن أن عريشة واحدة في العشرينات كانت في دار الحاج حسين خليل ثم تلتها واحدة لدى آل الزيود وواحدة عند الحاج محمد مصطفى مصاري ويصنعها مرتو خليل عبدالله مرادي فرما واسعا فوق بكره الصيف ولا يزال يحتفظ بالتسمية نفسها

الثروة الحيوانية

حدثني السيد محمود جواد وآخرون أن «معركة» حتى الخمسينيات كانت تتمتع بثروة حيوانية وفيرة من البقر والغنم والماعز والخيل والحمير والجمال. كان فيها ثلاثة قطعان من البقر قوام القطيع مئتا بقرة، ولكل قطيع راعيان وأكثر يتقاضون عن الرأس مداً من القمح سنوياً وقد عُرف القطيع بالعجّال. كما يوجد قطيع للخيل قوامه عشرون فرساً وحصاناً وله راعيان، وتسعة قطعان من الغنم والماعز يزيد عدد رؤوسها عن العشرة آلاف، وخمسة وخمسون جملاً ومئتان وعشرون حماراً.

أخذت هذه الثروة تتدنى شيئاً فشيئاً حتى غدت اليوم قطيعين للغنم والماعز وعدداً من الأبقار والحمير بينما لا يوجد فيها جمل أو حصان واحد.

أسباب هذا التدني الهائل والسريع جاءت متزامنة من مطلع الستينيات مع عامل الوظيفة والهجرة والإهتمام بزراعة الخضار والتبغ. والأهم من ذلك الوسائل الحديثة كالتراكتور أو الجرار التي حلت في الفلاحة محل الفَدان والحاصده والدرّاسة والسيارات التي جاءت بديلاً عن الجمال والخيل والحمير في النقل والسفر.

الصناعة

عرفت «معركة» منذ القديم صناعات اشتهرت بها كصناعة الدقاميق والمذاري والشواعيب والشواغر والجلالات وصناعة النير والعيدان. وإضافة إلى صناعة بلاطات الكبّه والكلس ومصدره «التون»، واستمر معظمها حتى الستينيات من القرن العشرين.

وقد اشتهرت منذ مطلع القرن العشرين بصناعة عصر الزيتون حيث دخلتها أول معصرة عام ١٩١٠م لصاحبها الحاج عبدالله يحيى خليل، وكانت تدار بواسطة الخيل أو الرجال وظلت تعمل حتى أوائل الستينيات. كان لها جرن قطره يوازي ثلاثة أمتار وحجران دائريان قطر الواحد ثلاثة أمتار، وقد حُملوا من رأس العين وكانت تجرهما كل قرية لخراج القرية المجاورة حتى «معركة» حيث مركز المعصرة في القبو - دار الإقطاع.

يروي السيد محمود جواد خليل أن الحاج عبدالله وأخيه إبراهيم الحاج يحيى خليل كانت لهما مطحنة في رأس العين تُدار بواسطة مياه بركها الغزيره وبعد التزام معركة من العثمانيين بواسطة يوسف آغا المملوك رأيا في حاجتهما للمعصرة فائدة أكبر فنقلا حجارتها وجرتها وحولاًها إلى معصرة. لكن معالم هذه المعصرة اندثرت بعد تفجير القبو رداً على تفجير الحسينية عام ١٩٨٥م. وعرفت معركة أول

مطحنة لصناعة الطحين عام ١٩١٥م لصاحبها المغترب يعقوب سعد بعد عودته من الأرجنتين؛ وعرفت أول فرن على الحطب عام ١٩٣٠م لصاحبه محمد علي سليمان؛ وأول كسارة لصناعة الحصى «البحص» عام ١٩٥٧م لصاحبها الحاج عبدالأمير حسان.

في السبعينيات نهضت معركة فتعددت فيها المصانع والمشاغل والمعامل. ثلاثة مصانع للأثاث المنزلي والأبواب الخشبية، وثلاثة مصانع للألمنيوم تهتم في الأثاث المكتبي والأبواب والديكورات، وخمسة مصانع للأبواب والشبابيك الحديدية وخزانات المياه. كما تعددت معامل الرخام والبلاط وأحجار الباطون نتيجة الحركة العمرانية المتزايدة، فبلغت أربعة معامل رخام وبلاط وعشرة معامل لأحجار الباطون. وفي عام ١٩٧٣م دخلتها أو معصرة حديثة لعصر الزيتون تعمل بالكهرباء. وفي عام ١٩٧٨م أول كسارة تعمل بالكهرباء.

أما اليوم فقد ارتفع عدد الأفران إلى الخمسة، أهمها فرن رومية في الشرق وهو أوتوماتيكي. وفيها مشغل للملابس القطنية والصوفية ومعملان لتصنيع الحلويات والسكاكر.

التجارة

شكلت الصناعات السالفة الذكر قديماً وحديثاً حركة تبادل تجاري مع القرى المجاورة، وخاصة السوق المحلي الذي يصادف يوم الثلاثاء من كل أسبوع حيث يكتظ بالباعة ويزدحم بالزبائن. إلى جانب العديد من المحلات والمؤسسات التجارية الممتدة على طول شارعها الرئيسي والمحتوية على كل حاجات الناس الغذائية والمنزلية والملابس وأدوات البناء والكهرباء والمياه.

إضافة إلى موارد الزراعة والتجارة والصناعة فإن عامل الوظيفة مورد أساسي في معركة إذا يعمل على تحريك كل القطاعات، فقلّما يخلو بيت من موظف أو اثنين لا سيما في قطاع التعليم، فيها أكثر من ثلاثمئة معلم وهم يتوزعون على مدارسها ومدارس القرى المحيطة بها، فكل معلمي مدرسة باريش ومديرها من معركة وكذلك جميع مدرسي مدرسة الحميري، ومديرها من «معركة» إضافة إلى المدرسين في طورا وبدياس وطيردبا ويانوح والمجادل ودبعال. هذا إلى جانب عدد كبير من الموظفين في الجيش والدرك وفي الدوائر الحكومية والوزارات.

الطرق ووسائل النقل قديماً وحديثاً

اعتمدت «معركة» قديماً وسائل النقل المتبعة في كل القرى العاملية كالخيل والجمال والبغال والحمير في المسافات القريبة والبعيدة حتى في مواسم الحج والزيارات إلى العراق وإيران والشام.

رغم دخول السيارات إلى جبل عامل في أوائل القرن العشرين إلا أن التنقل بين القرى ظل يعتمد على وسائل النقل القديمة لعدم توفر السيارات والطرق المعبدة.

معظم القرى في جبل عامل لم تعرف الطرق المعبدة قبل أواخر الخمسينيات باستثناء بعضها التي مرت فيها الطرقات عبر خط الساحل أو الطرقات الرئيسية التي تربط مركز القضاء بالساحل وصولاً إلى المدينة. فقد نعمت جويّا عام ١٩٢٠م بتعبيد طريقها التي تصل تبنين ببنت جبيل مركز القضاء كما يقول السيد حسن الأمين في كتابه «الذكريات من الطفولة إلى الصبا» بينما لم تصل الطريق إلى معركة إلا عام ١٩٣٦م حيث اتصلت بصور، وأهمل القسم الثاني منها إلى جويا رغم تلزيمه ورصفه بالأحجار والحصى إذ أوقف تنفيذه نتيجة الصراع الدائر بين أحمد الأسعد وكاظم الخليل، فالمستفيد منه آل الخليل بمروره بالقرب من ألفي دونم من أراضيهم بين معركة وجويا والمعروفة بفقعين.

وأخيراً تم تعبيده من قبل مجلس الجنوب عام ١٩٨٢م حين همدت أصوات الطرفين.

«معركة» دخلتها أول سيارة عام ١٩٢٨م لصاحبها حسين حب الله[١] ثم تلتها سيارة للحاج محمود حمود عام ١٩٣٥م بعد عودته من الأرجنتين[٢] وكانت تقطعان الطريق إلى صور عبر طريق ترابيه.

وقد عرفت أول جرار «تراكتور» زراعي عام ١٩٥٣م لصاحبه إبراهيم خليل نجم، وأول شاحنة عام ١٩٥٥م لصاحبها الحاج عبدالأمير حسان، وأول «بوسطة» عام ١٩٥٦م حيث كانت تقوم برحلة يومية بين معركة وصور وبيروت، وأول درّاسة عام ١٩٦٥م.

أما اليوم فإن عدد السيارات يكاد يتجاوز عدد الأفراد فقلّما يخلو بيت من سيارة أو أكثر. وفيها عشرون جراراً زراعياً وخمس جرافات صغيرة.

أما الطرق التي تصلها بغيرها من المدن والقرى فأهمها الشارع الرئيسي الذي يصلها بصور غرباً وتم تعبيده عام ١٩٣٦م بطول عشرة كيلومترات وبجويا والقرى المحيطة بها شرقاً. وتم تعبيده عام ١٩٨٢م بطول ثمانية كيلومترات.

هناك طريق يصلها بالعباسية وطورا مروراً بعين شدغيث تم تعبيده عام ١٩٨٢م من قبل مجلس الجنوب إلا أنه لم يطل أمده لقد أتلفته وخربته الدبابات والملالات الإسرائيلية في اجتياح عام ١٩٨٢م وقد أعاد إصلاحه وتعبيده مجلس الجنوب عام ١٩٨٦م بعد خروج إسرائيل من الجنوب.

---

(١) المختار أحمد محمد خليل سعد.

(٢) المختار أحمد محمد خليل سعد.

وطريق يصلها بوادي جيلو ويانوح مروراً بوادي الحضاية وصولاً إلى طريق عام البازورية ـ جويا. نفّذ تعبيده مجلس عام ١٩٨٢م وأعاد تعبيده بعد خروج إسرائيل لما أحدثت فيه دباباتها وآلياتها من تخريب وأخيراً طريق يصلها بباريش ومعروب وصولاً إلى خط عام صريفا وشحور وقد تم تعبيده عام ١٩٩٦م.

الحركة العمرانية

شيد الأهالي قديماً بيوتهم من الحجارة واللبن ذات الحيطان العريضة التي تتجاوز المتر تقريباً، ولها أسقف حملت على قناطر فوقها الخشب والقصب والبلان وفوقهم جميعاً التراب بسماكة نصف متر.

يحدّث كبار السن أن هذه البيوت كانت مريحة للغاية في الصيف لكنها في الشتاء عاجزة عن مقاومة الأمطار الغزيرة حيث تُشبع السقوف بالماء فتتسرب إلى الداخل، مما جعلهم يهجرونها «مع مواشيهم التي تشاطرهم البيت فلها الإصطبل مضافاً إليه التبانة» إلى المغاور والكهوف.

ويحدثون أن عدداً قليلاً من البيوت في الثلاثينات كانت أسقفها من الاسمنت أو ما يسمونه «كسرمل» وكانوا يطلقون عليها «عدسة أو عدسي» وارتفعت هذه الظاهرة مع منتصف الخمسينات.

إلا أنه في الستينات بدأت «معركة» تهجر البيوت القديمة وتشيد أبنية حديثة. وبالتوجه لزراعة الخضار والسفر إلى ليبيا في منتصف الستينات توسعت حركة البناء توسعاً ملحوظاً، وفي مطلع السبعينات كانت معركة قد نعت آخر البيوت القديمة. عام ١٩٧٥م بدأت الحرب الأهلية في لبنان فهاجرت أعداد غفيرة من أهالي معركة بنسبة

واحد من ثلاثة (الثلث) إلى ليبيا والخليج وأفريقيا وبعثوا برؤوس الأموال إلى أهلهم وذويهم فشادوا أجمل العمارات والدور في كل ناحية من مساحتها الواسعة. وبعد انسحاب إسرائيل من معظم أراضي الجنوب وتمركزها في ما سمي بالشريط الحدودي، أصبحت المناطق المحررة أهدأ مناطق لبنان فاستتب فيها الأمن مما حدا بالذين يعملون في بيروت منذ زمن بغيد واتخذوا لهم فيها سكناً أن يعودوا إلى قراهم لا سيما أبناء معركة. وهكذا شهد الجنوب ومعركة في الثمانينات وأوائل التسعينات حركة بناء مدهشة وانتشرت على التلال والروابي فحاكت القرى المجاورة وتداخلت مصالحها فصار يشكُلُ علينا البيوت لطيردبا أم لمعركة ولباريش أم لمعركة ليانوح أو لمعركة لبافليه ودبعال أم لمعركة.

الوضع الصحي

ظلت الوقاية الصحية في «معركة» حتى أوائل القرن العشرين تعتمد على الطب العربي من مستحضرات الأعشاب حيث يتم غليها أو دقّها فيشَرب منها أو يدهن فيها. كما اعتمدت كثيراً على التشفي بالآيات القرآنية وأدعية أهل البيت (ع)، حيث كان يُقرأ أو يُعلق على المريض (حرز) أو يُشرب أو يُغسل مكان الوجع بمائها.

كانت الأمراض الخطيرة لا تجد مُسكّناً ولا علاجاً إلا الموت. وكانت نسبة الوفيات عالية وأكثرها ناتج من تلوث المياه وقلتها فهي لا تسد الحاجة لغسل الثياب أو التحميم، ونسبة الوفيات في الأطفال مرتفعة أي كل عشرة أطفال يعيش منهم أربعة أو خمسة تقريباً.

وقد أشتهر خلال هذه المرحلة الحاج حسين طراد في قلع الأسنان، وبالطبع من دون (بنج)، وكل عدّته خيط يربط به السن أو الضرس مشدوداً بمسمار إلى خشبة يقف عليها صاحب السن ثم يغمض عينيه ويشد برأسه بسرعة إلى الأعلى فينقلع السن. أو بواسطة كماشة يمسكه بها ويقلعه. وقد أدركنا ولده الحاج محمود طراد جيداً والد الشيخ أحمد طراد وقد مارس المهنة بعده بنفس الطريقة في الأربعينات.

ناهيك عن الحاج حسن سعد فقد اشتهر في الختان (التطهير)، كما اشتهر سلامه روميه في تجبير العظام.

مع بداية عهد الانتداب عرفت «معركة» الطب الحديث على يد الدكتور محمد أفندي جردلي الذي استعمل السماعة وآلة الضغط والأبر ووصف الأدوية الحديثة، وقد اشتهر في معظم القرى العاملية إلى أن قتله عبد الحسن سرور أحد رجال صادق حمزة في سوق جويا[1]. والسبب الذي أودى بحياته حادثة وقعت بينه وبين الأفندي، يوسف الخليل، فقد كانت العادة المتبعة عندما يذبح الجزار ألاّ يتقدم أحد لشراء اللحم قبل الأفندي الذي يختار طلبه من اللحم. وجاء الدكتور محمد أفندي جردلي وطلب من الجزار أن يبيعه لحماً، فأجابه الجزار لم يأتِ الأفندي بعد، فردّ الدكتور هو أفندي وأنا أفندي، أنا أدفع ثمن ما اشتريه وهو لا يدفع. وعلم الأفندي يوسف بالأمر فوشى به إلى عبد الحسن سرور. وكانت بين الأفندي وصادق علاقة وديّة تعود لمهاجمة صادق مدينة صور وتسليمه رسالة من الحاج إسماعيل الخليل المسجون في سرايا المدينة، يبلغ فيها صادقاً عن تحركات الجيش الفرنسي في منطقة البص، حملت الرسالة امرأة اسمها دلّة حسان وسلّمتها إلى يوسف الخليل وبدوره أرسلها لصادق في وادي المغاور[2].

وحلّ محلّه ولده الدكتور جميل جردلي وكان أمهر منه وعوناً لمعركة في الثلاثينات والأربعينات، وظل يمارس مهنته حتى توفي عام ١٩٨٩م متجاوزاً التسعين سنة. وفي مطلع الثمانينات بدأت معركة تنعم صحياً في ظل عدد من الأطباء المرموقين الذين تخرجوا من مختلف الجامعات الدولية في اختصاصات متنوعة، ومن أبرزهم الدكتور سعد الله روميه في الجراحة العامة والدكتور مصطفى جرادي

---

(١) السيد محمد جواد مغنية وجماعات كثر (وهي شائعة).

(٢) الحاج موسى عبدو طراد؛ الحاج خليل ابراهيم سعد.

في جراحة العظم، والدكتور محمد عجمي في جراحة الأنف والأذن والحنجرة والدكتور علي عبدالكريم خليل في طب الأسنان والدكتور خليل خليل في طب القلب والشرايين وغيرهم. وجميع الأطباء إلى جانب عياداتهم في معركة لديهم عيادات في صور وتربطهم عقود في مستشفياتها.

١ ـ المستوصفات

مستوصف الإنعاش الاجتماعي: أنشىء عام ١٩٧٠م وكان يعاين فيه طبيب واحد يومياً لمدة ثلاث ساعات، المعاينة والدواء مجاناً. وقد تعرض لهزات عديدة كادت تفقده دوره نهائياً. ففي عام ١٩٧٢، أقفل ليعاد تشغيله بعد أشهر من قبل الحركة الاجتماعية في معركة، وهي فرع من الحركة الاجتماعية في لبنان التي يرأسها المطران غريغوار حداد، وقد تعاونت مع المخيم الكشفي الذي يضم طلاباً أوروبيين بينهم أطباء في الصحة والأسنان، استمرت الحركة الاجتماعية في مهامها بالمستوصف حتى عام ١٩٧٦م حيث تسلمته قوات الطوارىء الدولية العاملة في معركة وتتخذ منه مركزها الأساسي (القوات السنغالية وقوامها ٦٠٠ عنصر) في العام ١٩٧٨م بعد الغزو الإسرائيلي لجنوب الليطاني.

وفي العام ١٩٨١م أعيد العمل بالمستوصف من قبل الإنعاش الاجتماعي بطريقة أفضل من ناحية الطبابة والمساعدات الاجتماعية والإنسانية. واستفادت معركة كثيراً خلال الاحتلال الإسرائيلي من الخدمات الصحية التي قدمتها القوات السنغالية في مركزها.

مستوصف الشهيد حيدر خليل الطبي: تأسس في آذار ١٩٨٩م في مبنى الحسينية. كان يفتح طوال ساعات النهار ويتواجد فيه طبيبان

أو أكثر يومياً على مراحل ويتقاضى نصف ثمن الدواء والمعاينة بثمن رمزي.

٢ ـ الصيدليات

أولى الصيدليات افتتحها الدكتور هاني روميه عام ١٩٨٠م، وقد لعبت دوراً مهماً أثناء المواجهات مع إسرائيل. وفي مواجهة ٢٤ شباط ازداد نشاط الدكتور هاني في بيته فقد استوعب الجرحى الذين فاقوا الخمسين وعالج جروحهم الخفيفة والبليغة مستعيناً بالصيدلية وما فيها من أدوية وبنج وأبر واستعمل الشفرة والأبرة والخيط. في الوقت الذي حوصرت به معركة ومُنع الخروج منها وكان الجرحى مطلوبين.

صيدلية جواد سعد، افتتحها عام ١٩٨٢م ولها فرع آخر، في صور.

صيدلية كمال سعد، افتتحها عام ١٩٨٨م ولها فرع آخر في بيروت.

صيدلية مستوصف الشهيد حيدر خليل افتتحت عام ١٩٨٩م.

صيدلية الدكتور يوسف حاج علي عام ١٩٩٠م.

جميع هذه الصيدليات أقفلت فبعضها لا يحمل ترخيصاً وبعضها الآخر رأى في الانتقال إلى صور أو بيروت مصلحة أكبر.

صيدلية لينا، لصاحبها الصيدلي إبراهيم عبدالله، افتتحت عام ١٩٩٨م وتحمل ترخيصاً ولعلها الوحيدة التي استطاعت تأمين كافة الأدوية وتلبية حاجة معركة والقرى القريبة.

الكهرباء والهاتف

١ ـ الكهرباء

في منتصف الستينات أنيرت البلدة بالكهرباء وبعد الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٧٨م تعطلت إنارة الشوارع. وفي مطلع الثمانينات، ومع انتشار حركة البناء ووجود عدد من المصانع، لم تعد الطاقة المخصصة تكفي إلى جانب الخط الذي يغذي المنطقة من المعشوق إلى وادي جيلو مما أدى إلى انقطاع الكهرباء باستمرار.

بقيت البلدة على هذه الحالة حتى ظهرت همجية عناقيد الغضب الإسرائيلية في نيسان ١٩٩٦م إذ حُلّت مشكلة الكهرباء ووصلت أعمدتها إلى البيوت كلها مهما بعدت وأصبح لكل حيّ محطة خاصة به. ومع انتخاب المجلس البلدي في العام ١٩٩٨م أُنير الشارع الرئيسي في أوائل أيلول من العام ١٩٩٩م كخطوة أولى تبعتها الشوارع الأخرى كامل البلدة.

٢ ـ الهاتف والبريد

دخلت مطحنة البن إلى معركة في الستينات في محل السيد أحمد علي خليل المجاور للساحة العامة وكذلك الهاتف الذي ترتبط به طيردبا ويانوح عبر أعمدة وأسلاك. وكان المشتركون في معركة

ثلاثة هم الحاج عبدالأمير حسان والحاج أحمد سعد و«أبو عصام» وطالب لطف. وسرعان ما قطع بعد الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٧٨م.

وفي مطلع التسعينات، وبمبادرة خاصة، أسس رضا سليمان سنترالاً محلياً ودولياً ووفّر الإشتراكات إلى غالبية البيوت. وحُلّت مشكلة كبيرة، هي وجود معظم شباب البلدة في بلاد الإغتراب. إما للعمل وإما للدراسة. وبعد مضى ثلاثة أعوام أقام محمد بري مركزاً آخر ووفر اشتراكات للأهالي. هذا ولا يخفى أن أجهزة «الخلوي». قد دخلت معظم البيوت وحملها المشتركون كما يحملون علب السجائر.

وفي النصف الثاني من عام ١٩٩٩م، قامت الشركة العربية بإنشاء مركز للهاتف والبريد قرب الثانوية، وقامت بأعمال الحفر والتمديدات ونصب الأعمدة على كامل مساحة معركة تأسيساً لهاتف أوتوماتيكي يبدأ بالعمل في العام ٢٠٠٠م.

في البدء كان ساعي البريد يأتي البلدة راكباً على الخيل ليسلم الرسائل باليد لأصحابها أو للمختار، بعد فترة صار يتنقل على دراجة نارية ومع وجود مركز للهاتف والبريد أصبحنا نستلم رسائلنا أو يدعى المرَسَل إليه ليستلمها باليد إذا كانت مهمة وبعد التوقيع اشعاراً بالاستلام.

الفصل الثالث

التاريخ والصراع مع الإقطاع

جبل عامل قبل الحكم العثماني

غموض شديد يلف تاريخ جبل عامل في هذه المرحلة الزمنية من تاريخه علماً انه كان حاضراً ومؤثراً في واقع المنطقة السياسي والعسكري والاقتصادي. يرد المؤرخون العامليون وغيرهم هذا الغموض لحرق مخطوطاتهم الثمينة في أفران عكا بعد مهاجمة الجزار لجبل عامل وجمعها من مكتبات العلماء الكبار.

وهناك أسباب كثيرة أخرى منها: ان تشيّع هذا الجبل جرّ عليه ويلات كثيرة عبر تاريخه، وكان يدفع في كل مرة الثمن غالياً فتدمر قراه وتقتل خيرة أبنائه. والفاعل ليس أمريكياً ولا انكليزياً ولا فرنسياً بل كانت النعرات الطائفية السياسية الحاكمة، والتي لا يزال موروثها في أكثر من مكان من العالم إلى اليوم. فبين مرابطة أبي ذر الغفاري في صرفنده والذي أصبح رباطاً لأبناء الانصار من ذرينة وذرية أبي الدرداء الأنصاري إلى رحلة ناصر خسرو ٤٢٨ هـ نجد دسّاً مفتعلاً لتاريخ هذا الجبل. بينما يخرج قوياً وهو يقارع الصليبيين بهمة قائده بشارة بن أسد الدين بن عامر بن مهلهل بن سليمان بن أحمد بن سلامة العاملي وقد ناصر صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ. ١١٨٧م. وفي سنة ١١٨٩م. ٥٨٥ هـ استولى صلاح الدين على بانياس فاقطعها لابن بشارة وله تعود تسمية البلاد العاملية ببلاد بشارة.

ويحدث الشهابي في حوادث ٥٨٤ هـ ص ٣٨٣ ان زعيم عامله كان شيعياً وكان يحكم على ستين الفاً من الشيعة.

نلاحظ من خلال ما تقدم أن جبل عامل كان يحمل سيفين سيف العروبة وسيف الإسلام، رأيناه مع أبي ذر في حماية الثغور من الروم ومع صلاح الدين في محاربة الصليبيين واجلائهم عن العالم العربي والإسلامي.

بينما سنجده يدفع الثمن بعد ضعف الدولة الأيوبية والقضاء عليها من قبل المماليك. لقد جرّد المماليك الحملات ضد الشيعة في لبنان حتى اختفوا تدريجياً ولم تبق لهم أغلبية إلاّ في صور(٣).

صحيح إن المماليك ردوا الغزو المغولي وطهّروا السواحل من الصليبيين الذين كانوا في صور وعكا. ولكن كيف نفسر سياستهم الدينية بالقضاء على الشيعة وهم إسلام وكانوا يؤازرون الدولة الصلاحية في القضاء علي الصليبيين.

فبعد سقوط عكا وصور في ايديهم سنة ١٢٩١ م ٦٩٠ هـ فرضوا على القرى العاملية جزية كما يفرضونها على المشركين ووقفوا قرى وكأنها قرى غير مسلمة. إن الوقفية ١١١٠ و١١١١ تتناول هذه التفاصيل، ففي الوقفية ١١١٠ ورد إنه بعد أن فتح الملك الأشرف خليل بن قلاوون عكا سنة ٦٩٠ هـ أوقف على قبر أبيه في القاهرة قرى معركة وصديقين. . . . من ولاية صور(٤)، وفي الوقفية ١١١١ تعداد لخمس وثمانين قرية كلهافي ولاية صور بجزية لا تطاق.

---

(٣) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ١ ـ ١٦.

(٤) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات** ج ٨ ص ١٢١ـ ١٢٢؛ المقريزي، **السلوك**، ص ٧٦٩.

معركة زمن الحكومات الإقطاعية

كانت بلاد عاملة أو بلاد بشارة زمن الحكم العثماني تقسم إلى قسمين رئيسين هما: بلاد بشارة الشمالية وبلاد بشارة الجنوبية ويفصل بينهما نهر الليطاني أو القاسمية.

وفي كل ناحية أو قسم منها أربع مقاطعات، ففي الجنوبية تبنين، هونين، ساحل معركة، ساحل قانا، وفي الشمالية الشقيف، الشومر، التفاح، جزين[١].

ويحكم هذه المقاطعات أسَر محلية تؤدي إلى الدولة العثمانية ضريبة مالية تدفع لخزينة الدولة مقاسطة على اثني عشر شهراً. وأشهر هذه الأسر آل منكر وآل علي الصغير وآل صعب. ويذكر الشيخ علي الزين (ان هناك أسراً تولت الحكم في بعض الفترات السياسية ولكن لم يستقم لها طويلاً كما استقام لهذه الأسر الثلاث ومن تلك الأسر آل شكر في بلاد بشارة وساحل معركة ومقدمي جزين الخزرجيين في أقليم جزين وآل الزين في بلاد بشارة وساحل معركة وآل برو في الريحان وآل داغر في انصار وآل شامي في بنت

(١) شبيب الأسعد، العقد المنضد، ص ١٨ - ١٩.

جبيل، وأشهر الأسر العاملية آل علي الصغير وآل سودون وآل منكر وآل صعب وآل شكر، وقد برزت هذه الأسر في جبل عامل بين ١٥١٦م - ١٨٦٤م. ويحدد السيد الأمين فترة حكم الأسرة الوائلية منذ حوالي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م إلى سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م أي بنحو خمسمائة سنة لم يتخللها إلا حكم الشكريين وهو لم يتعد عشرين سنة وملك الجزار من سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م إلى سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م وهو اثنان وعشرون عاماً، ثم عاد الوائليون بعد ذلك التاريخ إلى حكم إمارتهم[٢]. ويؤرخ الأمين الواقعة بين الشكريين وعلي الصغير سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م. يلاحظ من السرد التاريخي للأسر الحاكمة في جبل عامل أن المقاطعات الجنوبية قد حكمتها أسرة قوية هي الأسرة الوائلية، وإنْ غابت أو كبتْ لسبب من الأسباب تعود قوية برجال يشهد لهم في الدفاع عن جبل عامل أمثال محمد بن هزاع الوائلي وعلي الصغير ومشرف بن علي الصغير وناصيف النصار وحمد المحمود وعلي الأسعد.

هكذا يكون حكم المقاطعات خلال خمسمائة سنة للأسرة الوائلية. أولاها حكم أسرة آل سودون أيام حكم حسين بن علي الصغير الذي عاد فانتقم منهم وأفناهم قتلاً وتشريداً ولم يقم لهم بعد قائمة[٣] وكان ذلك في أواخر القرن السادس عشر ومطلع السابع عشر الميلاديين.

وثانيها حكم أسرة آل شكر لبلاد بشارة الجنوبية ردحاً من الزمن

---

(٢) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**. ج ١٥/٥٦.

(٣) آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ٣٩ - ٤٠، نقلاً عن مخطوطة عاملية لم يحدد كاتبها.

بعد أن تغلبوا على الوائليين بزعامة الشيخ حسين بن أحمد الوائلي والد علي الصغير ودام حكمهم من العام ١٠٢٢هـ ـ ١٠٥٩هـ، والظاهر أن آل شكر اختاروا ساحل معركة مقراً لهم بعيداً عن أماكن قوة الأسرة الوائلية في تبنين وبنت جبيل وهونين.

وفي معركة بالتحديد تركوا ما يدلّ على آثارهم مسجدين في الحارة الفوقا ومقاماً لعبد صالح يطلق عليه «النبي محمد رشيد» ومقبرة شرقي المقبرة الحالية مساحتها أكثر من دونم قبورها دارسة.

كانت نهايتهم على يد علي الصغير في حادثة ١٠٥٩هـ، وقد عادت الأسرة الوائلية تحكم من جديد حتى هجوم الجزار على جبل عامل سنة ١٧٨٠م فهزم زعيم الوائليين ناصيف النصار أقوى رجالات الشام كما عُرف عنه إثر مباغة الجزار له، وبمعركة غير متكافئة سقط ناصيف عن فرسه والتي وقعت عن صخرة وهي تصول وتجول. واستمر الجزار على جبل عامل حتى سنة ١٨٠٤م، وبعدها عادت الأسرة الوائلية لتحكم المقاطعات الجنوبية، ولا يخفى فقد قامت تحركات وهجمات على جيش الجزار في تبنين وغيرها ـ بما يشبه اليوم حرب العصابات ـ لكنه استطاع أن يخمدها بهجومه على قرية شحور فقتل فيها حمزة بن ناصيف النصار وعدداً كبيراً فاق المئتين، وهرب المرشد الروحي، الشيخ على الزين. إلاّ أن نقمة الجزار كانت أسوأ ما شهده جبل عامل في تاريخه، لقد قتل منْ قتل وشرد من شرد وسجن من سجن، وأحرق القرى ودمرها وجمع كل المخطوطات من المكتبات وحملها إلى عكا وأشعلها في أفرانها. لقد قضى على كل شيء حتى ليخيل للناظر أنها نكبتّ بزلزال مدمر.

ولم تقم هذه الديار إلا بعد موته عام ١٨٠٤م ومجيء سليمان باشا يحكم ولاية عكا، فعاد العامليون إلى جبل عامل ونزلوا حيث

وصل بهم التعب لا من حيث رحلوا، لقد تساوت الأماكن كلها أو اختلطت. فأعيد تشييد البيوت واكتظت القرى بسكان جدد غير الذين نزحوا منها. وعاشت البلاد خلال هذه المرحلة بأمان؛ وازدهرت اقتصادياً ولم يُعكر صفوها إلا الحرب المصرية على بلاد الشام ما بين العام ١٨٣١م والعام ١٨٤٠م.

بعد وفاة حمد المحمود عام ١٨٥٢م جاء علي الأسعد ليحكم حتى وفاته عام ١٨٦٤م. بعد ذلك وقعت خلافات في الأسرة نفسها على الزعامة، قسقطت الحكومة الإقطاعية الثالثة وحكم الأتراك البلاد حكماً مباشراً وقد انتهت حياة جبل عامل السياسية واستمرت الحال عليه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى(٤).

(٤) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص ١٦٤.

مرحلة الحكم التركي المباشر

تمتد من العام ١٨٦٤م حتى العام ١٩١٨م نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية فيها، وقد لعبت تركيا خلال هذه المرحلة المسماة بمرحلة الحكم التركي المباشر في جبل عامل دوراً خطيراً إذ ضربت الحركة الاستقلالية التي كان يتمتع بها جبل عامل عندما ضربت زعامته التقليدية، ثم عمدت إلى تأليب جيران هذا الجبل واستعملت الدسائس والفتن بين زعمائه. ولما تمَ لها ذلك أقصت الزعماء عن الحكم والسيطرة، ومنحت صلاحيات واسعة للوجهاء وزعماء الأسر من ذوي الدرجة الثانية. وكانت لا ترد لهم طلباً بشأن تنصيب الحكام وعزلهم، وأغرت كل فئة بالأخرى ليتسنى لها حكم البلاد وعلى هواهم وكيف يبتغون[1] وإذكاء النعرات بين الزعماء وإعادة ضربهم ببعضهم ليتطاحنوا على حساب الشعب ليشكل امتداداً للخلافات التي ما كانت لتستقر حيناً حتى تنشب أحياناً. فبعد أن كانت في البداية داخل الأسرة الإقطاعية الواحدة انتقلت إلى طبقات الأهالي، فكانت بين آل علي الصغير والزين في شحور وآل فرحات في ميس وبرعشيت وآل العبدالله في الخيام. . . أمام هذه الأجواء القائمة كانت تنشأ الحركات الثورية ضد العثمانيين

(١) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ١٦١.

وبخاصة بعد الثورة التي قامت في مكدونيا وانتهت بإسقاط عبد الحميد. وفي سنة ١٩١٣م عقد مؤتمر باريس وهو مؤتمر عربي يمثل شتى الاتجاهات المعارضة للمركزية التركية على اختلاف جذورها الثقافية وإنتماءاتها الإيديولوجية السياسية، ووقف الأتراك بشتى الوسائل وقامت الثورة العربية الأولى وقد أطلق الشرارة الأولى الأمير فيصل سنة ١٩١٦م. شهدت هذه الحقبة محاولة لإقامة الوحدة الإسلامية بعزيمة عدد من المفكرين أمثال: عبد القادر قباني ورشيد رضا وشكيب أرسلان وعبد الرحمن الكواكبي والسيد محسن الأمين[٢]. وفي سنة ١٩١٨م انتهت الحرب العالمية الأولى وقد شهد جبل عامل حياة معيشية وصحية في منتهى الإساءة.

(٢) وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، ١٨٦٠م - ١٩٢٠م ص ٨.

معركة ومشروع الالتزام

أُلغي الحكم العشائري وحلَّ محله الحكم التركي المباشر الذي نصّ على حقّ ممارسة الإلتزام لوجهاء القرى وأعطاهم صلاحيات واسعة، فالتزم ابراهيم الحاج يحيى خليل من صور قرية معركة وكان عاملاً عند يوسف آغا المملوك كبير وجهاء صور وقد كان جده حسين المملوك من قبل يعمل في ديوان الجزار الذي أوكل إليه مهاماً كثيرة في جبل عامل. يوسف آغا المملوك هذا كان ظالماً مستبداً وقد أقام مشنقة في الرمالي لا تزال قائمة إلى اليوم.

لما كانت معركة تتبع صور إدارياً، أشار يوسف آغا على إبراهيم الحاج خليل أن يسكن معركة ويضمن له التزامها من الحكومة التركية. فجاء معركة وسكن أول أمره في البيت المجاور للمسجد التحتاني لجهة الغرب تفصل بينهما الطريق العام ـ تسكنه اليوم أسرة حسن عيسى روميه[1] ـ وكان ذلك عام ١٨٦٥م فأرهق الناس بالضرائب. يقول صاحب كتاب جبل عامل محمد جابر آل صفا: بعد قانون مسح الأراضي والتمليك، كانت الرسوم على الأراضي والضرائب بين «ويَركو» رسم مقطوع على الأرض مطلقاً و«أعشار»

(١) روى لي هذه الحادثة كل من السيد محمود جواد خليل والحاج موسى عبدو طراد، وقد جاوزا التسعين ونيف.

رسم على إنتاج الأرض والشجر بطريق الإلتزام وضريبة «المسقفات» على الدور والبيوت، وبدلات طرق على كل شخصٍ بلغ السادسة عشرة حتى الستين من عمره بات يعمل أربعة أيام بإصلاح الطرق التي تنشئها الدولة أو دفع ستة عشر قرشاً أميرياً وويركو شخصي أو تمتع رسم على التجار والباعة. وكانت الحكومة التركية تطبق هذه القوانين على غير هدى وفي ما لا يتفق مع نصوصها مع ما منيت به من فساد واختلال وضمائم وملحقات). وقد قضت على زراعة التبغ بالحصر ومنحت احتكارها للشركات الأجنبية إذ كانت المورد الرئيسي لجبل عامل منذ زمن بعيد. ويطول بنا الشرح إذا ما استعرضنا أضرار تلك الضرائب، ولا سيما الأعشار وما كان يرافقها من ظلم وفظائع كقطع الأشجار والاقلال من زرع الأرض تخلصاً من دفع الضرائب بعيداً عن الظلم والجور يضاف إلى ذلك ما كان يبتزه عمال الدولة من مال الشعب بطريق الرشوة لإرهاقه وافقاره. وهذا ما عاشته معركة في ظل إبراهيم الحاج يحيى خليل حتى ضاق العيش بأهلها، فكل ما يحصلونه لا يكفي لسد الضرائب المفروضة وإسكات الملتزم. فهجر أهلها الأرض والزراعة وباعوا ما عندهم وفضلوا العمل بأجر يومي أو العمل مقابل الطعام. هذه التدابير جرّت عليهم ويلات جديدة فصار الملتزم يضمّ الأرض لنفسه حتى صار مالكاً كبيراً والناس عنده أجراء ولكنه عاملهم معاملة العبيد، فأمرهم مكرهين على بناء بيت كبير له على نمط القلاع القديمة محاذٍ للساحة العامة لجهة الشرق واستغرق العمل في بنائه ستة أشهر سخّر فيها الرجال والنساء والخيل والحمير والجمال وكان ذلك في العام ١٨٧٠م.

هذا الواقع الإجتماعي المرير الذي عاشته معركة والقرى العاملية

صوّرة لنا الشاعر الكبير الشيخ عباس البلاغي الذي ضيق عليه الملتزم إبراهيم الحاج يحيى خليل وسلبه كل أرضه «الرمالي» التي كانت من أملاكه، فساحل معركة كان يصل إلى البحر. كما سلب إبريان من آل زيدان وجوار النخل من آل طالب، يقول البلاغي وهو من الشعراء اللامعين في تلك الأيام، بل ومن الشعراء المجددين في الشعر العاملي الذي ما عرف مجداً إلا في قصيدة المدح والرثاء ربيب بيوت الزعماء.

طغت سفهاء عامل في البلاد | وفيها أظهروا كل الفساد
لقد ظلموا العباد ولم يخافوا | من الرحمان في ظلم العباد
كأنهم بأموال البرايا | رياح عاصفات في رماد
إذا العشّار وافى نحو قوم | تراهم هائمين بكل واد
من التقدير أهل الملك أضحت | تحيي بالسلام على الجراد
وإن بكا الأرامل واليتامى | له لان الأصم من الجماد
فكم نادت بذل واستجارت | ولكن لا حياة لمن تنادي
لقد عاثوا بعاملة فساداً | كأنهم بقايا قوم عاد[٢]

وزاد على ذلك شدةُ ما فرضته الدولة التركية من قانون التجنيد الإجباري، وكانت مدته أول الأمر عشرين سنة تُدعى عسكرية أو احتياط، ثم عُمل على تعديله فصارت الخدمة الفعلية ثلاث سنوات تبدأ في أيام السلم عند بلوغ المكلف الواحد والعشرين من العمر،

(٢) الأمين، خطط جبل عامل، ص ٩٢.

والخدمة الاحتياطية مدتها ست سنوات يدعى المكلف إلى الخدمة عند الحاجة، والرديف مدته عشر سنوات ولا يدعى عادة إلا عند الحاجة الشديدة وبعد دعوة الاحتياطي، والمستحفظ مدته خمس سنوات ولا يدعى رجاله إلا أبان الحرب وعند الضرورة القصوى ويستخدمون عادة في الخدمات البسيطة لكبر سنهم.

كانت الأنظمة والقوانين لا يُعمل بها على حقيقتها بل يتلاعب بها الولاة والملتزمون كما يشاؤون، فانتشرت أعمال السلب والنهب والرشوة ولم تُقبل شكوى المظلوم ولا أمل بإصلاح حتى ضاقت أنفاس الناس، فمنهم من وقع في شباك التجنيد الإجباري ومنهم من فرّ من البلاد باتجاه الأميركيتين وغيرها.

لقد شمل التجنيد الإجباري عدداً كبيراً من خيرة شباب معركة نذكر منهم: إبراهيم حمود، الحاج إبراهيم خليل أبو يحيى، علي زين، مهدي زين، خليل الحاج أسعد حسان، حسن مصطفى خليل ذيب، سليم مصطفى ذيب، الحاج إبراهيم عيد، محمود دهيني، مصطفى عجمي، الحاج عبدالله جرادي، محمود عبدالله جرادي، الحاج جواد نجم، إبراهيم ناصر زيدان، الحاج محمد طراد، خليل روميه، أمين رومية، حسن ومحمد أسعد حسان، خليل سرور، الحاج داوود الحاج علي، درويش ومحمد وخليل مصطفى ومحمود زين، سليم روميه، عبدالنبي بلاغي، حسين خليل، حسين فرج، محمد فرج، داوود طالب والحاج إبراهيم طالب[٣].

بعضهم لم يرجع وفُقد في الحرب كـ: درويش ومحمد وخليل ومصطفى ومحمود زين، ومحمد أسعد حسان.

---

(٣) الحاج خليل إبراهيم سعد؛ الحاج موسى عبدو طراد.

لقد أدركتُ عدداً منهم وكان لي شرف اللقاء بهم، وأخذت عنهم أمثال عمي محمود عبدالله جرادي والحاج إبراهيم طالب والحاج جواد نجم والحاج إبراهيم عيد.

حدثني عمي محمود عبد الله جرادي قائلاً: عندما كنت في السابعة والثلاثين من عمري جاءت فرقة من الجيش التركي إلى معركة وطلبوا من الأهالي الحضور إلى الساحة العامة وخاصة الشباب. أخذوا ستين شاباً وكنت من بينهم. ومن صيدا توجهوا بنا إلى الشام وهناك تفرّقنا، فألحقتُ بفرقة كبيرة توجهت إلى الأراضي الروسية وبقيت فيها أربع سنوات، هناك تزوجت بفتاة تدعى «كريستينا» وأنجبت لي إبنتين، ثم ما لبثت الفرقة أنْ ذعيت إلى الشام لظروف قاسية فبقيت زوجتي وابنتاي هناك ولا أعرف عنهنّ شيئاً. وعن رتبته قال: «بكباش» ولد حسب تذكرة الهوية عام ١٨٧٥م وتوفي سنة ١٩٧١م.

وكذلك سمعتُ حديث الحاج جواد نجم لوالدي عام ١٩٦٧م بأنه كان ينقل على بغلين الذخيرة عبر مسافات طويلة بين الجبال والأودية. لقد كانت المعارك شرسة وقاسية فالقتلى بالآلاف ولا تجد من يدفنهم، وكنت ترى الكلاب والطيور الكاسرة تنهش الأجساد والروائح الكريهة تنبعث من كل اتجاه.

وفي لقاءاتي مع الحاج إبراهيم طالب عام ١٩٧٥، حدثني ملياً عن التجنيد الإجباري وعن سفره إلى الأرجنتين، وقد اتفقت معه لأكتب مذكراته إلا أن سفري أواخر العام ١٩٧٥ حال دون ذلك لأفاجأ بوفاته في العام ١٩٧٧م وسنأتي على ذكر مقابلاتي مع الحاج لاحقاً عندما كنت أجلس إليه في محل أخي علي يومياً في فترة بعد الظهر.

وفي حديثي مع الحاج إبراهيم عيد الذي ناهز المئة أطلعني على مذكراته في التجنيد الإجباري وسفر برلك، وعن التصادم مع الإقطاع وعن الذين هربوا من دفع الويركو إلى أمريكا الجنوبية وسمّاهم بأسمائهم: أخوه داوود عيد وإبراهيم طراد والسيد يوسف خليل والسيد محمد خليل والحاج داوود وأحمد فرج والسيد جواد خليل والحاج محمود قاسم خليل ومحمود غندور ومحمد دهيني وإبراهيم الحاج أسعد حسان ومصطفى عجمي والحاج محمود حمود والحاج إبراهيم طالب ووهبي الحاج علي ويعقوب سعد وأسعد سعد ومحمود الحاج علي وأمين الحاج علي وتوفيق روميه. وقال: كانت العادة عند سفر أحد أبناء البلدة إلى الأرجنتين أن يودعه الناس إلى خراج البلدة يحملون وعاءً فيه لبن ويمشي المسافر أمامهم وهو ينشد:

نحنا نوينا عالسفر وبخاطرك يا بلادنا

فيردون:

مع السلامة سلموا زيدوا السلام عحبابنا

وبعضهم عاد وبعضهم مات وآخرون لا نعرف عنهم شيئاً. وعن آل الخليل الذين التزموا معركة فترة الحكم التركي المباشر بشخص إبراهيم الحاج يحيى خليل قال الحاج إبراهيم عيد: هم فرع من آل الزين أصحاب شحور وجدهم خليل زين الذي نزح من شحور إلى صور بعد مهاجمة الجزار لشحور يوم قتل حمزة بن ناصيف النصار مع مئتين من جنوده وفرار الشيخ علي الزين (الزعيم الروحي للمقاومة) يومذاك إلى الهند. آل خليل الموجودون في معركة هم أيضاً ينتسبون لهذا الجد وأما «أل» التعريف فلم تُعرف أيام إبراهيم

الحاج، يحيى خليل ولا أيام الحاج عبدالله يحيى خليل الذي لعب دوراً سياسياً بارزاً وقتئذٍ. وقد عرفت أيام الحاج إسماعيل الذي أخذ يؤسس لسياسة محلية له ولأبنائه من بعده متأثراً بآل التعريف عند أولاد عمه آل الزين وعند آل الأسعد وغيرهم، ولعلها كانت حاجة وضرورة أو تمييزاً وهو الأرجح.

وأردف قائلاً: وقد لقي آل الخليل تعاوناً كبيراً من آل خليل ومن عائلات معينة، وأما خلافهم مع العائلات الأخرى كآل طالب وآل زيدان وآل بلاغي وآل خليل «السياد»(٤) هذا الخلاف الذي لم ينته إلى اليوم سببه سلبهم أراضيهم الواسعة التي كانت تمتد من ساحل البحر وصولاً إلى أطراف جويا(٥).

كيفية انتقال الأراضي من الحاج عبدالله يحيى خليل إلى الحاج إسماعيل يحيى خليل.

روى لي السيد محمود جواد خليل قائلاً: كان إبراهيم الحاج يحيى خليل متزوجاً «صفية عسيران» من صيدا ولم يترك إلاّ بنتاً، وآل عسيران ملاكون فلهم بدياس بكاملها والأراضي الممتدة ما بين صيدا والقاسمية. وتزوج الحاج إسماعيل بأختها ميرة. وكان الحاج عبدالله قد ورث أخاه إبراهيم وترك ولداً وحيداً اسمه وجيه وكان عاملاً بسيطاً فورث أباه. وكان أولاد عمه الحاج إسماعيل دهاة محنكين في السياسة، فاحتالوا عليه بحجة أنه لا يستطيع أن يعيش

[illegible]

(٥) مقابلة مع الحاج إبراهيم عيد في نيسان ١٩٨٣.

مع أهالي معركة لأنهم يثورون ويقاتلون، فدفعوا له بحصة أمهم في بدياس وتنازل لهم عن حصته في معركة. وهكذا أصبحت الأراضي التي كانت بحوزة إبراهيم الحاج يحيى خليل والحاج عبدالله بحوزة زوجة الحاج إسماعيل يحيى خليل (ميرة عسيران) وكان الحاج عبدالله المقيم في صور قد وضع له وكلاء كالشيخ محمد عثمان من الغسانية وحسن عميص من ديرقانون النهر، وقد توفي أواخر العام ١٩١٨م بعد أن شغل منصب رئيس الحكومة في صور التي جاءت بعد الإجتماع في الشام بين الأقطاب العاملية والملك فيصل في بداية الثورة العربية كما رفعت ولأول مرة الراية العربية في النبطية فوق دار آل الفضل (فضل)، وعين رئيسا لحكومة النبطية وكذلك في صيدا.

إلا أن الحاج اسماعيل أقام في معركة مدة قصيرة وجعل وكيلاً له يوسف الخليل.

طرد وكيل الحاج اسماعيل (يوسف الخليل)

بالرغم من الأوضاع العامة المحلية والعربية الخطيرة، كان كامل بك الأسعد يشكل معارضة قوية ضد العائلات الإقطاعية التي ظهرت زمن الحكم التركي المباشر أمثال آل الزين وآل عسيران وآل الخليل وغيرهم. لذا رأت العائلات المعارضة في معركة لآل الخليل أن تتجه إلى الطيبة.

يقول السيد محمود جواد خليل: عندما تَفَرْعَن يوسف الخليل ولم يعد يحتمل الناس ظلمه واستبداده، زحفت معركة إلى الطيبة تشكو همها في العام ١٩٢٥م صيفاً، تتقدمها البيارق والسناجق والخيول. وبعد ثلاث ساعات استقبلهم كامل بك «أبو سطام» وسلم عليهم واحداً تلو الآخر بعدها رفعوا له شكواهم فقال: أنصحكم بالإتفاق ووحدة الكلمة والموقف الصلب، وضرب لهم مثلاً قائلاً:

هذه قريتي فلو اتفقوا عليّ وأنا كامل بك فماذا أفعل فإما أن أكون بجانبهم أو أخسرهم وأخسر نفسي وقريتي.

بعدها تحلّقوا للدبكة تعبيراً عن فرحتهم بما سمعوا بلقاء زعيمهم. ثم دُفع بالعمدة بين القرى الحاضرة عمدة كامل بيك المشهورة، فتقدم لها رجل من الشهابية يُدعى سعيد تربيخا فلم يفلح ثم تقدم لها كثيرون فلم يفلحوا، وتقدم لها من معركة محمود الحاج علي «أبو بشير» وأمسك بيدها بقوة فأقتلعها، فصرخ كامل بك برجاله فثبّتوها من جديد فتقدم لها مرة ثانية واقتلعها فصرخ بهم ثانية، عادوا فثبتوها، فتقدم لها أبو بشير ورفعها بسهولة مما أثار دهشة الحاضرين وكامل بك الذي أطلق له إحدى وعشرين طلقة من بندقية حربية وزاد اهتمامه بمعركة فقدم على شرفهم وجبة غداء فاخرة كانت مضرب مثل بين العامليين.

في هذا الوقت، كانت السلطات تطلق يد رجل واحد في المنطقة فتعطي من تريد وتمنع من تريد منعه. ويقوم في كل قرية منْ يسمّونه «الأفندي» فهو المتسلط الأكبر في محيط القرية التي يقيم فيها، وتكون أدوات الحكومة من جباة ودرك تحت تصرفه وهو بدوره ينفذ أوامر سيده الكبير[٦]. وكانت السلطة تمنع وصول الجرائد والإطلاع عليها ولكن مجلة العرفان كانت تسد جزءاً من الفراغ.

كان الأفندي يوسف الخليل ينعم بهذه الصلاحيات على وجه طفح معه الكيل فبلغت القلوب الحناجر ـ هكذا قال لي المسنون ممن عاصروا تلك الحقبة البغيضة من تاريخهم.

لقد عين الحاج محمد قاسم مختاراً وناطوراً في آن واحد.

---

(٦) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ٦٩.

وكانت مهمة الناطور أن ينقل أوامر الأفندي إلى الناس أيام الفلاحة والزراعة والحصاد والدراسة فينادي وهو واقف على بئر الساحة أو على سطح المسجد: «أيها الناس، الحاضر يبلغ الغائب أوامر سيدي الأفندي، غداً يبدأ موسم الزراعة فعلى كل من عنده فدان أن يتوجه إلى أرض الأفندي قبل طلوع الشمس».

وهكذا كان الناس يزحفون مرغمين ولا مكان في القرية لمن يخالف، هذا يحصد وذاك يجمع الأغمار وآخر يربط وآخرون يدرسون ونسوة وأطفال (يلقطون) ولا يستثنى حتى المريض والحامل. وقد ولّدت زوجة خليل طراد وهي تلقط في الرمالي ولداً ذكراً أسمته (خليلا) تيمناً بوالده خليل الذي توفي قبل ولادته بشهر حيث كان يحصد وأصابه جوع شديد فشوى شيئاً من الحب فأكل وأكثر فأصابته وعكة صحية في معدته ما لبث أن توفي بعدها بيوم واحد، وكل ذلك كان يتم سخرة ودون أي مقابل إلا الشتم والضرب والتخليق».

كما حدثني عدد من الكبار كالسيد محمود جواد خليل والحاج يوسف حسين حجازي والحاج موسى عبدو طراد والحاج أحمد عيد أن يوسف أفندي كان لا يعرف حلالاً أو حراماً، همه فرْجه وكانت لديه عصابة مهمتها إحضار فلانة وفلانة يمتع بها نفسه ولو كان لها زوج من معركة أو خارجها. وكان على الشاب الذي يودّ الزواج من فتاة أن يذهب إلى الأفندي ويدفع له أربع ليرات ذهبية ويسميها باسمها وينتهي كل شيء ولا رأي لها بالموافقة أو المعارضة. هذا قليل من كثير مما عانته معركة من ظلم واستبداد الأفندية.

ولعل ما أسداه لهم كامل بك والدعوة التي أطلقتها فرنسا لإعطاء الناس حقهم وتحريرهم من الإقطاعيين هو الذي دفع أهل معركة

للتفكير بفعل شيء من الثورة أو العصيان، فهاجموا القبو (مركز وبيت الأفندي يوسف) بالعصي والخناجر والسيوف وبالمعاول والمناجل، وبحثوا عنه في كل زاوية لكنه هرب من باب خلفي بزي امرأة بين الحقول والكروم إلى صور. وقام على الأثر المستشار الفرنسي في صيدا بتشكوف في عهد الانتداب وزار معركة ووقف بنفسه على ما يجري فيها، وأحضر معه الحاج اسماعيل الخليل، كما تقدم من طيردبا العلامة الكبير الشيخ حسين مغنية وكانت معركة ما تزال في ثورة متأججة فأجتمع إليهم الأهالي مرددين هتافات معادية للإقطاع الخليلي ومشيدين بفرنسا، وكان يتقدمهم الشيخ حيدر سعد وهو يقول:

بـواب الـنـفـوذ تـسـكـرت وتـزعـزعـت أركـانـهـا
وفـرنـسـا دولـة عـادلـة والـعـز لـحـكـامـهـا(٧)

ثم قام «بتشكوف» خطيباً ووعد باستتباب الأمن والمحافظة على راحة وحرية الأهالي.

تأسيس الجمعية الخيرية المركزية في معركة

وعلى الأثر توجه الأهالي المحتشدون إلى ساحة آل سرور حيث عقد اجتماع كبير في منزل الحاج إبراهيم سرور أعلن في نهايته عن تأسيس «جمعية خيرية مركزية في معركة» وكان يوم الثاني عشر من رجب سنة ١٣٤٥ هجرية(٨).

---

(٧) الحاج علي فرج؛ السيد محمود جواد خليل؛ الحاج موسى عبدو طراد؛ الحاج أحمد مصطفى سليمان.

(٨) النسخة الأساسية محفوظة عند الأستاذ محمد جميل سعد وصلته من الحاج إبراهيم عيد.

[illegible] ناسيس [illegible] عشرة [illegible]

[illegible] بتاريخ يوم الثاني عشر من شهر رجب سنة ١٣٤٥ هجرية

(الرئيس) الحاج ابراهيم [illegible] (النائب) الحاج [illegible]

(امين الصندوق) الحاج حسين الحاج (النائب) الحاج محمد [illegible]

(امين السر) الشيخ حيدر سعد (النائب) محمد خليل سعد

[redacted] محمد مرتضى \ السيد محمد عباس \ الشيخ سلمان

[illegible] \ [illegible] \ [illegible] خليل الحاج علي \

السيد مرتضى \ السيد [illegible] \ [illegible] \ محمد الحاج علي \

[illegible] محمد [illegible] \ [illegible] الحاج محمد حسين \ [illegible] طالب \ محمد [illegible] \

[illegible] \ [illegible] \ محمد [illegible] \ عبد [illegible] خليل [illegible]

محمد [illegible] سعد \ [illegible] رمضان \ محمد مرتضى [illegible] سليمان

محمد [illegible] سليمان \ [illegible] \ عبد [illegible] \

محمد [illegible] \ خليل [illegible] سعد \ محمد [illegible] محمود [illegible] \

حسين [illegible] \ محمد [illegible] \ [illegible] \ [illegible]

[illegible] \ [illegible] \ عبد الرسول [illegible]

اذا كان قصدكم الوقوف على الحق لازم انه تعدوها ولا يخفى المذكورين آباءهم [illegible] الصبر هم اهل

الشرف هم الذين يبذلون مهجهم ونفوسهم الى [illegible] وطنهم هم الذين [illegible] الظلم وكسروا باب الجور هم اهل [illegible] هم اهل [illegible]

هم الذين [illegible] متى [illegible] لهم [illegible] على معروفهم هم الذين تركوا [illegible] و[illegible] [illegible] في المدافع [illegible]

[illegible] الحيرة [illegible] هم العالم [illegible] هم [illegible] [illegible] [illegible]

أعضاء الشرطة

سعيد حاج احمد زوبيد
خليل زويد لا يحق أبداً ذكر والثبت بالقبر
ابراهيم محمود
[illegible] علي
سعيد حاج علي
محمد الحاج [illegible]
محمود ابراهيم حاج [illegible]
محمد علي خليل الحاج
[illegible]
احمد [illegible]
ابراهيم مصطفى زوبيد
[illegible]
موسى طراد
علي طراد
علي حاج قاسم زوبيد
السيد جواد
السيد محمد جواد
السيد محمد جواد
ابراهيم زوبيد
علي احمد حاج [illegible]
[illegible]
[illegible]
علي احمد سعيد
خليل ابراهيم سعيد
عباس اسعد سعيد
مصطفى عجمي
محمد حاج حسين ذيب
محمود الحاج حسين ذيب
مصطفى طالب
يوسف عبد
عبده جرادي
محمد يوسف ذيب
علي عبد
احمد عبد
محمد علي حمود

تابع أعضاء الشرطة

ابراهيم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] حسين مراد
الشيخ [illegible]
[illegible]
[illegible]
ذيب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] خليل الأول
[illegible] خليل
عبده محمد سعيد
[illegible]
احمد حسين سعيد
[illegible] موسى زينبا
[illegible] موسى زينبا
[illegible]
حسين [illegible]
[illegible] الحاج محمد زوبيد
حسين الحاج محمد عيسى زوبيد
[illegible] خليل [illegible]
الشيخ [illegible]
عبد الله الحاج [illegible]
يوسف قاسم خليل
احمد قاسم خليل
محمد حسين سعيد
السيد محمد سعيد ابراهيم
[illegible] زوبيد
[illegible] ابراهيم حاج
[illegible] يوسف احمد
[illegible] الحاج حسين سليمان
[illegible] محمد
الحاج محمد سعيد

تابع المخاتير

سليم عبد الله جرادي
محمد حسين الحاج

تابع أعضاء الشرطة

علي محمود زويد
محمد علي جواد زويد
احمد حاج اسعد سعيد
ابراهيم محمد عبد الله جرادي
يوسف حسن
[illegible] منصور
محمود الحاج محمد مصطفى
حسين [illegible]
[illegible] ابراهيم
[illegible] محمد
[illegible] احمد
[illegible]
موسى الحاج ابراهيم [illegible]
محمود [illegible]
محمود عبد [illegible]
[illegible]
محمد علي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
محمود [illegible]
[illegible] موسى [illegible]
[illegible]
[illegible] مصطفى
محمد ابراهيم [illegible]
محمد حسين طراد
السيد محمد خليل
[illegible] محمد موسى طراد
ابراهيم [illegible]
[illegible] محمود
داود خالد [illegible]
[illegible] محمود
حسين محمد سعيد
خليل [illegible] الله [illegible]
قاسم [illegible]

ومن أهم أهدافها: وحدة الكلمة والموقف ومواجهة كل أشكال الظلم والفساد لكل من تسوّل له نفسه العبث بأمن وحرية وكرامة وشرف معركة أرضاً وشعباً مهما كان موقعه من قريب أو بعيد. وان الجمعية تتحمل كامل الأعباء والمصاريف في المحاكم دفاعاً عن أعضائها وتؤمن حاجات بيوتهم وتصرف على أهل العلم. وإليك ما جاء بخط كاتب السرّ في محضر جلسة التأسيس الشيخ حيدر سعد.

«هذه صورة تأسيس الجمعية: معرّفة جمعية خيرية مركزية في معركة وكان ابتداء تأسيسها في يوم الثاني عشر من رجب سنة ١٣٤٥ هجرية.

الرئيس: الحاج إبراهيم سرور ـ النائب: الحاج ابراهيم زين

أمين الصندوق: الحاج حسين الحاج ـ النائب: الحاج محمد طراد

كاتب السرّ: الشيخ حيدر سعد ـ النائب: محمد خليل سعد.

أعضاء الشرف	يتبع أعضاء الشرف
الحاج محمد مصطفى	ابراهيم عيد
الحاج حسين ذيب	ابراهيم طالب
السيد مصطفى	أحمد حمود
أمين محمد روميه	مصطفى الحاج علي سليمان
علي حسين طراد	عبدالمنعم زين
محمود خليل سعد	محمد علي الحاج محمود خليل
محمد علي سليمان	أمين عبدو بلاغي
حسين عبدالله جرادي	عبدالرسول شرارة
جواد سعد	موسى زين ناجي

السيد ابراهيم	الشيخ سلمان
خليل الحاج محمد حسن	خليل الحاج علي
اسماعيل حسان	محمود حاج علي
علي سلامي روميه	محمد جواد سعد
مصطفى حمود	عبدالله خليل سعد
خليل ابراهيم سعد	أمين حاج أحمد روميه
محمد سليم ذيب	خليل روميه
أحمد ذيب	ابراهيم حمود
السيد محمد عباس	داود حاج علي
الحاج صالح زين	أمين حاج علي
ابراهيم عيد	محمود حاج علي
محمود إبراهيم حاج علي	السيد محمد ابراهيم
محمد علي خليل الحاج	أمين سرور
جواد نجم	محمود سرور
أحمد روميه	حسن سرور
إبراهيم مصطفى روميه	علي سرور
خليل نجم	الحاج حسين طراد
موسى طراد	الشيخ أحمد ناصر
علي طراد	الشيخ ابراهيم ناصر
علي حاج قاسم روميه	نمر علي حسين
السيد جواد	ذيب علي حسين طراد
السيد محمد جواد	أمين زيون
السيد محمود جواد	أمين حاج حسين خليل وأولاده
ابراهيم زيون	محمود حاج حسين خليل

بلدة معركة

اسم علي مسمى

علي أحمد حاج علي	عبدالله محمد سعد
خليل أحمد	أمين حسن سعد
أحمد محمد سعد	أحمد حيدر سعد
علي أحمد سعد	مصطفى موسى زين
خليل ابراهيم سعد	محمد أحمد حسن
عباس أسعد سعد	يوسف موسى زين
مصطفى عجمي	حسن أحمد حسين
محمد حاج حسين ذيب	عبدالحسين الحاج محمد روميه
محمود الحاج حسين ذيب	حسن حاج محمد عيسى روميه
مصطفى طالب	أحمد حاج خليل أبو يحيى
يوسف عيد	الشيخ ابراهيم زيدان
عبدالله جرادي	عبدالله حسن الحاج علي
محمد يوسف ذيب	يوسف قاسم خليل
علي عيد	أحمد قاسم خليل
أحمد عيد	محمود حيدر سعد
محمد علي	حمودالسيد محمد سيد ابراهيم
حسين روميه	عبد الحسين غندور
عبدالله ابراهيم الحاج	جواد غندور
محمد يوسف أحمد	خليل زيون
يوسف الحاج حسين سليمان	محمود محمد خاطر
حسين محمد	علي عبدو موسى طراد
الحاج محمد سعد	محمود حسان
سليم عبدالله جرادي	خليل مصطفى
محمد حسن الحاج	محمد ابراهيم

علي جواد زيدان
محمد علي جواد زيدان
أحمد حاج أسعد سعد
ابراهيم محمد عبدالله جرادي
يوسف حسان
حسين منصور
محمود الحاج محمد مصطفى
حسن معنا
أمين حسين ابراهيم
ولده محمد
ولده أحمد
موسى الحاج ابراهيم زين
محمود عبدالله جرادي
محمد علي مصطفى سعد
علي خليل غندور

محمد حسين طراد
السيد محمود خليل
ذياب محمد موسى طراد
ابراهيم دهيني
ولده محمود
داود طالب حسان
ولده محمود
حسين محمد سعد
جميل الحكيم الكردلي
قاسم سلمان
ولده محسن
محمود قاسم خليل
سلمان حاج قاسم روميه
علي حاج أسعد حسان

إذا كان قصدكم الوقوف على الحق لازم أن تعدوها أولائي المذكورة أسماءهم بجانب هذه الصفحة هم أهل الشرف، هم الذين يبذلون مهجهم ونفوسهم إلى حبّ وطنهم. هم الذين كشفوا الظلم وكسروا باب الجور هم أهل الحمية، هم أهل الحماسة، هم الذين مهما قدمت أهالي معركة لهم لا تكافيهم على معروفهم هم الذين تركوا شغلهم ووقّفوا أعمالهم ونزلوا في المدافعة عن بلدهم بدون أن يكسبوا هم هؤلاء شرفهم أهل البلد بل الجيرة من القرى هم العالم هم المصادمون ولكن إني أوقفكم أكبر حقيقة أنكم من الواجب منكم

أن تدرجوا أسماءهم في المجلات والجرائد وقد سميناهم الأحرار الكاسرين شكوة الأشرار ولله درهم ما صنع مسعاهم.

وهذه ما عندنا أعملناكم ودمتم.

انتهى

الشيخ عبد الكريم مغنيه يلبي طلب الجمعية الخيرية المركزية في معركة

سألت عدداً من أعضاء الجمعية عن أهم إنجازاتها وقد أدركت أكثر من أربعين منهم في أواخر الستينات وأواخر السبعينات وعشرة منهم بين أعوام ١٩٨٨ و١٩٩٥ ونحن في العام ٢٠٠٠ لا يزال واحد فقط من أعضاء الجمعية وهو الحاج أحمد عيد ويتمتع بكامل قواه العقلية ويعتبر الأكبر سناً والأخير في لبس الشروال والكوفية.

فأفدت من الجميع لا سيما من الحاج أحمد عيد والحاج محمود ـ الحاج مصطفى المعروف «الحاج أبو حسن» والحاج خليل ابراهيم سعد والسيد محمد ابراهيم والحاج أحمد مصطفى سليمان.

أنه بمجرد علم الجمعية بعودة الشيخ عبد الكريم مغنية من النجف عام ١٩٢٦ـ ١٣٤٦هـ عقدت اجتماعاً لطلبه إلى معركة وتشكل وفد ضمّ الحاج إبراهيم زين والحاج حسين الحاج والحاج محمد طراد والحاج محمد مصطفى والشيخ حيدر سعد ومحمد خليل سعد لمقابلته والطلب إليه أن يحلّ عالماً في معركة فوافق بعد أن أنسجم إليهم ولإنجازهم جمعية خيرية مركزية في معركة. ومتفهماً معاناتهم مع الإقطاع فرأى أن واجبه الشرعي أن يكون بينهم.

أسكنوه أول أمره في بيت يعقوب سعد ولكن الجمعية سرعان ما باشرت عملها ببناء بيت كبير للشيخ فتبرع كل من الحاج محمد مصطفى والحاج حسين الحاج بقطعة الأرض والشيخ يقول لهم: «بيت عنكبوت كتير على الذي يموت» فيردون: ليكون بيت العلم أكبر وأوسع من بيت الإقطاع. هذا نبنيه أحراراً وذلك بنيناه مقهورين. وكان أنجز هذا الصرح العظيم كل من البناءين الحاج محمد مصطفى والحاج محمود «أبو بشير» والباقون من أعضاء الجمعية يساعدونهم في قطع الحجارة والأخشاب والحفر وكل ما يلزم حتى أنجز بعد عام كامل فكان تحفةً وروعة وانتقل إليه الشيخ فوجدوا فيه ملاذهم وصارت لهم مرجعيتهم وتضايق الإقطاع كثيراً.

استمرار الصراع

روى الحاج أحمد عيد والحاج يوسف حسين حجازي والسيد محمود جواد خليل بعد هروب الأفندي حاول الحاج اسماعيل أن يصلح الأمور: ويعيده إلاّ أنه لم يوفَّق بل بإظهار العداء لكل من يحل محله. وقد حاول ولده عبد الرحمان مراراً فلم يفلح وآخرها في آذار ١٩٢٧ عندما حاول الدخول بالقوة مصطحباً عدداً من المسلحين يركبون الخيل معظمهم من المغاربة ومن عرب الهيب والسكران، فوقعت المواجهة عند مدخل معركة الغربي ـ المدرسة الرسمية حالياً ـ أسفرت المواجهة عن إصابة خليل عبدالله جرادي في عينيه ففقد بصره كما أصيب عدد آخر بجروح خفيفة وفر عبد الرحمان وأصحابه.

على أثر هذه الحادثة رُفعت دعوة إلى محكمة الجنايات في بيروت بعبد الرحمان، ورفع الحاج اسماعيل دعوة بالحاج ابراهيم طالب، يوم صدور الحكم تعرض الحاج إبراهيم طالب لعبد

الرحمان، فرد عليه القاضي زين الدين بقوله: إنك فلاح وهذا ليس كلام فلاحين. فأجاب عبدالرحمان: إنه عاش في الأرجنتين. ولما أحس الحاج إبراهيم بلعبة تدور لتعطي الحق لعبد الرحمان بعد أن أخفق الحاج إسماعيل بدفع مئة ليرة ذهبية لخليل عبدالله جرادي مقابل أن يعترف بأن ابراهيم طالب هو الذي أطلق النار عليه. ولما وضحت أمور اللعبة بتبرئة عبدالرحمان قال إبراهيم طالب للقاضي: ما المكتوب فوق رأسك؟ أجاب القاضي: «الحكم أساس العدل» قال إبراهيم طالب لا: «الظلم أساس الحكم» قال اسحبها قال: لا.... قال: سجنها عامين. قال: لا بأس وسجن[(٩)].

معركة تنشق على نفسها بين الأسعد والخليل

استطاع عبدالرحمان أن يتصل بعدد من الأشخاص ويغريهم بالمال والأرض فاستمالهم إليه ونجح في تمزيق الصفوف والكلمة بحيث انقسمت معركة على نفسها، وأصبحت تمثل تيارين: تيار لعبد اللطيف الأسعد في الطيبة والثاني لآل الخليل. وجعل عبد الرحمان بعض اتباعه مخبرين يتحرّون أخبار معارضيه وينقلونها إليه في صور، وعندما علمت المعارضة بذلك كمنوا يوماً لهم عند عودتهم ودارت بين الطرفين استباكات بالعصي والخناجر والحجارة فأصيب محمد خليل ذيب - وهو المستهدف لأنه كان أقوى الرجال في معركة والمنطقة وصاحب أكبر عمده - بضربات عدة من خنجر بعد أن أمسك به واحد من الخلف وآخر برجليه وثالث يطعن به وكان عدد الذين هجموا عليه دفعة واحدة سبعة حتى أُثخن بالجراح فعاش بعد

(٩) الحاج ابراهيم عيد؛ الحاج موسى عبدو طراد؛ السيد محمود جواد خليل؛ السيد محمد ابراهيم.

المعالجة عامين وفارق الحياة بعد أن عادت جراحه تنزف.

وكان عدد كبير من المعارضين غائباً، ورغم ذلك فقد أصيب رجال الخليل بإصابات عديدة. إلا أن تفرد الحاج إبراهيم طالب بالفكرة وتصرفه في غياب كثير من رجال المعارضة ـ كما يقول الحاج أحمد عيد والسيد محمود جواد خليل ـ جعل الطرف الآخر يسجل موقفاً. وهكذا نجح الخليل في تمزيق معركة وأدخل العداء إلى كل بيت.

ابراهيم طالب يؤسس لفرع جمعية التضامن في معركة

بعد خروج إبراهيم طالب من السجن استقبل بحفاوة كبيرة وأولي أهمية عالية وهو إلى ما يتمتع به من جرأة كانت كلمته نافذة ومؤثرة فرأى أن المواجهة مع خصم قوي تتطلب الدخول في العمل السياسي وهكذا نجح في تأسيس فرع في معركة لجمعية التضامن سنة ١٩٢٩ وانتسب إليه عدد كبير من أهالي البلدة[١٠] في الوقت الذي كانت معه الجمعية الخيرية المركزية في معركة قد حلّت ووقع بين أعضائها خلاف في وجهات النظر بسبب تأثير الحاج اسماعيل فيهم ووعوده باقتطاعهم مساحات من الأرض فمال إليه عدد لا يستهان به[١١].

وقال الحاج إبراهيم طالب: وكان أول نجاح سياسي لنا عندما عزلنا المختار الحاج محمد قاسم وكان رجلاً مسناً تجاوز الخامسة والثمانين من عمره وتم تعييني مختاراً مكانه والحاج عبد المنعم زين

(١٠) مقابلة مع الحاج ابراهيم طالب، ١٧ نيسان ١٩٧٥م، ومنذر جابر، «مؤتمر الحجير: آثاره السياسية»، (رسالة كفاءة، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٣)، ص ١١٣.

(١١) مقابلة مع الحاج ابراهيم طالب، ١٧/٤/١٩٧٥.

العضو الأول والحاج إبراهيم عيد العضو الثاني. ولولا وقوف محافظ الجنوب يومها رشيد نخلة وقائمقام مقام صور جان عزيز وهما عضوين كبيرين في جميعة التضامن لما حققنا هذا النجاح.

ولكنه سرعان ما دبّر له مكيدة بعد شهر من انتخابه كان بطلُها الحاج عبدالمنعم زين الذي أخذ على عاتقه عند كاظم الخليل أنه قادر على سحب الختم (ختم المختار) منه. استغل الحاج عبدالمنعم وجود إبراهيم طالب عند حلاق تربطه به صداقة وكانت بينهما قضية في محكمة صور، فأثاره وجعله يسب ويشتم وطاول بشتمه المستنطق، فما كان من الحاج وهو العضو الأيمن للمختار إلا أن أبلغ المستنطق الذي أرسل معه رجلين خفية، ولما عاود الحاج عبد المنعم إثارة إبراهيم طالب كرّر الأخير الشتم له وللمستنطق، فما كان من الرجلين المتخفيْن إلا أن اقتاداه إلى المحكمة فسأله المستنطق عن العضو الأول للمختار فأجاب الحاج عبد المنعم أنا هو. بعد ذلك أخذ الختم من إبراهيم طالب وسلّمه للحاج عبد المنعم الذي توجّه على الفور وأطلع كاظم الخليل بالأمر ففرح وقال: الحمد لله(١٢).

إستمرار الفتن ومصير الشيخ عبدالكريم مغنية

روى السيد محمود جواد خليل والسيد محمد إبراهيم خليل: كان العلامة الكبير الشيخ عبدالكريم مغنية مستاءً من الواقع المرير. لذا كان المعارضون يجدون فيه ملاذاً وداعماً لهم في مواقفهم مما جعل الإقطاع ينظر إليه نظرة المحرّض القوي للإنتفاضة عليه. فما

(١٢) السيد محمود جواد خليل، الحاج موسى عبدو طراد، الحاج أحمد مصطفى سليمان.

كان من الإقطاع إلاّ أن دبّر فتنة في طيردبا، ولما طلب من الشيخ أن يصلح بين المتخاصمين حتى اشتعلت بغوغائية عجيبة فضرب الشيخ ضربة محكمة على خاصرته فوقع أرضاً مغمياً عليه وعاش بعدها عامين عليلاً حتى فارق الحياة عام ١٩٣٤م، ودفن في جبانة معركة وأقيم على قبره مقام على نمط المقامات في العراق.

وأقامت معركة للشيخ عبد الكريم مغنية حفل تأبين لم يشهد له جبل عامل مثيلاً. لقد زحفت القرى بكاملها «بسناجئها» براياتها وطبولها وحشود العلماء والزعماء وطبخ اللحم والرز في «الخلاقين» وأديرت وسكبت بالرفوش على الحصر الممدودة حتى قال أهل جويا «ما بيلبأ الموت إلاّ لأهل معركة» ولا يزال هذا المثل شائعاً إلى اليوم، لكن الملفت والأهم في المناسبة كان الشاعر الكبير عبد الحسين عبدالله عندما أنشد قصيدته وعنوانها مأتم كل عيشنا.

كل يوم مصيبة للصلاح — فمتى نكبة الغلاظ الوقاحِ
كاد يخلو الحمى من الأسد الغلـ — ـب ومن طلعة الوجوه الصِباح
ما الذي يضمر الزمان أيبغي — سلبنا كل قوة وسلاح
تتهادى سفينة الدين فينا — في خضم طاغٍ بلا ملاح
كلنا تائه عن الحق والدين — وندعو للخير والإصلاح
جبناء إذا الغريب غزانا — وعلى بعضنا أسود البطاح
مأتم كل عيشنا فلماذا — خصص اليوم للبكا والنواح
لا تغرنك الموائد مدّت — بين قرع الطبول والإصلاح
والزغاريد تملأ الجو عطراً — من شفاه الغيد الحسان الملاح

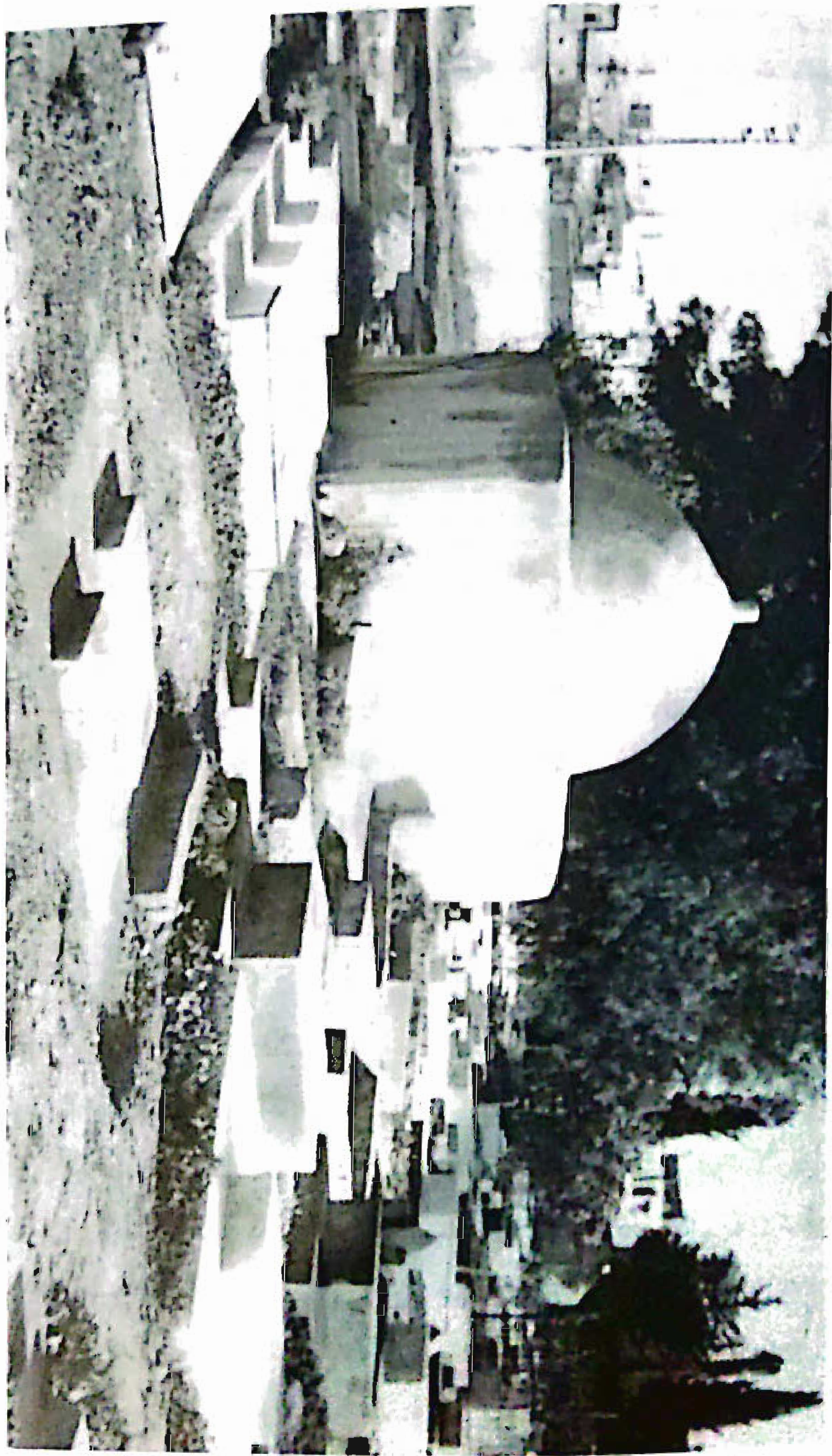
ذا أنين الضعيف غلّت يداه
وبكاء لموطن مستباح
وإذا كانت البلاد خراباً
فشقاء مظاهر الأفراح
أقفر الربع إن نظرت إليه
عدت واهِ الجنان دام الجراح
بقي الشوك نابتاً وتعرّت
قمة المجد من زهور الأقاح
والليالي السوداء طالت علينا
فمتى ينجلي جبين الصباح
كلما ثار للحقيقة صوت
أسكتوه وأمعنوا في النواح

عام ١٩٣٦م حلّ الشيخ محمد جواد مغنية أخ الشيخ عبدالكريم في معركة، قضى فيها ثلاث سنوات سار في بدايتها على نهج أخيه، إلاّ أن الإقطاع أعدّ له مكمناً فأغروه بالمال وقطعة أرض واسعة في خلة صور بين معركة وطيردبا فمال إليهم وصار مجلسه يعجّ بمناصريهم، فتخلّت عنه المعارضة التي كانت تدفع له أجرة البيت وتؤمن له كل حاجياته. ولما اطمأن الإقطاع إلى تخلي المعارضة عنه أوعزوا لجماعتهم بعزله فأصبح وحيداً ما لبث بعدها أن أفتقر حتى لرغيفٍ يأكله. وأخيراً تحمّس له رجل لا علاقة له بالطرفين وحمل كيساً وصار يجمع من البيوت ما تيسر من القمح والعدس وغيره(١٣)، ولكنه سرعان ما انتقل منها إلى قرية طير حرفا.

المعارضة تضطر لترك معركة مكرهة إلى القرى المجاورة عام ١٩٤٤م

روى السيد محمود جواد خليل: أول أيام عيد الأضحى دخل علينا رجال ونحن في بيتنا الكائن في القرحة حيث نسكنه في الصيف

(١٣) السيد محمود جواد خليل؛ الحاج يوسف حسين حجازي؛ الحاج علي فرج؛ الحاج موسى عبدو طراد؛ الحاج أحمد مصطفى سليمان.



قبر الشيخ العلامة العلم عبد الكريم مغنية ١٣١١هـ - ١٣٥٤هـ

قريبين من كرم التين والبيدر، وهم مسلحون بالعصي والخناجر وفي وجوههم سمات الغضب والنقمة، رحبَ بهم والدي السيد جواد وهو يناهز الثمانين: أهلاً بأبناء بلدتي، كل عام وأنتم بخير.

ثم سمعتُ صراخ أمي فخرجتُ فإذا هي تصرخ من ضربة عصا على ظهرها، بعدها جاء دوري والدي فإذا برجل يشُده بلحيته وآخر من كتفه ويسحبانه إلى الباب ولكماتٍ ورفسات من آخرين. أما أنا فلا أعلم عدد الضربات على ظهري وسائر جسمي. أخرجونا وقالوا لنا: هذا آخر يوم لكم هنا، غادروا معركة في الحال أو اختاروا الموت. وقد ذكر أسماءهم السيد محمود خليل واحداً واحداً وقال: «فوالله لقد ماتوا جميعاً وما واحدٌ منهم إلا ووقع في مصيبة إما في صحته أو في ذريته». ثم تابع قوله: وتوجهنا إلى جويا ثم لحق بنا في الأسبوع ذاته ابن عمنا السيد عبدالله يوسف خليل ثم توالى بين اليوم والآخر محمد علي سليمان وأولاده وآل زيدان وقد خرج قسم منهم إلى قلويه وآل طالب إلى شارنيه والبرج الشمالي.

اجتماع المعارضة في جويا وارسال وفد يمثلها إلى رئيس الجمهورية بشارة الخوري.

هكذا أوقع آل الخليل الفتن بين أهالي معركة حتى صاروا شيعاً وأحزاباً. ونقلوا العداء من بيت إلى بيت بين الأب وابنه والأخ وأخيه. وأخرجوا أكثر من نصف الأهالي ممّن لم ينصاعوا لأوامرهم والرضوخ لمطالبهم إلى القرى المجاورة (جويا وقلويه وشارنيه والبرج الشمالي وغيرها) وبخروجهم إلى القرى حملوا همهم ومشاكلهم وبثوها بين الناس، فهيجوا النفوس إلى جانبهم مما أثار غضب كاظم الخليل وعظم الخلاف بينه وبين أحمد الأسعد في الطيبة. ولم تكتف المعارضة فدعت لاجتماع موسع في جويا،

وشكلت وفداً يمثلها لدى رئيس الجمهورية بشارة الخوري تألف من السيد عبدالله يوسف خليل والحاج مصطفى طالب وجميل جردلي[١٤].

وفي حديث الوفد مع رئيس الجمهورية قال لهم: مالكم ولآل الخليل وهم أصحاب معركة! فأجابه الوفد: الأرض أرضنا وهم يستولون عليها بالقوة، وهم من صور وقد فرضهم علينا مشروع الإلتزام. ومع ذلك فنحن لنا بيوتنا أخرجونا منها ولنا أرضنا منعونا عنها.

ثم قال الرئيس: سنرسل عدداً من رجال الدرك لحلّ هذه المشكلة وفض كامل الخلافات فيما بينكم. فأجابه الحاج مصطفى طالب: كلما أرسلتم من دركي دفعوا له بصندوق ليمون أو كيلو دخان أو بدجاجة وينتهي دوره[١٥].

ولكن كل هذه المحاولات لم تجد، فتعاظمت الفتنة وأشرفت على الإنفجار وجهاً لوجه بين أحمد الأسعد وكاظم الخليل.

صراع الزعماء وانتشار الفتن

مع بداية الحكم التركي المباشر على جبل عامل وانتهاء الحكم العشائري، أعطى الحكم الجديد صلاحيات واسعة للعائلات من الدرجة الثانية مما أظهر شخصيات جديدة على الساحة العاملية، وبدأت تتنافس فيما بينها للوجاهة والزعامة والمستعمرون يذكون نار الفتنة بينهم. واستمر هذا النزاع حتى الإنتداب الفرنسي. الذي سلك سبل الأتراك من قبل. وبلغ هذا الصراع أشدّه بين أحمد الأسعد في

---

(١٤) السيد محمود جواد خليل.

(١٥) السيد محمود جواد خليل.

الطيبة وكاظم الخليل في صور عام ١٩٤٤م، وكادت أن تقع فتنة لو قدّر لها لحصدت الآلاف من القتلى والجرحى وذهبت بالعديد من القرى بين الحرق والدمار حيث أخذ كل فريق يعد العدة لقتال الآخر. فتهيجت النفوس واضطربت البلاد العاملية من أقصاها إلى أقصاها. وقد وصل الأسعد برجاله إلى جويا على مشارف صور. فأدرك العلماء الخطر المحدّق بهذا الجبل وأهله واستجابوا لدعوة عميد العلم والعلماء السيد حسن محمود الأمين الذي بادر على عجلٍ بإرسال كتابيْن إلى الزعيمين أحمد الأسعد وكاظم الخليل، حثهما على كبح نار الفتنة حقناً للدماء وصوناً للكرامة، منبهاً لخطورة ما تجره هذه الأحداث من عواقب.

كذلك دعا السيد حسن محمود الأمين عدداً من العلماء الأعلاء ووجهاء القرى وأصحاب الرأي للاجتماع في منزله في خربة سلم، فاستجابوا جميعاً لطلبه وتم البحث في إجراء مصالحة بين المتخاصمين لوضع حدٍ لما قد يحصل من مأساة لا تثمر إلاّ القتلى والدمار وتمزيق الصفوف. وصدر عن المجتمعين بيانٌ باسم مؤتمر العلماء العامليين في ٧ تشرين الأول من عام ١٩٤٤م. وهذا نصّ البيان:

هذا بلاغ إلى الناس[١٦]

«لما رأى الفريق الأكبر من علماء جبل عامل ما حلَّ في البلاد العاملية من الأمراض الاجتماعية المردية التي نخرت جسم الأمة وصدعت قلب البلاد، لا سيما الحوادث الأخيرة التي اضطربت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها وامتدت للخارج فكان لها سمعة سيئة جداً. كل هذا وأضعافه

(١٦) الشيخ أحمد عارف الزين، خطب جلل، العرفان، صيدا، ج ٤، م ٣٦، ١٩٤٩، ص ٤٠٣.

مما لم يحن وقت تعداده أهاب بنا للإجتماع في قرية «خربة سلم» بدعوة من علامتنا الأكبر السيد حسن محمود الأمين الذي حصل الاجتماع بداره العامرة، فتقرر باديء بدء أن ينتخب وفد مؤلف من العلماء والأدباء: الشيخ خليل مغنية، الشيخ محسن شرارة، الشيخ أحمد عارف الزين والسيد عبد الرؤوف محمود الأمين. لمفاوضة الأستاذ كاظم بك الخليل أولاً في المجيء إلى الطيبة وصرف هذا المشكل. فلم يوافق إلاّ على الاجتماع في مكان آخر، إما في دار رئيس المؤتمر سيادة السيد حسن محمود الأمين أو في دار صبري حماده رئيس المجلس النيابي. ثم توجه الوفد لدار الطيبة العامرة. فلقي من الزعيم أحمد بك الأسعد كل عطف ولطف، ونزولاً على أمر العلماء وعد وعداً قاطعاً بقمع هذه الحوادث المؤسفة وأنه مستعد للتعويض عمن نكبوا من جرائها، وطلب مهلة للنظر في أمر الإجتماع بغير داره للنظر فيه وتنفيذه. وعاد الوفد وهو غير مقتنع بما ذكره، وعرض هذا الأمر على مؤتمر العلماء فكانوا كذلك غير مقتنعين ولكنهم مترقبون وقد أقسم الزعيم الإيمان المغلظة بأنه لا يمكن صرف هذا المشكل بغير واسطة مؤتمر العلماء. وكذلك وعد الأستاذ الخليل.

لذلك أذعنا على الشعب العاملي الكريم هذا البيان معلنين أن هذه الحوادث الأليمة التي تخبطت بها البلاد سوف لا تتكرر، وقد حسمت بحول الله وقوته وذلك ما وثقنا به ولمسناه لمس اليد من نيات وتصريحات الزعيم الأسعد والأستاذ الخليل متعهدين بتكرار هذه الاجتماعات في أمكنة متعددة للبحث في داء جبل عامل ودوائه والإهابة به إلى المثل العليا التي ترقى بها الأمم.

وقد تقرر الاجتماع الثاني بعد عشرة أيام مستمدين من الأمة المؤازرة والمناصرة ومن الله سبحانه التأييد والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

مؤتمر العلماء العامليين

١٩ شوال ١٣٦٣هـ ٧ تشرين الأول ١٩٤٤م»

الفصل الرابع

تشكل الوعي القومي والحركات السياسية

ولادة حركة القوميين العرب

ولدت حركة القوميين العرب في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٥١م على يد عدد من الشباب العرب المثقفين والثائرين، وكان من أبرزهم: جورج حبش (فلسطيني)، الحكم دروزه (سوري)، أحمد الخطيب (كويتي)، مطاع الصفدي (فلسطيني)، محسن إبراهيم (لبناني)، هاني الهندي (سوري).

كيف دخلت حركة القوميين العرب إلى معركة

يقول أحمد بلاغي في مذكراته: بدأت على يد الأستاذ منير سعد عام ١٩٥٦م حيث كان يدرس في مدرسة الأنروا في صور، فالتقى بعدد من الشباب في حركة القوميين العرب واجتمع بالمسؤول الأول في صور الأستاذ محمد زيات، والشخص الثاني هو حسن علي فرج، والثالث هو الأستاذ محمد حسان حين كان يتعلم في مدارس صيدا. وقد أصبح منير سعد ومحمد حسان عضوين بارزين وقياديين في الجنوب، وقد نجحا في معركة باستقطاب معظم الشباب والفلاحين والعمال إلى صفوفهم. وتشكلت خمس لجان: اثنتان طلابيه واثنتان للعمال والفلاحين وواحدة نسائية. وقد مثل اللجان الطلابية عبداللطيف سعد وأحمد بلاغي، واللجان العمالية والفلاحية

كل من محمد محمود حسان وعبدالرضا سرور وأحمد الحاج حسين سليمان، وكانت أقوى الخلايا وأنشطها التي تولاها محمد محمود حسان (أبو محمود)، كما مثلت اللجان النسائية عزيزة سعد.

واستلم المسؤولية العامة الأستاذ محمد حسان ومقرر الجلسات احمد بلاغي(١).

وقد تشكلت في بيروت لجنتان: واحدة في برج حمود وأخرى في المزرعة، وقد مثلهما كل من محمود فرج ومحمود منصور وكان لهما نشاطهما الثقافي والاجتماعي والسياسي فعقدوا عدة ندوات ثقافية ومحاضرات من أهمها محاضرة لمحسن إبراهيم وأخرى لمحمد مشموشي.

وهكذا استطاعت حركة القوميين العرب في معركة أن تسيطر على الشارع والمدرسة والحقل وأن تدخل إلى كل بيت حتى بيوت المناصرين للإقطاع، وأن تتمثل في أكثر من نصف الأهالي. عندها تخوف آل الخليل وعملوا على تسليح أنصارهم، وفرّغوا عدداً منهم يتناوبون الحراسة في دارهم المعروف بـ «القبو».

١ ـ حركة القوميين العرب تدعو لمهرجانها الثاني في معركة

بعد إعلان الوحدة بين سوريا ومصر في ٢٢ شباط ١٩٥٨م، احيت حركة القوميين العرب مهرجانات خطابية في عدد من المدن والقرى اللبنانية تأييداً وابتهاجاً.

فأقيم أول مهرجان لها في مدينة صور، حضره حشد كبير من أهالي صور ومن القرى العاملية، وتكلم فيه كل من الأساتذة محمد

---

(١) أحمد بلاغي، من مذكراته ولقد جمع فيها أحداث ١٩٥٨.

زيات ورياض طه وكلوفيس مقصود. وفي ختام المهرجان، دعت القيادة في الحركة لمهرجانها الثاني في معركة[٢].

في الرابع من آذار لعام ١٩٥٨م تنادت لمهرجان «معركة» كل المدن والقرى العاملية، فاجتاحتها الجماهير الغفيرة سيراً على الأقدام وهي ترفع أعلام الجمهورية العربية المتحدة وصور الرئيس جمال عبدالناصر وتهتف بسقوط الرجعية العربية والعملاء، وتنادي بتحرير فلسطين ورحيل ايزنهاور مرددة: «ايزنهاور شو بدّك منّا خذ شمعونك وارحلْ عنّا»؛ «ايزنهاور شوبدّك منّا خذ كظومك (كاظم) وارحل عنّا». هكذا اقتحمت الجماهير الحاشدة، وتجمعت في الساحة العامة، مركز المهرجان المحاذي لمقر آل الخليل (القبو) وحراسهم المسلحين وتجمع أنصارهم.

وعلّقت صور الرئيس جمال عبدالناصر على الحيطان والأعمدة وغطت الأعلام الرؤوس. ولشدة الإزدحام لم يستطع المسؤولون عن المهرجان المحافظة على تهدئة الجماهير التي ضاقت بها الساحة الكبيرة، مما حدا بمحمد زيات إلى اعتلاء ظهر البوسطة ليخطب بالجماهير وهي تهتف وتصفق وتهزج مندّدة بالإقطاع ومن وراءه.

أثناء المهرجان أصيب سامي عبدالله زيدان ومحمود حسين خليل بجروح طفيفة من رصاصة مسدس انطلقت خطأ، فحاول آل الخليل استغلالها ورفعوا دعوى إلى الحكومة إلاّ أن الجريحيْن وأهلهما رفضوا تقديم شكوى مما أسقط الدعوى[٣].

وفي اليوم التالي الخامس من آذار ١٩٥٨م، نقلت وسائل

(٢) مقابلة مع احمد بلاغي ومحمد حسان.

(٣) حسن سليم عبدالله جرادي.

الإعلام من إذاعات وصحف ومجلات وقائع المهرجان في معظم الدول العربية، وعلّقت عليه مطولاً كل من إذاعة صوت العرب من القاهرة وإذاعتي موسكو ولندن(٤). وبعد المهرجان لجأ ناظم الخليل إلى أسلوب جديد فتبرع بخمسمئة ليرة لبنانية لمباشرة العمل في بناء المدرسة الرسمية، إلا أنه فوجىء بأخيه كاظم الخليل يقول له: (نحنا بلا علم ما فينا ليهم كيف إذا تعلّموا). وعندما بلغ ذلك شباب حركة القوميين العرب في معركة جمعوا المبلغ مضاعفاً وبنوا عدداً من الغرف كانت مسرحاً ومركزاً للمدرسة الرسمية(٥).

٢ ـ أحداث سبقت ثورة ١٩٥٨م

يقول أحمد بلاغي في مذكراته: بعد النجاح الكبير لمهرجان معركة دعا حزب البعث لمهرجان في قرية عيتيت في الثاني من نيسان من العام نفسه، ونجح المهرجان لدرجة عالية ومميزة إلاّ أن رجلاً من قرية «وادي جيلو» القريبة من عيتيت يُدعى محمد المقدم نقل خبراً كذباً، أراد به ايقاع الفتنة وهو مدفوع من الإقطاع ومفاده، ان المتظاهرين في مهرجان عيتيت مزّقوا العلم اللبناني ورفعوا مكانه علم «الوحدة العربية».

وفي اليوم التالي أي صباح الثالث من نيسان قام الجيش باعتقال مسؤولي حزب البعث في صور والمناطق. وعلى الأثر دعت حركة القوميين العرب إلى اضراب عام وسيّرت المظاهرات استنكاراً. وفي مظاهرة صور قُتل اثنان برصاص أحد الضباط وهما محمد قاسم وابراهيم سلامة. واعقبتها بيوم واحد مظاهرات للمدارس الرسمية

(٤) أحمد بلاغي، دفتر محاضر الجلسات، تقييم المهرجان.
(٥) مقابلة مع الأستاذ محمد حسان.

والخاصة التكميليتين في صور، فأطلق عليها رجال الدرك ومسلحو آل الخليل والحزب القومي السوري النار فأصابوا عدداً من المتظاهرين وقتل على الفور معن حلاوي البالغ من العمر ثماني عشرة سنة وهو من أفراد حركة القوميين العرب. وقد أخذت هذه المظاهرات صداها الإعلامي في الصحف والمجلات والإذاعات وبخاصة الوطنية منها كجريدة التلغراف والكفاح والتيار. وأشارت في كثير من أعدادها بأن وراء كل هذه المآسي والفتن التي تقع في صفوف الشعب آل الخليل.

استمر الإضراب ولم تفلح الدولة في عودة الحياة الطبيعية لمدينة صور وضواحيها مما حملها على القيام باعتقال مسؤولي حركة القوميين العرب، ومن أبرزهم ياسر نعمه الصحفي اللامع الذي تعرّض للإهانة والتعذيب. عندها أعلنت مدن صيدا وطرابلس وبعلبك وزغرتا وبيروت الغربية إضراباً تأييداً وتآزراً مع المناضلين في صور وضواحيها مع دعم إعلامي موجّه من سوريا ومصر الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا)(٦).

كان من أهم أهداف حركة القوميين العرب تأييد الوحدة بين مصر وسوريا بدليل أن الوفود اللبنانية الغفيرة توجّهت إلى الشام لتبارك الوحدة، وتعلن عن تضامنها ومحاربة النظام الفئوي والعشائري واللاعروبي الذي أراد ربط لبنان بالمعسكر المضاد للوحدة العربية والمسمى بمشروع «ايزنهاور» وحلف بغداد. الذي أيّدته حكومة سامي الصلح في ١٦ آذار من عام ١٩٥٧م. ولما طلبت المعارضة في الحكومة من الرئيس شمعون عدم التجديد لولاية ثانية أو إقالة

(٦) جميع هذه المعلومات من مقابلة مع أحمد بلاغي الذي دوّن الأحداث.

حكومة سامي الصلح التي أيدت مشروع ايزنهاور، رفض شمعون إقالة حكومته كما رفض التصريح بعدم رغبته في التجديد. عندها عادت المعارضة تطالب بحلّ المجلس النيابي وتكليف حكومة حيادية ريثما يتم انتخاب مجلس جديد ورئيس جديد. وسمّت المعارضة اللواء فؤاد شهاب لتأليف الحكومة الجديدة. فرفض الرئيس شمعون وأصر على البقاء حتى آخر ساعة من رئاسته. فبدأ عندها الصدام وكانت أول شرارة تنبىء بإشعال ثورة ١٩٥٨.

ولما كانت الصحافة تلاحق الأحداث وتلعب دوراً اعلامياً خطيراً في نقل وقائعها وتعمل على فضح النظام وأتباعه. قامت عندها أجهزة المكتب الثاني باغتيال الصحافي نسيب المتني يوم الخميس في الثامن من أيار من العام نفسه في مكتبه وهو يقوم بواجبه المقدس.

ويوم الجمعة في التاسع من أيار شيّع إلى مثواه الأخير، وأُعلن الإضراب العام في جميع المناطق اللبنانية... واندلعت الثورة...

٣ ـ الدور الكبير الذي لعبته معركة في ثورة ١٩٥٨م

كان آل الخليل يمثلون الإقطاع السياسي في منطقة صور، ويتخذون من صور ومعركة مقراً لعصاباتهم وتحركاتهم إلى جانب الحزب القومي السوري والجيش والدرك الذين يدعمون الشمعونية. ومع اندلاع الثورة في التاسع من آذار عام ١٩٥٨م، تحالفت جميع القوى الوطنية والحزبية من القومين العرب والبعثيين والناصريين مع الزعماء الوطنيين المتمثلين بـ أحمد الأسعد وصائب سلام وكمال جنبلاط ورشيد كرامي وصبري حمادة ومعروف سعد. وكانت قيادة الثورة في صور بيد حركة القوميين العرب، فتوجه عدد كبير من مسؤوليها وعناصرها إلى دمشق سيراً على الأقدام للتدرب على

السلاح.

في مقابلة شخصية مع الأساتذة محمد حسان ومنير سعد وحسن سليم عبدالله جرادي أفادوا: توجهنا إلى الشام وكان عددنا سبعين شاباً لنتدرب على السلاح ونعود به، وأربعة من «معركة» ومعنا حسن علي فرج. استمرت رحلتنا اثنين وعشرين يوماً، سبعة أيام في التدريب والبقية قضيناها في الطريق ذهاباً وإياباً سيراً على الأقدام. وقد قطعنا طريق الحولة والمنارة وتعرضنا في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى كمائن اسرائيلية عدة، قتل في أحدها منا شاب اسمه «محمد» من قرية الحولة وجرح من صور حسن بحسون ومحمد حايك. عند وصولنا إلى بانياس، استقبلنا أحمد الأسعد بكل ترحاب ولدى سؤاله عن اسمائنا وأسماء قرانا فوجىء بأننا من «معركة» فاستغرب. وقال: «أبعث بكم كاظم الخليل لاغتيالي أم لاغتيال أنفسكم؟» أجبناه: أتينا لنعود بالسلاح ونقاتل به آل الخليل وكل المتآمرين على الوطن والقومية العربية. فردّ قائلاً: إنكم من حركة القوميين العرب؟ قلنا: لنا الشرف بذلك.

وعندما وصلنا إلى دمشق، استقبلنا مباشرة وزير الداخلية السوري عبدالحميد السراج وتوجهنا على الأثر إلى أحد مخيمات التدريب في نواحي دمشق. وبعد سبعة أيام من التدريب، زود كل واحد منا ببندقية أو أكثر وبعدد من الجعب وكميات من الذخيرة وعدنا باتجاه الجنوب. يقول حسن سليم عبدالله جرادي: عدت بـ(أف.أم) و(برن) وعشر جُعب ومئتين وخمسين طلقة عدا ما في الجعب أي ما يعادل خمسة وأربعين كيلو غراماً.

أخذنا نجدّ السير ليل نهار بين الجبال والأودية والأحراج، فتمزقت أحذيتنا وملابسنا وأخذنا نمزق ثيابنا ونلفها على أقدامنا بدل

الأحذية، وعلى الأثر توجّه إلى «سلعا» كل من محمد زيات ومنيف فرج وكمال فران وسامي شحادة. فدبر محمد زيات خطة لإدخال السلاح إلى صور في سيارة سامي شحادة الذي كان يظهر لآل الخليل أنه يتعاطف معهم. تمّ ادخال السلاح إلى صور مروراً بحاجز آل الخليل الذي كان معظم عناصره من «معركة» ومن الموالين لهم، أما عناصر حركة القوميين العرب فقد دخلت من الرشيدية والبقبوق بواسطة زوارق لصيد السمك. ودخل محمد حسان ومنير سعد وحسن سليم عبدالله ليلاً متسللين بين حاجز الجيش وحاجز آل الخليل، ولما علم كاظم الخليل بدخولهم بهذه الطريقة اتهمّ عناصر الحاجز بالخيانة ثم أرسل عادل بزي فأطلق النار على نادي التضامن، معقل القوميين العرب، ليتأكد من دخول السلاح إلى صور. فهب حسن سليم عبدالله إلى بندقيته إلاّ ان محمد زيات منعه بحجة أن الوقت لم يحن بعد وأن ما نملكه من سلاح وذخيرة لا يكفي للمواجهة. ولما استمر بزي باطلاق النار أخذ منير سعد قنبلة ورمى بها باتجاهه إلا أنها سقطت في الرمل ولم تنفجر. بعد ذلك ولى بزي هارباً ولم يتمالك حسن سليم فأطلق رصاصتين فوق رأسه... وأنهال الرصاص بعدها من كل الجهات ومن كافة الفئات وأخذت تمتد حتى شملت معظم المناطق اللبنانية.

في هذا الوقت، كانت معركة تغلي غليان البركان فهي موزعة بين مناصرين لآل الخليل ولآل الأسعد ولحركة القوميين العرب. وكانت الحكمة والوعي يطغيان على الاستفزازات التي يثيرها جماعة الخليل، ورغم أن القوميين ومعهم الأسعديون كانوا الأقوى سيطرة والأكثر شعبية كانوا يلتزمون الصمت أو يخرجون من القرية كلما أرسل آل الخليل مسلحين من صور لإثارة المشاعر وإيقاع الفتنة،

فكثيراً ما مارسوا الضرب والشتم لمنْ وجدوه في طريقهم ويسجن في غرفة في القبو كانت حظيرة للأغنام، أو يُصلب على قنطرة الشرفة المطلّة على الساحة العامة لساعات أو ليوم بكامله وإذا ما تمكنوا من مداهمة أحد معارضيهم يأتون به متجمهرين إلى القبو وهم يردّدون «أنزل على حكم الخليل أحسن ما تطلع عالجبل» أي دار الأسعد. ومن هؤلاء الرجال الأغراب خالد السكران وعلي الاسماعيلي وهم من عرب الهيب وحسن دره وأبو صبحه من مارون الراس، وكانوا جميعاً مطلوبين للعدالة اللبنانية لتهريبهم الأبقار عبر الحدود مع اليهود. في ٢٧ نيسان عام ١٩٥٨م دخلت إلى معركة أعداد كبيرة من صور من جماعة آل الخليل، وعند الساعة السابعة مساء أخذت تجول في الشوارع وتعتلي سطوح المنازل وتطلق النار بكل اتجاه، واعتدوا بالضرب على عدد من الناس وقد اصيبت زوجة حسين علي طراد برصاصة في صدرها فاستغلها الطرفان: آل الخليل وجّهوا التهمة لحسن إبراهيم ذيب حيث كان كاظم الخليل قد وعد بجائزة عشرة آلاف ليرة لبنانية لمن يغتاله[٧]، والآخرون قالوا: إن جماعة الخليل أصابوها وهم يطلقون النار بكل اتجاه. إلاّ أن الحقيقة بقيت غامضة وأخفى سرها محمد أحمد ذيب إلى اليوم حيث كان عندها هو وحسن إبراهيم ذيب فانطلقت رصاصة خطأ من مسدس الأخير ولهذا التاريخ تحسب أم عفيف والجميع أن الرصاصة مصدرها آل الخليل[٨].

أرسل عبدالرحمن الخليل شاباً من معركة إلى صور بحجة الإنضمام لحركة القوميين العرب، وكانت صور تحت سيطرة حركة

---

(٧) محمد أحمد ذيب حجازي.

(٨) مقابلة مع محمد أحمد ذيب. هو أخو أم عفيف.

القوميين العرب والبعثيين وآل الخليل في دارهم عند مدخل صور فلا يستطيعون الوصول إليها فالمسافة بينهم وبينها خطوط حمر. وكان الهدف إذا ما اطمأنوا له هو اغتيال شباب معركة منير سعد ومحمد حسان وحسن فرج وحسن سليم عبدالله وحسن إبراهيم ذيب، لكن منير سعد رأى الشاب وطلبه إلى المحاكمة وتحت الضرب اعترف بأن عبدالرحمان الخليل أرسله لينفذ عمليات اغتيال بعدد من الشبان ووعده بمبلغ كبير من المال(٩).

وبعد الفشل الذي لاقته هذه المكيدة، عمد عبدالرحمان إلى خطة جديدة أوسع وأشمل وأخطر. يقول حسن سليم عبدالله والأستاذ محمد حسان: خطط عبدالرحمان لقتل الشيخ علي مغنيه رئيس المحكمة الشرعية في صور وكاتبه موسى حيدر وهما من طيردبا... فاقتيدا ليلاً إلى عين شدغيث بين معركة وطيردبا والعباسية ورميا بالرصاص.

بعدها قدم عبدالرحمان دعوى بحق عدد من عناصر حركة القوميين العرب وهم حسن سليم عبدالله ومحمد عبدالله طراد من معركة، ومحمد كايد كساب من طيردبا وكمال فران ومحمد زيات وسامي شحادة من صور وكامل فرج من البازورية وغيرهم. على أثر المحاكمة سجن محمد عبدالله طراد ومحمد كايد كساب ـ وهذا الأخير سجن مدة اثنتي عشرة سنة بحجة أن الشيخ علي مغنية كان قد قتل والده حين دفع بحسن مغنيه بلباس امرأة فقتله، فاعتبرت المحكمة أنّ كساب أخذ بالثأر.

وقد فرّ عدد منهم إلى سوريا ورجعوا عندما صدرت البراءة

---

(٩) حسن سليم عبدالله ـ مقابلة خاصة.

بحقهم وكان عدد الذين حملوا السلاح في حركة القوميين العرب ثلاثة وأربعين عنصراً من معركة تناوبوا على عملهم بين معركة وصور إضافة إلى خمسة وعشرين عنصراً في بيروت. استشهد منهم ثلاثة، اثنان في صور وواحد في بيروت وهم: حسن إبراهيم ذيب ـ حسين علي أمين خليل ومحمد خليل إبراهيم سعد.

استمرت الثورة حتى انتخاب قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في ٣١ آب، وفي ١٣ أيلول تسلم صلاحياته الدستورية وأقال حكومة سامي الصلح وتشكلت حكومة رباعية كان شعارها «لا غالب ولا مغلوب»، وكانت حصيلة حكومة الصلح ما يزيد على ألف ومئتي قتيل وأكثر من ألفي جريح. اتخذت الحكومة الجديدة اجراءات مشددة بسحب السلاح من كافة الفئات.

استمرت الثورة ستة أشهر وتميزت بأبشع المجازر والمآسي وقضت على الاقتصاد الوطني العام للبلاد.

٤ ـ استمرار الثورة في منطقة صور

إلا أن الثورة في قرى منطقة صور ظلت مستمرة وبشراسة، فقد انسحب المسلحون من صور إلى القرى واتخذوا منها مقراً لقياداتها وتشكلت عدة فرق مسلحة:

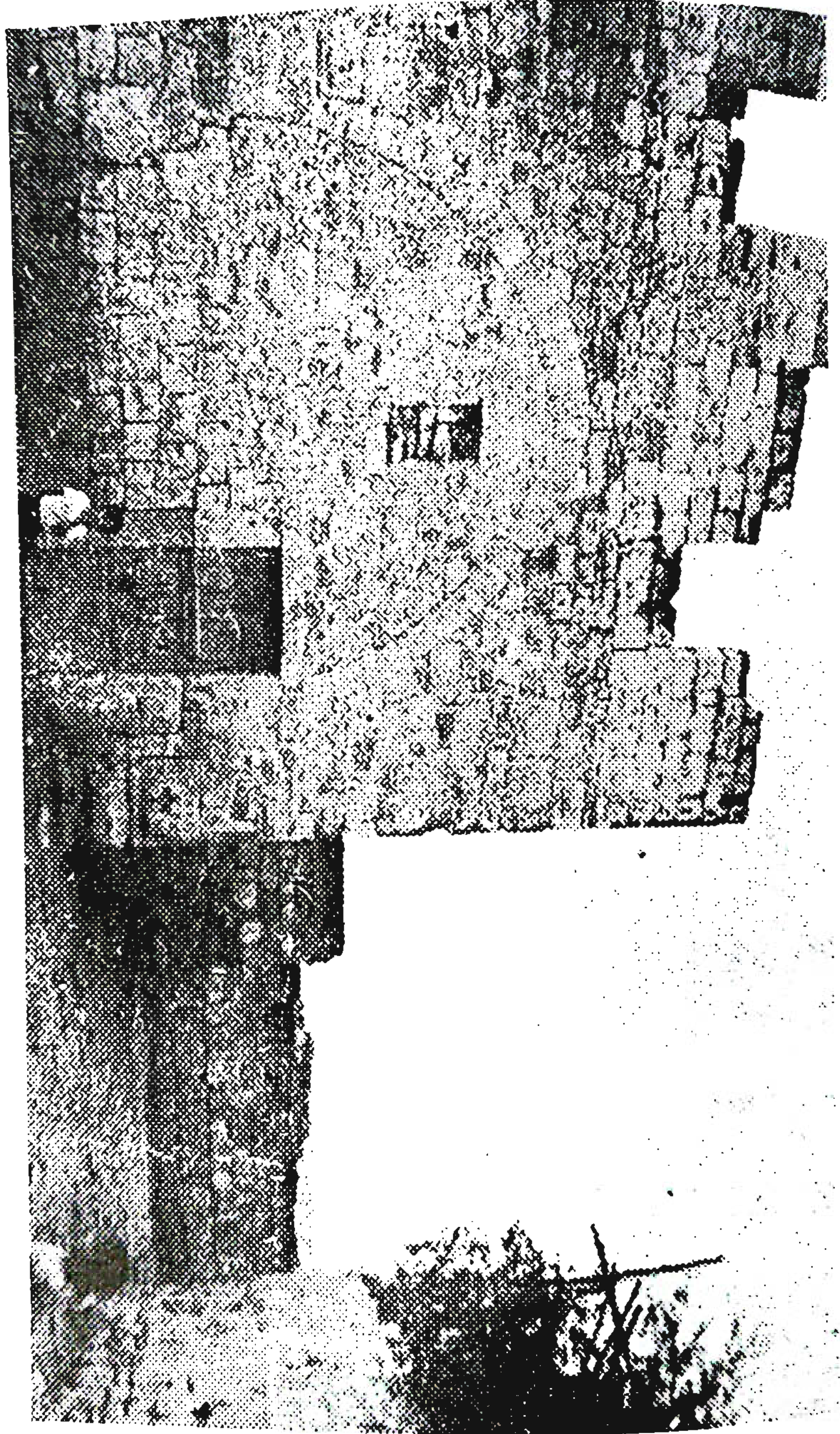
في دير قانون النهر القوميون العرب بزعامة محمد حيدر ذياب، وفي معروب بزعامة الشيخ حن فاعور وكامل فرج، وفي جويا للأسعد بزعامة عاطف سطام والمجادل بزعامة نعمة رميتي، وفي المزرعة حسن الأردني وفي معركة للقوميين العرب بزعامة محمد حسان، وفرق أخرى للقوميين السوريين والبعثيين، ولآل الخليل. وظلت صور معقلاً للسياسيين والمسلحين بشكل غير علني...

وما إن أعلنت الحكومة الجديدة الرباعية عن انتهاء الثورة حتى دفع آل الخليل من صور بمسلحيهم إلى معركة، وأخذوا يعززون مواقعهم مظهرين للناس أنهم منتصرون وباقون حتى لا يفسحواللقوميين أو الأسعديين أن يزعموا أنهم الأقوى والمسيطرون. وعملوا على منع التجول يومياً من الساعة التاسعة ليلاً وحتى السادسة صباحاً، وأثناء النهار كانوا يتجولون في الشوارع ويثيرون العنتريات ويوجهون الشتائم لمعاديهم. وفي هذا الوقت كانت حركة القوميين في معركة قد نقلت قيادتها وعناصرها إلى قرية معروب القريبة.

٥ ـ الهجوم على القبو ـ مركز آل الخليل

في الساعة الثالثة فجر ١٣ تشرين الأول لعام ١٩٥٨م هاجمت مجموعة من الحركيين متسللة إلى القبو بقيادة حسن إبراهيم ذيب، فاستسلم الحارس عند البوابة الخارجية المشرفة على الساحة العامة وجُرد من سلاحه مع الحارس الثاني الذي كان نائماً في خيمة على سطح القبو وأخلي سبيلهما دون مسهما بأذى. وفي الساعة الخامسة صباحاً بلغ الخبر آل الخليل في صور فحركوا عدداً من السيارات والمسلحين وداهموا معركة، وأخذوا يطلقون الرصاص في الشوارع واعتدوا بالضرب على عدد كبير من الرجال والنساء، كانت جروح أربعين منهم بليغة فادخلوا إلى مستشفيات صيدا وصور. وخرجت أعداد كبيرة من الأهالي إلى جويا ومعروب ويانوح وغيرها. استمرت الحالة حتى الثامنة صباحاً عندما عززوا الحرس في القبو وغادروا إلى صور.

في جويا، توجه الهاربون بقيادة أبو عاطف علي حسين حجازي وبينهم عدد من المسلحين من معركة بعد أن أرسل إلى نعمه رميتي الذي لحق به بفرقته، وطوقوا معركة من جهتيها الجنوبية والشرقية



القبو: بيت الإقطاع من الناحية الشمالية.

ودخلوها تحت وابل من النيران من كافة الأسلحة. وفي الوقت ذاته وصلت فرقة الشيخ حسن فاعور من معروب ورابطت إلى الجهة الشمالية في منطقة «مرج البرعماني» وبيدر الشمال ـ «مكان الثانوية والابتدائية والأهلية».

ودارت معارك ضارية استطاعت بعدها الفرق المهاجمة احتلال القبو والسيطرة التامة على «معركة»، وقد أصيب من جماعة آل الخليل في القبو عبداللطيف حسان وكامل موسى خليل وحسن محمد علي خليل بجروح بليغه وتم نقلهم إلى مستشفى الدكتور سعد الله الخليل في صور، وأصيب من جماعة سطام مسلح بشظايا قنبلة كان يهم بضربها على خيمة القبو قبل أن تحترق فوقع عن الدرج.

وعند الساعة الثانية عشرة ظهراً، وصلت من ثكنة صور ثلاثُ دبابات وعدد من السيارات محمّلة بالجند ومجهزة برشاشات ثقيلة. عند المدخل الغربي لمعركة أخذت تطلق النار في الهواء وتنادي عبر مكبر للصوت (نحن جيش ـ نحن جيش)، وعلى الأثر أخذ المسلحون بالانسحاب وأحكم الجيش السيطرة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر وكان يرأس الكتيبة الملازم أول نصر الله...

عندما غادر الجيش، عاد مسلحو الخليل بأعداد كبيرة من صور وغيرها فأعادوا سيطرتهم وأخذوا يلاحقون خصومهم حيث أصابوا عدداً منهم بجروح وبإصابات بليغة، أخطرها إصابة رضا سعد. عندها فرّت أعداد كبيرة باتجاه صور وصيدا وظلوا على هذه الحالة أربعة أيام متتالية. وأقاموا حواجز ومتاريس في أماكن عدة في القبو والوطاويط والحارة الفوقا والتحتا وعلى سطح المدرسة الرسمية في الغرب.

أمام هذه التحديات، عُقدت اجتماعات في صور ومعروب ودير قانون النهر وجويا بين القوميين العرب والأسعديين، وقرروا مهاجمة معركة من جديد ومن محاور عدة، من ناحية صور منير سعد، من دير قانون النهر، محمد حيدر ذياب، ومن معروب، كامل فرج، ومن جويا، سطام، ومن المجادل نعمه رميتي ومن المزرعة حسن الأردني.

ليل ١٧ تشرين الأول عام ١٩٥٨ وكانت جميع الفرق تستعد لأخذ كلمة السرّ لبدء الهجوم لكنّ مقتل حسن إبراهيم ذيب في معروب بطريقة الخطأ من رصاصة انطلقت من بندقية كامل فرج عطّل الهجوم[١٠]. وبمقابلة مع كامل فرج أكدّ إصابة حسن إبراهيم ذيب بطريق الخطأ إلا أنه رفض تسمية الفاعل.

وتقرر في معروب نقل الجثة إلى أطراف «معركة» الشمالية منطقة بيدر الشمال على أن يتم إطلاق نار باتجاه القبو فيرد مسلحو الخليل على مصدر النار، بعد ذلك يتم الإنسحاب وتُترك الجثة في مكانها لإتهام مسلحي الخليل، ولكنْ لم يتم لهم ذلك، فعندما وصلوا إلى جناتا بواسطة سيارة توجّهوا سيراً على الأقدام ومعهم الجثة على سلم خشبي، عبر طريق وعرة إلى ناحية «الحوش»، وهي وادٍ يُسمى بجامع البنات (غدير ماء وشلالات)، عند وصولهم إلى الوادي انهمر المطر بغزارة، فاحتموا في مغارة وقد منعهم السيل الذي جرف التراب والحجارة من الوصول إلى الضفة الأخرى (ثم فوجئوا) بالصباح وقد انكشفت من حولهم الأشياء، فتركوا الجثة على السلم قرب الضفة الشمالية وانسحبوا. في الصباح الباكر شاهدت الجثة

(١٠) حسن سليم عبدالله؛ محمد حسان؛ أحمد بلاغي؛ علي الحاج مصطفى سليمان.

أمرأةٌ كانت في طريقها إلى حقلها فعادت أدراجها وأخبرت الناس، فتوجهوا على الفور وحملوا الجثة إلى «معركة».

عاينتُ بنفسي الحدث رغم صغر سني فكنتُ بصحبة الأهالي في الوادي عندما عادوا يحملون الجثة في ذلك الوقت، كان الجيش قد انتشر في الشوارع وأقام حواجز عدة وتمركز في المدرسة الرسمية. استمر الوضع المضطرب شهرين ثم هدأت الأوضاع قليلاً وعاد نازحو القرية إلى بيوتهم. لكنّ المشاكل لم تنتهِ فكانت الأوضاع تضطرب بين فينة وأخرى ويسقط الجرحى وتعلق دعاوى. وكان أشدها قتل حسين علي أمين خليل برصاصة مسدس من موالٍ خليلي دفعه إليه الأفندي عام ١٩٦٢م. وكاد المسلسل يطال عدداً من رموز حركة القوميين العرب لو لم يبقوا خارج معركة إلى ما بعد العام ١٩٦٥م.

مرحلة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية

١ ـ الأحزاب في معركة

منذ العام ١٩٧٠ بدأ تحرك سرّي للأحزاب والمنظمات الفلسطينية وفي العام ١٩٧٥ قتل خليل أحمد محمد خليل سعد من الحزب التقدمي الإشتراكي برصاصة مسدس خطأ من رفيق له في منزل محمد سليم عبد الله جرادي وفي نفس المنزل عقد إجتماع ضم واحداً وعشرين شخصاً يمثلون سبعة أحزاب ومنظمات فلسطينية وقد أحصيت لهم ثلاث وأربعين قطعة سلاح من نوع كلاشينكوف وسيمينوف «ج ـ ٣».

وفي عام ١٩٧٦ ومع اشتعال الحرب الأهلية في لبنان وقفت حركة أمل (المحرومين) ضد الأحزاب وكانت تقوم محاولات من الأحزاب في معركة بمساعدة خارجية لبسط السيطرة إلا أنها كانت تفشل أمام السواد الأعظم من أهالي معركة الذين وقفوا إلى جانب حركة المحرومين متأثرين بالأمام موسى الصدر وقد أقامت الأحزاب الحواجز عند مدخل البلدة لتفتيش الأهالي وقصف أحد الأحزاب بالقذائف وسط البلدة مما حدا بالأهالي إلى التجمع في الساحة وزحف أكثر من خمسة آلاف نسمة سيراً على الأقدام إلى مكان القصف.

وفي تسلل ليلي لعناصر أحد الأحزاب قتل عنصر من خارج معركة قرب المدرسة الرسمية في الغرب وقد تركز عمل الحزبيين من معركة، السياسي والعسكري في صور. وكان السيد موسى الصدر قد قدم بياناً حدد فيه نقاط الخلاف التي فجرت الأوضاع مع الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في العاشر من آب سنة ١٩٧٦ بمناسبة ذكرى الخامس عشر من شعبان ذكرى مولد الامام المهدي (ع) قال فيها: إن التلاحم بين سوريا والثورة الفلسطينية هو الطريق لتحرير فلسطين ولكن الأحزاب حاولت وتحاول دفع الثورة الفلسطينية باتجاه حركة هدفها قلب الأنظمة العربية... وقال: فرض علينا الدفاع عن النفس فقدمنا الشهداء وآلاف الجرحى، وقال: رفضنا الطائفية السياسية والعلمنة معاً وكذلك الإدارة المحلية فثارت ثائرتهم. وقال أيضاً: لقد طرحوا الجنوب وطناً بديلاً للمقاومة[١].

وفي مقابلة مع جريدة النهار الدولي والعربي التي تصدر في باريس: قال السيد موسى الصدر: الحرب اللبنانية كانت مؤامرة إسرائيلية وقال: الخلاف في الرأي والانتماء بين المسلمين والمسيحين لم يكن سبباً في أشعال الفتنة.

٢ ـ حركة المحرومين

في السبعينات ومع بروز الإمام موسى الصدر الذي هو أحد أبناء هذه البلدة معركة[٢]، التفّ السواد الأعظم من أهاليها مع حركة المحرومين.

(١) مجلة صوت المحرومين، العدد ٣، ٢٣ أيلول ١٩٧٦.

(٢) الحوادث ـ مقابلة بتاريخ ١٩٧٧/٩/٢٠ ولكن الحقيقة أنني كما ورد أكثر من مرة وفي مجلة الحوادث من عائلة لبنانية جنوبية من قرية معركة قضاء صور (الكلام للسيد الصدر).



مسيرة نسائية في معركة بتاريخ ٢٣/٤/١٩٨٠ استنكاراً لاعتقال السيد محمد باقر الصدر

وفي أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات، عرفت «معركة» شخصية خليل جرادي الذي جعل همه توحيد الصفوف داخل البلدة وخارجها. وبدأ التيار الإيديولوجي الديني المشفوع بممارسة راقية يشكل محور إجماع لكافة عائلات البلدة التي فرّقتها المنازعات المحلية وقد شكل خليل جرادي ومحمد سعد ثنائياً منسجماً بشكل رائع. عاشا واستشهدا معاً.

كان كل منهما يشكل امتداداً وتكاملاً للآخر، واستطاعا خلال سنوات قليلة أن ينخرطا في خيوط نسيج «معركة» الاجتماعي وأن يبنيا مجموعة من الكوادر بانت أهميتها فيما بعد خلال معارك المقاومة مع العدو الإسرائيلي في الفترة ذاتها ـ مطلع الثمانينات. عندما احتدم الصراع بين الفلسطينيين والتنظيمات اليسارية من جهة وبين حركة أمل ومناصريها من جهة ثانية. تعرضت «معركة» للحصار أكثر من مرة وحملت لوائح وحواجز القوات المشتركة أسماء العديد من شبابها الذين اصبحوا يخشون مغادرتها إلى المناطق الأخرى.

عند مفترق طريق شارنيه أوقفوا سيارة أجرة يقودها محمد حسين محمود خليل، وفيها خمسة ركاب من أهالي معركة. وطلبوا من السائق المذكور الترجل وأمام أعين الركاب رموه بوابل من الرصاص فأردوه قتيلاً ومضوا. وعلى حاجز القاسميه أوقفوا حسن العبد موسى طراد وقطّعوه قطعاً قطعاً لا لشيء إلا لأنه من معركة.

أخذ الشباب ينظمون محاور دفاع عن البلدة في وجه هجوم محتمل... فأفشل أوسع هجوم ضم أكثر من ألفي مقاتل ومئتي عربة وجيب كان يقوده العقيد الحاج اسماعيل قائد القوات المشتركة في الجنوب ويساعده الرائد «عزمي» قائد القوات المشتركة في القطاع الأوسط.

في الوقت الذي كانت تحمل فيه جنازة المغدور الشهيد الأستاذ عبد اللطيف سعد مدير ثانوية معركة وعضو المجلس السياسي في صور ورئيس المستشفى الحكومي وقد وجد مقتولاً في خراج بلدة وادي جيلو بين جويا وبافليه ودبعال. وقد أتهم المجلس السياسي طرفاً سياسياً بقتله من خلال بيان وزّعه وقد بدا واضحاً أنه يشير لهذا الطرف بحركة أمل في معركة وصدر بيان عن أهالي معركة في العاشر من رمضان سنة ١٩٨٠م يستنكر الجريمة ويندد بالفاعلين وفي نفس الوقت يرد على بيان المكتب السياسي.

ومع أن المواجهة غير متكافئة إلا أن الأهالي استماتوا ونجحوا في إبعاد المهاجمين[٣].

٣ ـ معركة المقاومة

وعندما سألت الحاج محمود أبو حسن وهو الذي قام بتغسيل المغدور عن مكان إصابته أجابني في بطنه وقد خرجت من ظهره محدثة فجوة واسعة وقد أخرجنا منها كثيراً من الرمل وأضاف لقد تعرض لكثير من الضرب في معظم أنحاء جسمه.

وهذا نص البيان الذي صدر عن أهالي معركة:

للتاريخ وللحقيقة ـ بيان صادر عن «أهالي معركة»

﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ صدق الله العظيم

أيها الأخوة المؤمنون،

أن شهر رمضان المبارك يضع أمامنا ذكريات عظيمة وجليلة من جديد، ويضفي عليها بالتأمل الذي ينمو فيه بالصيام وعن طريق تطهير

(٣) النهار، ١٩٨١/٧/١٥.

الجسم وتزكية النفس معان وعبراً ويجعل منها دفقاً جديداً في طريق حياتنا المأسوية العصيبة.

واليوم حين نخوض معركة العمل الجهادي في سبيل جبل عامل واستعادة الامام السيد موسى الصدر تبرز على الساحة محاولات رخيصة القصد منها النيل من عزة وإباء وصمود العامليين.

«ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون»

أيها الأخوة المؤمنون:

في الأفق حادثتان مرتبطتان ببعضهما البعض:

١ـ حادثة اغتيال الشهيد عبد اللطيف سعد.

٢ـ حادثة اطلاق النار يوم دفن الشهيد. وحولهما صدر بيان موقع باسم «المجلس السياسي»، وهنا للحقيقة فقط نقول والله على ما نقول شهيد:

أ ـ حول بيان المجلس السياسي:

لنا ملاحظات لا يجب أن تفهم ألا على أن المقصود منها القاء بعض الأضواء على تناقضات واضحة تدين صاحب البيان:

١ـ يقول البيان: توجه الرفيق عبد اللطيف إلى صور بسيارته منطلقاً من معركة. وعثر عليه مقتولاً في خراج بلدته معركة.

الملاحظات المباشرة هي كالتالي: أن المغدور لم تكن لديه سيارة يملكها بل كانت معارة. ولم تكن جثته في خراج بلدته معركة بل في خراج عدة قرى هي جويا ـ بافليه ـ دبعال.

٢ـ يقول البيان: أنه انطلق من بلدته ووجد مقتولاً ولم يقل أين أمضى الفترة الممتدة بين الانطلاق ووجوده مقتولاً. والبيان يوحي أنه لم يصل إلى صور بينما الحقيقة هي أنه صباح السبت شوهد في صور في ثلاثة أمكنة على الأقل أي أن المغدور خطف من صور أو قتل فيها.

٣ـ يقول البيان: أن موكب الجنازة كان يتقدمه رجال الدين وانهمر الرصاص على الجنازة. بينما الحقيقة بأنه لم يكن أي أثر لرجال الدين في

الموكب وأن الموكب كان عبارة عن مجموعات كبيرة من المسلحين وأما عن حادثة إطلاق النار فهي كالتالي:

حين وصل الموكب بالقرب من المدرسة الرسمية حاولت مصفحة للقوة السنغالية منعهم من دخول البلدة أكثر من ذلك ووقفت في عرض الطريق. لكن المسلحين لم يتقيدوا بالأمر القاضي بعدم تجاوز حاجز المصفحة السنغالية فأطلقت النيران من القوة السنغالية ورد عليها المسلحون بكل الاتجاهات. فأصيب الطفل محمد حسن سعد برصاصة من المسلحين الحزبيين وقتل على الفور. وهنا ما كان من شباب أمل إلا أن نزلوا إلى الشارع بناء للجو المتوتر والذي يمس بأمن البلدة.

٤ـ يقول البيان: بأن أهالي المغدور وأهالي البلدة كانوا في مقدمة المشيعين. والحقيقة بأن الأهالي انسحبوا حين أصر المسلحون على مواقفهم المنافية للدين والشرع من صلاة وكفن ودفن للمغدور.

٥ـ يقول البيان: أن جريمة رمضان تبين مدى إيمان هؤلاء المتسترين بالدين، وعليه نقول اين احترامهم لشهر رمضان وعلينا التفتيش عليهم في أي خمارة يقبعون، بناء على هذه المقدمات الكاشفة ينتقل البيان إلى الاستنتاج بأن حركة أمل قد خططت لقتل الشهيد ونفذت ذلك. وأنه لمن أبسط البديهيات أنه ما بني على كذب سيكون كذباً كذلك.

٦ـ يصرح البيان بأن المغدور قد قتل على يد طرف منظم. يمتلك وسائل رصد واتصال، وينتقل إلى اتهام شبابنا في «أمل» مباشرة وصراحة. وهنا نسأل هل أن «أمل» هي الطرف الوحيد المنظم والممتلك لوسائل الرصد والاتصال؟؟

٧ـ الحقيقة الوحيدة في البيان هي أن المغدور ليس له خصوم في البلدة!؟ البيان لم يقل هذه الحقيقة ولم يصرح بها إلا لينطلق منها إلى إدانة حركة «أمل» إذ بأعجوبة سحرية ينتقل البيان من موقف اللاخصومة مع المغدور إلى موقف العداوة والتخطيط للقتل وتنفيذه ثم يتناسى أنه في مقدمة هذه الفقرة قد صرح بأنه لا يوجد في معركة أي خصم للمغدور.

٩ـ ثم ينتقل البيان لتدعيم حججه بإضافة حجة أخرى وهي أن الجريمة حصيلة لما غذته الحرب من روح الجريمة والقتل؟

ـ السؤال هنا هل أن تنظيم حركة أمل في معركة وحده الذي تنعكس عليه نتائج الحرب ولا تؤثر على سكان المدن مثلاً؟!

١٠ـ وبعد ذلك ينتقل البيان إلى الاتهام بأن تنظيم أمل في معركة يجتذب إلى صفوفه عدداً واسعاً من القتلة والزعران، الذين يطلقون لغرائزهم العنان تستراً بالدين، إذ أن كل جيران معركة يعرفون تماماً أنه لا وجود إلا للمواطنين الشرفاء في بلدة معركة فهي منبع الايمان والتقوى وكل الفترات التي مرت تثبت ذلك.

١١ـ يتحدث البيان عن غرائز شباب حركة أمل، أن مبادىء حركة أمل الإيمانية كفيلة بتحطيم جميع الغرائز. ونسألهم من هو الإله الذي يحطم غرائزهم الحيوانية الجامحة اليومية.

١٢ـ بعدها ينتقل البيان من الاتهام إلى إصدار الحكم على شباب حركة أمل.

ـ بأي منطق وبأي شرعة قبل أجراء أي محاكمة وقبل مقارنة أي وقائع وقبل إيجاد أي شاهد اثبات واحد، وقبل إبراز أي دليل مقرون ومدعوم يتهم المجلس السياسي حركة أمل في معركة بقتل الشهيد عبد اللطيف سعد على طريقة (**فيك الخصام وأنت الخصم والحكم**).

١٣ ـ **والانكى** من كل شيء هو أن المجلس السياسي يلبس لباس الحقيقة الدامغة ويضفي على الجريمة المزعومة لباساً أخلاقياً **فهي آنفاً سياسية ومن ثم أخلاقية**.

١٤ـ قال البيان أن الشهيد لم يكن منتمياً إلى أي حزب سياسي ولا . . .

ـ إذن الحقيقة الجديدة هي أن المغدور لم يكن منتمياً إلى حزب. . . بينما القاصي والداني ممن يعرفون الشهيد يعلمون بأنه ينتمي إلى أحد الأحزاب المعروفة والمجلس السياسي الذي نعته بالرفيق ينكر هذه الحقيقة

وإذا كان غير حزبي فكيف يكون عضواً في المجلس السياسي، وكيف؟ يكون مديراً لمستشفى صور الذي يشرف عليه المجلس السياسي؟

١٥. فجأة ينتقل البيان لابتزاز الأهالي عن طريق إثارة مشاعرهم تجاه مراسيم تشييع الجنازة. وهنا نقول: أن بلدة كبلدتنا تنطلق من منطلق الرفض للواقع الفاسد يجمعها الإيمان بالله ويوجهها العمل في سبيل الله لا يمكن أن يثيرها ابتزاز كهذا. ولا يمكن أن يفرق بين أهلها أحد لأننا اعتصمنا بحبل الله وليس باستطاعة أي قوة أو أي فتنة أن تنال من عزيمتنا وارادتنا ومن عزتنا لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

١٦. يعترف البيان بحقيقة أن الشعب الجنوبي قد تعرض لمآسي في السابق ولممارسات خاطئة عليه.

. لكن نسأل من وراء هذه المآسي والممارسات. والإجابة اليوم بالرفض المطلق للكفر والالحاد ليس في بلدتنا فقط ولكن في كافة أرض جبل عامل الطاهرة.

١٧. ثم ينطلق البيان ليمارس دوراً آخر في لعبته المكشوفة لايجاد شرخ بين شباب أمل في البلدة وقيادتهم وهنا نقول مهما تعاظم التآمر: **فإن المكر لا يحيق إلا بأهله.**

ب ـ حول مسألة اغتيال الشهيد عبد اللطيف سعد: لنا مطلب نطلبه من الام الحقيقية للجنوب

أ ـ العمل بأسرع وقت على كشف ومعاقبه مرتكبي الجريمة مهما كانت الجهة التي تقف وراءه.

ب ـ يهمنا أن نؤكد للجميع بأن بلدة كمعركة تجسد الإسلام الحقيقي قولاً وعملاً. لا يمكن أن تعادي إلا أعداء الله والوطن والشعب. وهنا نقول بأن إسرائيل والعاملين معها هم العدو الأول والأخير، ونحن مقدسو الثورة الحسينية أصحاب التاريخ الرافض المأسوي الدامي، طليعيو النضال العملي والعلمي، ونحن من وضع الثوار الفلسطينيين في قلوبهم ونحن وحدنا من تحمل عن لبنان والعرب ضربات اسرائيل الانتقامية بصمت

وخلال أكثر من ثلاثين عاماً ودون أن يتعاطف معنا أحد. لا خوفاً من احد ولا طمعاً في عطف أحد ولكن من خلال مبادئنا. ونؤكد أننا باقون على العهد مع الحق المطلق ضد الشر المطلق (اسرائيل).

وأخيراً نتوجه إلى قادتنا في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ونهيب بكافة المخلصين بالوقوف إلى جانب الحق وبالتعبير عن الأحاسيس لأن الصمت خطير في مثل هذه الظروف وقرارنا بالموت في أرضنا اتخذناه بعد أن عرفنا أن **المؤامرة التي استهدفت سماحة الامام السيد موسى الصدر والتي استهدفت مقتل الامام محمد باقر الصدر إنما تستهدف أيضاً معركة ـ والجنوب ـ ولبنان ـ والعرب ـ وايران.**

فقوموا أيها الكرام، لكي يقعد العدو ويعاد الامام. وتتحرك في الاعماق مبادىء الإيمان، لأن معركة بدر الكبرى تتجدد اليوم على أرضنا ورمضان المبارك يحمل معه عناية الله، **لكن المحنة شاقة ودون إيمان المجاهدين.**

فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

وليعلم الجميع أن معركة ستبقى أرض العلماء. . ، أرض الإيمان، أرض الامام موسى الصدر، أرض الأمام باقر الصدر.

وقسما لا بد تمضيَ كافة عهود الاقطاع والارهاب ويأتي عهد جبل عامل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

«أهالي معركة»

١٠ رمضان ١٤٠٠ هـ

مرحلة الاحتلال الاسرائيلي

جرف الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٨٢م الخلافات الداخلية، وبسرعة تكثف الخطاب السياسي الديني المعادي للاحتلال، ورفع مكبر الصوت في مساجد بلدة معركة وحسينيتها نبرة جديدة أن نعيش أحراراً أو نموت شهداء. بالدّين نعيش وبالدين ننتصر. وبإصرار قلّ مثيله استطاعت مجموعة من أبناء البلدة بقيادة القائدين محمد سعد وخليل جرادي أن تحول البلدة إلى خليّة واحدة رائعة التنظيم تتحرك كجسد واحد، وأن تتبوأ هذه المجموعة قيادة المقاومة في الجنوب.

كان موعد الصدام الحتمي يقترب بعد أن تحولت البلدة إلى قلعة يمنع على الإسرائيليين دخولها. فقصدها المقاومون يلجأون إليها بالمئات بعد مطاردة العدو والعملاء. وفي بعض الفترات كان يتواجد فيها أكثر من خمسمئة مجاهد من خارجها. تهيأت النفوس وكذلك الميدان. حالة الطوارىء مستمرة ليلاً ونهاراً وكل شخص يعرف دوره وموقعه ساعة الصفر التي تعلنها صيحة مكبرات الصوت. الله أكبر... في كافة أنحاء البلدة عند اقتراب العدو من مداخلها... وهكذا كان وكانت المواجهات. وبدأت ملحمة «معركة» في سلسلة من المواجهات الطويلة والقصيرة بلغ عددها ثماني وأربعين مواجهة، التحم فيها الناس بجنود ودبابات العدو واستطاعوا طردهم من البلدة

التي أصبحت أسطورة، يهدد الإسرائيليون باحتلالها في حين أنهم يحتلون نصف لبنان.

إحدى هذه المواجهات والأولى كانت يوم الخميس في ١٦ شباط ١٩٨٤م (حصلت أمامي وقرب منزلي ليلاً) عندما دخلت دورية اسرائيلية البلدة فوجدت عدداً من الشبان يقومون بالحراسة. ولما ترجل أحد أفراد الدورية وهو «الميجر خليل» المسؤول في جهاز المخابرات، سأل الحراس عن اسمائهم فكانت الإجابات مقرونة باسم الإمام موسى الصدر، وسرعان ما بدأت الاشتباكات بالأيدي وامتلأت الدروب بالأهالي وخرجت الدورية مسرعة وهي تطلق النيران في الهواء.

وفي ١٨ شباط ١٩٨٤م اعتقلت اسرائيل محمد سعد على دوار البص، وقبل بزوغ فجر ٢٤ شباط كانت قوة اسرائيلية كبيرة مدعومة بالمدرعات تتجه نحو مداخل البلدة، فدقّت مكبّرات الصوت جرس الإنذار «الله أكبر» ودارت في شوارع البلدة وأزقتها معارك ضارية، واجه فيها الأهالي العزّل من النساء والأطفال والشيوخ مئات الجنود المدجّجين بأحدث الأسلحة، واستمر القتال حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حيث اضطر العدو إلى المغادرة. وقد سقط من الأهالي شهيدان وخمسون جريحاً وثلاثة عشر معتقلاً، أما العدو فقد رأينا بأم أعيننا قتلاه وجرحاه ولم يكشف عنها رغم إصرار داود داود وتحدّيه إسرائيل مراراً بالكشف عن عدد قتلاها في التاريخ المذكور. هناك مواجهة أخرى، قبل ٢٨ حزيران ١٩٨٤م تناقلت وسائل الإعلام أنباء حشود اسرائيلية كبيرة وإقفال جميع الطرق في المنطقة. وفي فجر ذلك اليوم تقدمت باتجاه معركة هذه الحشود التي ضمت (٣٥٠ آلية) بين دبابة وملالة وعربة جند بالإضافة إلى ست طائرات



الصلاة على نعش الشهيد حسين سعد، أول شهيد
في مواجهة إسرائيل في ٢٤ شباط ١٩٨٤م

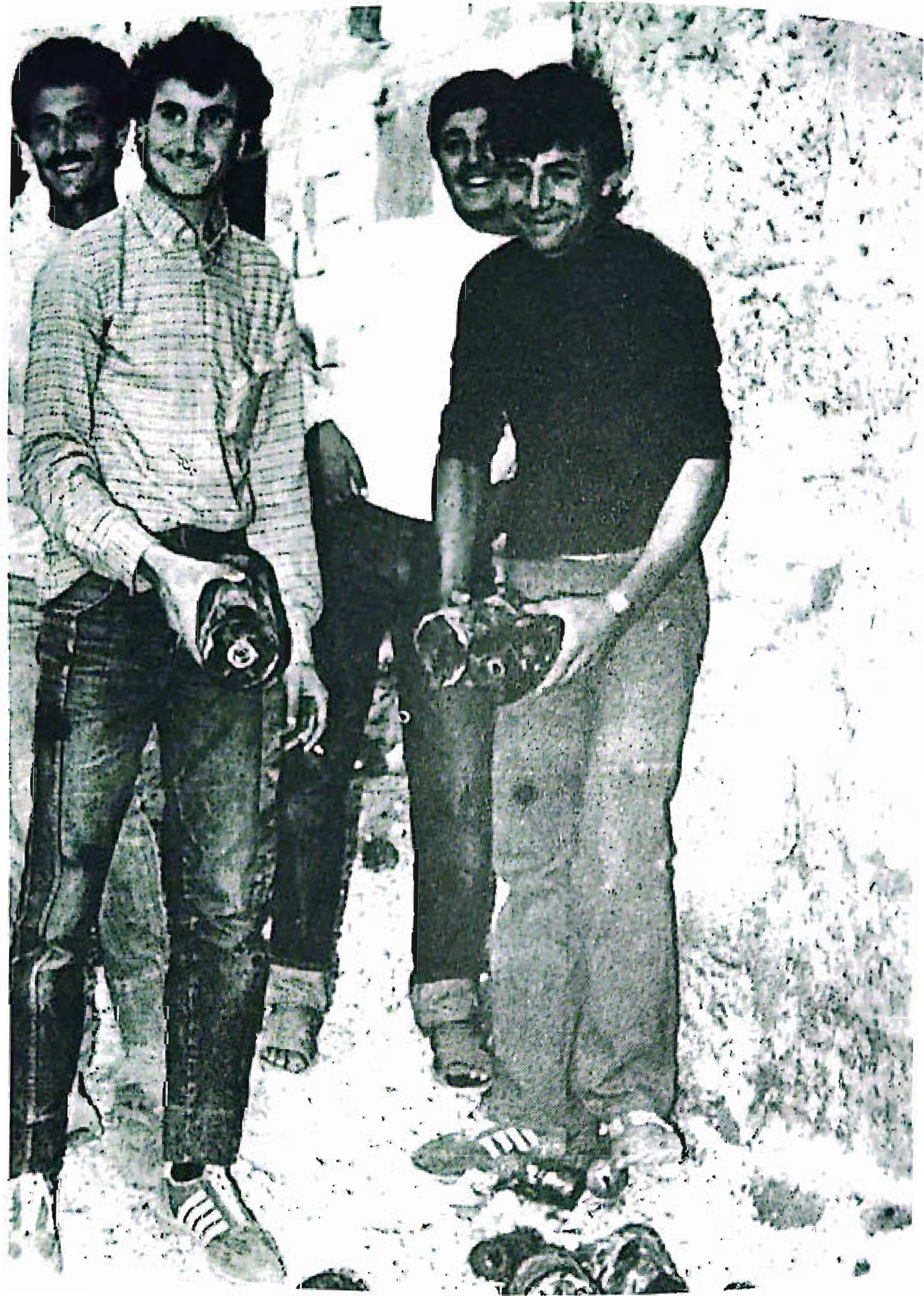


مسيرة كربلائية زمن الاحتلال يتقدمها الشهيد خليل جرادي والشهيد حيدر خليل .

هليكوبتر، على المداخل التي حصّنت بالسواتر العالية والصخور والسيارات القديمة وأعمدة الكهرباء والإطارات المشتعلة دارت معركة حجارة ورصاص وزيت مغلي، فسقط الشهداء والجرحى وتمكن العدو من اعتقال مئة وخمسة وثلاثين شخصاً، لكنه اضطر للمغادرة بعد أن اشتدت عليه الضربات والعمليات وآذنت الشمس بالمغيب هذه المواجهات حولت معركة إلى بلدة محررة من قيود الاحتلال إلى أن جاء انتقام العدو غادراً في ٤ آذار ١٩٨٥م بعد مضي أربع وعشرين ساعة على قرار الحكومة الإسرائيلية بالانسحاب نفّذ العدو بالتعاون مع عملائه مجزرة بربرية استهدفت حسينية الرجال التي تمثّل مركز قيادة المقاومة في معركة والمنطقة. في ذلك التاريخ حيث كان اجتماع رجال المقاومة وقع الانفجار المشؤوم في مبنى الحسينية وقد قدر بمئة كلغ من المتفجرات فسقط أحد عشر شهيداً وخمسة وأربعون جريحاً وكان من الشهداء أثنان من أبرز قادة المقاومة هما الشهيد القائد محمد سعد والشهيد القائد خليل جرادي.

١ ـ معركة ويوميات المقاومة مع العدو الصهيوني

الخميس ١٦ شباط ١٩٨٤م: دخلت دورية اسرائيلية مؤلفة من جيب وسيارتي مرسيدس البلدة من جهتها الغربية عند الساعة الواحدة والنصف ليلاً وبوصولها إلى مقربة من الحسينية فوجئت بعدد من الشباب يقومون بالحراسة، فتوقفت وترجل أحد رجال المخابرات نحو الشباب وأخذ يسأل عن أسمائهم. وكانت الإجابة حيدر خليل موسى الصدر، سليم سعد موسى الصدر، أحمد جابر موسى الصدر وغيرهم. وكان أحمد جابر من طيردبا مطلوباً للإسرائيليين فلجأ الى معركة محتمياً فقال ضابط المخابرات الإسرائيلي: أنت أحمد جابر ونحن نبحث عنك، فرد حيدر خليل: إياك أن تفكر بلمسه فإنك



فتية يلهون ببقايا اعتدة اسرائيلية

ميّت. وتأهب الحرس ونادوا بأعلى أصواتهم «الله أكبر - إسرائيل شر مطلق» - وهذا الشعار كلمة السر بين الحرس والأهالي ليعلموا أن جندياً إسرائيلياً يحاول التسلل إلى معركة أو حتى عند مشاهدته..

خاف جنود الإحتلال معتبرين أن من يقف في وجههم وهم مدججون بالسلاح إما أنه يمتلك السلاح وقد يستعمله وإما أنه لا يخاف الموت. وهذا أخطر ما يمكن أن يعاني منه الجندي الإسرائيلي حيث أنه لا يمتلك الوسائل لمثل مواجهة كهذه في الوقت ذاته انتشر الأهالي في الشوارع وامتلأت الساحة بهم وحوصر الجنود فلجأوا إلى الهرب بسياراتهم وهم يطلقون النار في الهواء. هذه الحادثة وقعت قرب منزلي فسمعت الحوار بكامله وشاهدت عملية الهروب وإطلاق النار.

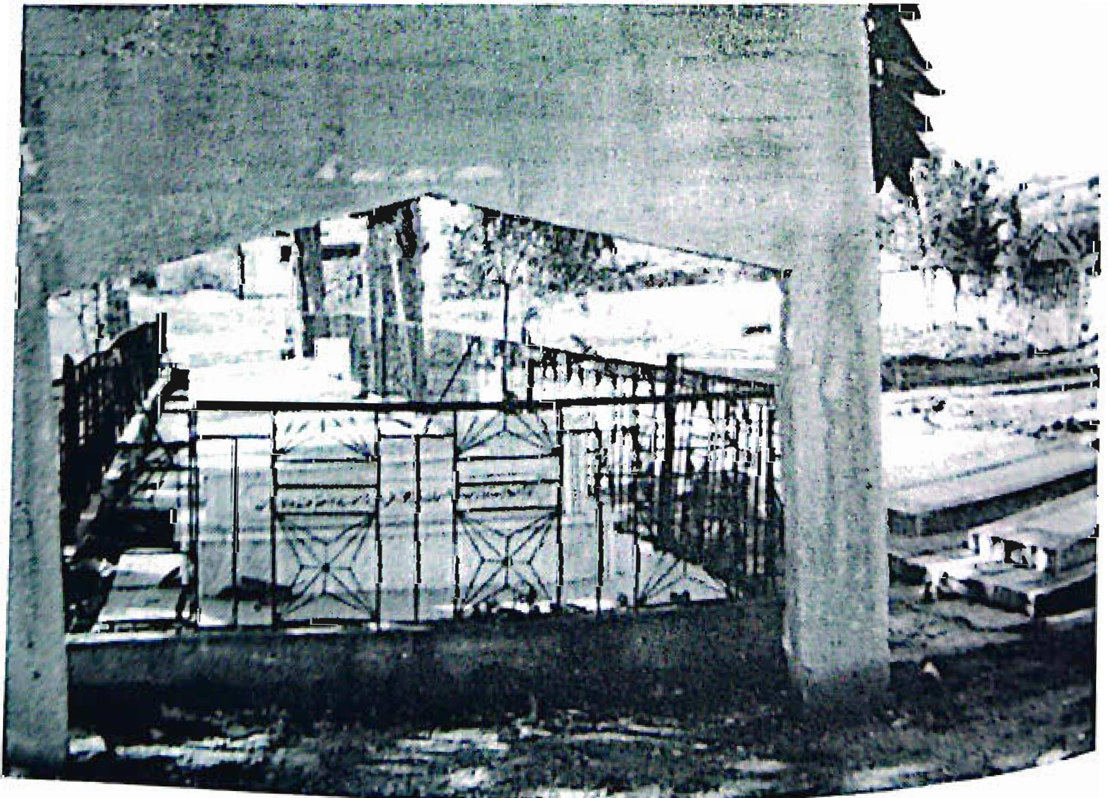
الجمعة ١٧ شباط ١٩٨٤م: دخلت دورية إسرائيلية مؤلفة من ثلاثة جيبات «لاند روفر» البلدة من جهتها الغربية عند الساعة الثانية صباحاً. لدى وصولها إلى حاجز الحسينية فاجأها الحراس بالتكبير والضرب بالحجارة وتشغيل مكبر الصوت «الميكروفون». خرج الأهالي يشهرون العصي ويتقدمون نحو الجنود بالتهديد والتكبير والرشق بالحجارة.

عندها سيطر الخوف على الجنود الإسرائيليين وشعروا بوقوعهم في كمين فأخذوا يطلقون الرصاص بعشوائية وهمجية حتّى تمكنوا من الوصول إلى سياراتهم وولوا هاربين بعد أن أصيب عدد منهم بجراح. وكانت إصاباتنا ثلاثة جرحى وتضرر ثلاث سيارات.

الجمعة ٢٤ شباط ١٩٨٤م: يوم الأربعاء الواقع في ٢٢ شباط قام رجال المخابرات في الجيش الإسرائيلي باعتقال محمد سعد، نائب المسؤول التنظيمي في الجنوب وقائد المقاومة، جنوب الليطاني



أهالي «معركة»: اختصار الزمن العربي



مقبرة الشهداء

عند الساعة الواحدة والنصف ظهراً على دوار البص عندما كان متوجهاً من صور إلى مؤسسة جبل عامل في البرج الشمالي. اعتبرت اسرائيل أن الفرصة أصبحت مؤاتية لاقتحام معركة وكسر شوكتها. إلا أن معركة كانت متيقظة ومستنفرة وناقمة لاعتقال محمد سعد.

وعند الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الجمعة في الرابع والعشرين من شباط حيث البرد القارس والظلام الدامس. استطاعت مجموعة كبيرة من الجنود الإسرائيليين المشاة التسلل والوصول إلى الساحة العامة ومبنى الحسينية العلوى، فاشتبكوا مع الحرس بالأيدي عند مدخل الحسينية ولم يلجأ الجنود إلى استعمال السلاح حتى لا ينكشف أمرهم وتخرج الناس، إلا أن الحرس استطاعوا الهرب، ولا أزال اسمع صوت واحد وهو يركض وينادي بأعلى صوته: إسرائيل شر مطلق[١] فخرجت إلى السطح وشاهدت ثلاثة أشخاص على سطح الحسينية فكلمتهم فرد عليّ واحد منهم (روخ ولا) فظننته يمزح، ثم أعدت الكرة عليه وكنت أحمل قنينتين فارغتين لضرب الجنود. فرد عليّ (روخ ولا) ثم أمطرني برشة من بندقيته مرت من أمامي وفوق رأسي فنزلت إلى الأرض وزحفت على الدرج إلى البيت. وكانت أول رصاصة تطلق منهم. نجح أحد الحراس بوصوله إلى منبر الحسينية في الطابق السفلي وأخذ يخاطب الناس عبر مكبر الصوت (الميكروفون) ويدل على أماكن تواجد الجنود. خرج الناس إلى الشوارع عندها سمعوا حسين سعد يقول «الله أكبر. الله أكبر» ويركض متوجهاً إلى الساحة العامة. على مقربة من بئر الساحة عند مدخل الطريق المؤدي إلى الحارة التحتا أطلق عليه جندي إسرائيلي

(١) سليم يوسف سعد.



القبضة التي تتوسط الساحة العامة، ساحة ٢٤ شباط

النار وكان متحصناً في القبو - فأصابه في رأسه عندها صرخ صوتاً عالياً سُمع لمسافات شاسعة.

عندئذ تكاثر الأهالي وتوزعوا في محاور عدة واستطاعوا حمل حسين سعد بعد وضعه على سلم خشبي ونقل عبر طريق شائك إلى يانوح ومن هناك إلى مستشفى جبل عامل بعد ذلك، عاش في غيبوبة تامة وفارق الحياة في الرابع من آذار. وضيّق الأهالي الحصار على الجنود وكانت الحجارة تسقط عليهم كأنها وابل من المطر ولا يستطيع أحد مع ظلمة الليل أن يحدد مصدرها. وكان صراخهم يتعالى عند اصابتهم.

وفي تلك الأثناء كانت معركة محاصرة من جميع جهاتها فأرتال الدبابات والملالات تتحرك باتجاهها من جهة الشرق وصور ووادي جيلو وعين شدغيث وطائرات الهليكوبتر تقوم بانزال الجنود على التلال القريبة وفوق سطوح عدد من المنازل المرتفعة. ودخلت الآليات من مدخلي معركة الغربي والشرقي والتقت في الساحة العامة ممتدة من الجهتين لأكثر من ثلاثة كيلومترات فلا تبعد الواحدة عن الأخرى أكثر من أمتار. اشتد القتال وأخذ شكلاً آخر وأشد عنفاً وأكثر صلابة وتحدياً حتّى صار الموت مطلباً والشهادة مغنماً.

الدبابات والملالات تُواجه بالسيوف والعصي والحجارة والقناني.. (بتنك الحبق والنعناع)، وبكل ما تيسر إلا السلاح الناري.

فالجندي مختبىء في دبابته وكل المحاولات لاقتحام الزواريب كانت تبوء بالفشل حتى طلوع الفجر... وبوضوح الرؤية بدأت المعادلات تتغير لصالح جنود الاحتلال فجاءتهم تعزيزات جديدة ومكثفة من ناقلات الجند وسبع طائرات هليكوبتر قامت بعدة انزالات

على السطوح والمرتفعات وفي المدرسة الأهلية، واتخذت من ملعب كرة القدم مطاراً لها ومن المدرسة الأهلية مركز قيادة لعملياتها بعد ما احضروا غرفة عمليات لنقل وقائع المعارك إلى جلسة الكنيست المنعقدة للغاية ذاتها.

قبل بزوغ الفجر بقليل، أخذ جنود الاحتلال بعمليات انتشار واسعة ومكثفة لاحتلال الزواريب مستعملين شتى وسائل الهمجية من قنابل غازية سامة ومسيلة للدموع وكلاب بوليسية، ناهيك عن رصاص بنادقهم ورشاشاتهم التي لم تتوقف لحظة واحدة. ولما فشل هجومهم الأول والثاني مع كرات وفرات لا تحصى طلبوا إلى الناس عبر مكبّر للصوت السماح لهم بدخول الأحياء وإلا سيستعملون وسائل جديدة، وإلى الشباب التوجه إلى المدرسة الأهلية.

في تلك الأثناء، اعتلى خليل جرادي المنبر ووجّه بياناً إلى الناس هذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم. باسم الله قاسم الجبارين «باسم الله رب المستضعفين يا أهلنا» أيها العامليون الحسينيون، العدو الوقح، الجبان الغادر خفافيش الليل.. يطلب منكم تسليم حريتكم وأمنكم وكرامتكم والتجمع والركوع.. ها هم الأعداء يريدوننا أذلاء وقد خلقنا الله أحراراً.. فيا أهلنا كونوا صفاً واحداً وكلمة واحدة وصرخة واحدة في مواجهة أنجاس الأرض قتلة الأنبياء... هذا العدو الحاقد اللئيم، هاتك الحرمات، صاحب المجازر، مشرد الشعوب، غاصب الأرض فالحذر الحذر من ألاعيبه ومراوغاته..

وإلى الأعداء نوجه الأنذار الأول والأخير.. إن لم ترحلوا فوراً فانتظروا المزيد من الضربات الحيدرية. وخيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود.. وأمل بنصر الله. (نصر من الله وفتح قريب).

وما إن انتهى البيان حتى تنادت صرخات التكبير في كل مكان وتعالت الأناشيد الإسلامية عبر المسجديْن الفوقاني والتحتاني ومن حسينيتي الرجال والنساء.

وتشتد المواجهة ويزداد سقوط الجرحى: كان المسجد التحتاني مركز عمليات المقاومة حيث يتواجد خليل جرادي وبمحاولات عدة يائسة لاحتلال المسجد سقط محمود خليل مضرجاً بدمائه بعدما أبلى بلاء شديداً. فقد أصيب قبلاً برصاصة ورفض أن يعالج واستمر بالمواجهة وهو يحمل مكبراً للصوت بيد وبالأخرى يراشق الأعداء. وكان فيه نبض الحياة فحمل على سلم خشبي إلى يانوح سيراً على الأقدام.

ومن هناك إلى جبل عامل ولكنه. فارق الحياة عبر الطريق إلى يانوح. كان جنود الاحتلال قد ضربوا طوقاً على مركز الطوارىء ومنعوا الناس من الوصول إليه وأخضعت سيارات الطوارىء للتفتيش بحثاً عن مصابين أو فارين.

وكذلك أصيبت إنعام محمد حمود بقنبلة غازية انفجرت عند أذنها فحملت إلى يانوح ثم إلى صيدا وأصيب علي عبدالحسين الحاج بإصابة بليغة في وجهه واستمرت الحال فسقطت كل الأحياء ولم يبق إلا المسجد التحتاني، وكثرت الإصابات في محيط المسجد حتى فاقت الثلاثين، فاستحدثت على الفور غرفة للإسعافات الأولية كان رائدها الدكتور هاني روميه في بيته وهو يمتلك خبرة واسعة في هذا المجال وصيدلية ساعدته كثيراً، وعندما سألته قال: لقد زاد العدد عن الثلاثين وقد هيأنا لهم الفرش والحرامات واستعمل البنج الموضعي وكنت أجري العملية فاستخرج الرصاصة وأخيط الجرح" وليس غريباً هذا على الدكتور.

وضيق الحصار على المسجد وأصبح الجنود عند مدخله وقد غص بالأهالي.

طلب الجنود من الأهالي عبر مكبر للصوت الخروج والتوجه إلى المدرسة الأهلية، فرفضوا. فرماهم الجنود بالقنابل المسيلة للدموع وقاوم الأهالي بالبصل الذي أدخل عبر شباك خلفي عندها جاء الجنود بالكلاب البوليسية وأدخلوها إلى المسجد. على بعد مترين من مكان دخولها رمي بوجهها البهار الحر فهربت وكادت تقتل أصحابها. ولما لم يعد من فائدة من الاستمرار في الاعتصام، وافق المعتصمون على التوجه إلى المدرسة فخرج الشباب من شباك خلفي وخرج خليل جرادي من الباب الرئيسي أمام الجنود وهو يلبس سروالاً وكوفيه وعقالاً فحسبه الجنود شيخاً كبيراً عجوزاً. ومع خروج الباقين وكانوا أطفالاً ونساءً وشيوخاً اهتزت أعصاب الجنود أهؤلاء من كنا نواجه...

وسقط المسجد التحتاني عند الساعة التاسعة صباحاً وهو آخر معقل للمقاومة.

أمام هذا الحدث الفريد وقف العالم مستغرباً أن تكون قرية هي معركة تواجه أسطورة الجيوش ولا تستسلم بأحجار وعصي وزيت مغلي على مدى ثماني ساعات ونصف الساعة.

وصلت أخبار المواجهة إلى كل مكان، فتوجهت وسائل الإعلام وفرق الإسعاف إلا أنها منعت من الدخول فتجمعت في القرى المجاورة تُراقب عن كثب.

وتكسر معركة الحاجز النفسي وتكشف خزي العرب. وتجتمع هيئة حركة أمل في بيروت وتعلن عن إنذارها الشديد لجنود العدو

بالخروج من معركة. تلا البيان رئيس الحركة الأستاذ نبيه بري. وبعد اجتماعه مع سفراء الدول الخمس الكبرى استمهل قوات الاحتلال ست ساعات لمغادرة البلدة وإلا سيصبح الجنوب كله معركة.. وقد نضطر لإعلان الجهاد المقدس.

وأخيراً لم يحقق اليهود شيئاً مما قصدوه فلا هم أخمدوا المقاومة ولا هم عرفوا المحرك لها، فالطفل والشيخ والمرأة والشاب كل يتحرك بعقيدة راسخة في ذاته. فالعاملي يولد ووصيته معلقة في عنقه ولا يحتاج لتعليم الدفاع عن الكرامة والأرض. لقد زق أهل البيت في شيعتهم هذه المعايير الثمينة.

المروحية في كل مكان، ففي منطقة الشمال وخلة أبي العمش تقع أقوى المواجهات وأعنفها وتمتد إلى حي الشمالية قرب الجامع المعروف بجامع آل بيضون فيصاب عدد من الشباب برصاص المواجهة. ويصاب سامي مصطفى على طريق البياضة بعدة رصاصات بعد أن قدم بطولة نادرة في المقاومة، وكانت إصابته بالغة فحمله بعض الشباب بغية إيصاله إلى مستشفى جبل عامل ولما كانت الطرق كلها تحت سيطرة القوات الإسرائيلية قال أحدهم: سأضعه في السيارة وأحمل معي عدداً من القنابل وعلي وعلى أعدائي يا رب. إلا أن آخر استوقفه وأمن نقله وتسليمه لقوات الطوارىء.

حتى الساعة السادسة والنصف صباحاً كانت خسائرنا تسعة عشر جريحاً.

المعارك مستمرة والساعة تقارب الثامنة والربع، ولا تزال مكبرات الصوت في المسجدين الفوقاني والتحتاني وفي الحسينيتين تصدح بأعلى أصواتها، تزداد المقاومة وترتفع المعنويات.

خسائر العدو لا تحصى في الجنود والعتاد... أمام هذا

الموقف الصعب لجأ العدو إلى مكبرات الصوت «طالباً إخلاء الطرقات والحفاظ على الهدوء ليتكمن الجيش الإسرائيلي من المرور وفي ذلك سلامة الناس. ويجب تسليم المخربين...»

لم يتغير شيء فالناس مصممة على المواجهة...

ولكن سرعان ما بدأ الأسرائيليون بهجوم مكثف تتقدمه الجرافات، فأزالوا العوائق وأمطروا الأرض والأجواء رصاصاً وقذائف حتى يخيل للسامع والشاهد أن بركاناً ينفجر في معركة وتتطاير منه الحمم. أمام هذا المشهد المرعب خلت الشوارع من الناس فاختبأ الشباب في ملاجىء معدة مسبقاً وأوت النساء والشيوخ إلى البيوت وإلى زوايا معزولة.

دخل الجنود إلى كل مكان وفتشوا البيوت وطلبوا من الناس عبر مكبرات الصوت التوجه إلى المدرسة الأهلية. وفي المدرسة كان الجنود يجرون تحقيقات مع الأهالي ويحقروّنهم ويجلسونهم لساعات تزيد على العشر على الأرض وفي زحام يتعذر معه الالتفات جانباً، وكنت في عداد من ذهبوا إلى المدرسة. وعانى من ظلمهم وتصرفهم البذيء.

ولما لم يصلوا إلى النتيجة المرجوة في التحقيق مع الأهالي عمدوا إلى ايثاق عدد كبير من الشباب في أيديهم أو عصب أعينهم ووضعهم في الشاحنات استعداداً لأخذهم إلى المعتقلات. وعند الساعة الثالثة بعد الظهر بدأ العدو بالانسحاب. وقد أحصى رجال الصحافة ثلاثماية وخمسين آلية لجنود العدو عند الانسحاب. وكتبوها بالأحرف العريضة على صفحات جرائدهم الأولى في اليوم التالي.

وبلغ عدد المعتقلين من الشباب (١٣٥) شاباً.

٢ ـ معركة اسم في محله

مفاجأة أذهلت العالم وشغلت وسائل الإعلام من صحف ومجلات وتلفزة. أصحيح ما يجري في معركة؟ لقد كتبت جريدة السفير في ٢٥ شباط ١٩٨٤. معركة القرية الجنوبية الصغيرة البسيطة المحاصرة بأسلاك القهر ودبابات الاحتلال، وطوافاته كأنها إحدى عواصم الحروب الكبرى، تتصدر الأخبار، وتخوض معركتها بما يبتكره أهلها من أدوات المواجهة كالحجر والعصي والزيت المغلي وأدوات الكرّ والفر، والمبارزة في مواجهة العصر الإسرائيلي وما معه من إرهاب مسلط على رؤوس الشرفاء.

وكتبت أيضاً، «معركة اسم في محله، وطاقة، صغيرة جداً يفتحها الجنوب على الوطن العربي وعلى عصر المساومات والمفاوضات وعقود السلام والتسويات، عروس جديدة يقدمها جبل عامل». وفي مقابلة أجرتها مجلة ـ الدايلي ستار ـ الشهيرة مع القائد خليل جرادي قالت: «إن مدخل معركة مستعد بشكل دائم لمواجهة الإسرائيليين حيث السيارات المحروقة والإطارات والصخور مكوّمة على جانبي الطريق ليتسنى للأهالي إغلاق الطريق بسرعة إذا حاولت دورية إسرائيلية دخول القرية».

ويقول المراسل: نستطيع القول أن معركة هي القرية الحرّة الوحيدة في الجنوب.

يجيبه القائد جرادي: «هي الأقوى. . . ويوجد غيرها». وفي كلمة للوزير نبيه برّي رئيس حركة أمل بعد مواجهة ٢٤ شباط سنة ١٩٨٤ قال: «كل الطاقات يجب أن تجند للجنوب، أهلنا هناك يسطرون مثلاً لكل العرب بدون استثناء»:

أيها الأخوة.. البارحة حوصرت اسرائيل من قبل الجنوبيين: معركة المعركة في معركة، ١٥٠٠ جندي بقيادة جنرال اسرائيلي تساندهم ٧٠ دبابة وطائرات مروحية تمكنوا من دخول ساحة البلدة، أسرنا منهم أكثر مما أسروا منا وكنا على قاب قوسين أو أدنى من أن نعلن الجهاد في كل الجنوب».

وقال أحد المؤلفين الأميركيين «معركة القرية المشهورة بأنها موطن أجداد الإمام الصدر والصخرة الصلبة في مواجهة الإسرائيليين»[٢].

وقال الشاعر الكبير نزار قباني:

«سيذكر التاريخ يوماً قرية صغيرة...

بين قرى الجنوب تدعى معركة..

قد دافعت بصدرها...

عن شرف الأرض وعن كرامة العروبة...

وحولها قبائل جبانة...

وأمة مفككة...»

وقال القائد محمد سعد: «علينا أن نعطي للتاريخ مادة يكتبها لأول مرة».

٢٩ حزيران ١٩٨٤م: من الساعة السادسة صباحاً وحتى الرابعة والنصف مساء حلقت ثلاث طائرات مروحية على علو منخفض فوق البيوت والحقول والأودية والتلال المحيطة بالبلدة.

---

(٢) الكولونيل نورتون، **أمل والشيعة: نضال من أجل كيان لبنان**، ترجمة غسان الحاج عبد الله، (بيروت: دار بلال، ١٩٨٥)، ص ٢٠٢.

١ تموز ١٩٨٤م: في الساعة الثانية فجراً داهمت قوة اسرائيلية من المشاة حي المحفرة عبر طرق جبلية، وطوقت بيت إبراهيم عبدالرضا الحاج واعتقلته مع ولديه اسماعيل وخليل. وغادرت البلدة في الحال بعد سماع مكبرات الصوت وتوجّه الناس إلى حي المحفرة.

٣ تموز ١٩٨٤م: في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، تقدمت قوة من الإسرائيليين المشاة محاولة دخول البلدة من ناحية الوطاويط إلا أنها اضطرت للانسحاب الفوري بعدما سُدت بوجهها المداخل وتكاثر الناس، وتعالت أصوات التكبيرات عبر مكبرات الأصوات.

٥ تموز ١٩٨٤م: في الساعة الواحدة ليلاً، حاولت قوة اسرائيلية كبيرة تطويق البلدة من جميع جهاتها استعداداً لاقتحامها إلا أنها فشلت في الاقتحام بعدما انكشف أمر خطتها المباغتة بتنبه الأهالي وخروجهم إلى الشوارع. وفي اليوم نفسه. وعند الساعة الرابعة بعد الظهر قامت مروحية بدوريات استطلاعية فوق البلدة قرابة ساعة ونصف ثم توارت عن الأنظار.

٦ تموز ١٩٨٤م: في الساعة العاشرة حلقت مروحية لمدة نصف ساعة فوق البلدة وحقولها.

وفي اليوم نفسه أعتقل أحد الأهالي على حاجز باتر بينما كان متوجهاً إلى بيروت.

٢٧ تموز ١٩٨٤م: حلقت مروحية لمدة ربع ساعة.

٩ آب ١٩٨٤م: حلقت طائرة مروحية على علوٍ منخفض فوق المنازل والأحياء والحقول لمدة نصف ساعة.

١٦ آب ١٩٨٤م: دخلت قوة من جنود الاحتلال قوامها

عشرون آلية عبر مدخلي معركة الشرقي والغربي، يتقدمها مكبر للصوت على آلية يطلب من الأهالي التجمع في الساحة العامة. إلا أن المواجهة كانت أفضل جواب لما طلبوه. فأشعلت الإطارات وتركت تتدحرج باتجاههم وأسقطت العوائق للطرقات ودارت مواجهات عنيفة، حاول الجنود الدخول إلى مبنى الحسينية إلا أن الشباب بداخلها لوحوا للجنود بالعصي والقبضات الحسينية، فثارت ثائرتهم وأطلقوا الرصاص عليهم فجرح منهم ثلاثة أخرجوا على التو من مدخل خلفي سري ونقلوا إلى المستشفى الميداني في بيت الدكتور هاني رومية.

وأثناء المواجهة العنيفة في الساحة الفوقا والتحتا وبين كر وفر، قامت إحدى الآليات بالمرور على (بسطة) بطيخ لصاحبها محمود يوسف الحاج تحت السنديانة فكسر معظمها إلا أن «خطافة» لبائع لحم معلقة في فنن من السنديانة كانت لأحد الجنود بالمرصاد فبينما الملالة تمر والجندي يراقب الأهالي ومع سرعة الملالة علقت الخطافة في عنقه فمرت الملالة وبقي هو معلقاً كالمشنوق وما لبث أن فارق الحياة قبل أن يسعفوه. في تلك الفترة ثارت ثائرة الإسرائيليين وأطلقوا لبنادقهم عنانها لتصيب سبعة من الأهالي معظم أصاباتهم كانت خطرة. بعد ذلك بقليل انسحب الإسرائيليون ولم يحققوا إلا الذل والهوان والهزيمة.

١٧ آب ١٩٨٤م: الحصار ـ اليوم الأول: أقام العدو حاجزين ثابتين عند المدخلين الشرقي والغربي للبلدة منذ الثالثة فجراً، وعمد عناصر الحاجزين إلى منع السكان من دخول البلدة ومغادرتها وانتشرت أعداد من الجنود على التلال المحيطة والمرتفعة مزوّدين ببنادق قناصة.

أمام هذا الواقع اجتمع الأهالي في الحسينية وبدأوا برسم خطة لمواجهة المرحلة القادمة ولمواجهة الواقع الجديد. وطريقة تأمين دخول المواد الغذائية للبلدة.

١٨ آب ١٩٨٤م: الحصار - اليوم الثاني: وفي اليوم الثاني للحصار استطاع الشباب أن ينفذوا إلى قرية طورا المجاورة وأدخلوا بمساعدة أهالي طورا اكياساً مملوءة بالمواد الغذائية. تم التوصل لفتح طريق تؤدي إلى صور عبر أراضي شدغيث - خلة الحبس عين شدغيث الكسارة وتسلك الشارع المؤدي إلى طريق طورا.

١٩ آب ١٩٨٤م: الحصار - اليوم الثالث: وفي اليوم الثالث من الحصار، أرسل العدو أحد الضباط السنغاليين من قوات الطوارىء الدولية وقد حمله خبراً مفاده: «أن جيش الدفاع سيقتحم البلدة إذا لم تُزل الحواجز والعوائق من مداخل البلدة وشوارعها وساحتها».

وكان رد الأهالي ممثلاً بخليل جرادي.. أنصحكم أيها الضابط بعدم النوم قرب الصهاينة.

أجابه الضابط «هم الذين جعلوا مراكزهم بالقرب منا وأثناء الليل يدخلون إلى غرف جنودنا ويناموا معهم».

أجابه خليل جرادي: أكرر نصيحتي لك بأن لا تدعهم ينامون قربكم لأن رجال المقاومة يُحتمل في لحظة قريبة أن يقوموا بعملية ضدهم وأخشى أن تصابوا من جراء ذلك. عندها عمد الضابط السنغالي إلى مغادرة المكان بسرعة.

٢٠ آب ١٩٨٤م: قامت القوات السنغالية باخلاء موقعها عند المثلث المدخل الغربي للبلدة، فما كان من الإسرائيليين إلا أن أخلوا موقعهم منسحبين خوفاً من عمليات المقاومة المحتملة بعدما انسحب السنغاليون وأخبروهم بالأمر.

٢١ آب ١٩٨٤م: دخلت آليتان اسرائيليتان من المدخل الغربي للبلدة فتجمع الأهالي كعادتهم استعداداً للمواجهة إلا أن الآليتين مرتا بسرعة لتخرجا من البلدة من مدخلها الشرقي. ولم يحدث شيء.

وفي اليوم نفسه دخل إلى معركة وفد صحافي من وكالة «رويتر» وأجرى حديثاً مطولاً مع المسؤول لحركة أمل خليل جرادي وقد وزع الحديث في اليوم التالي[٣].

٢٤ آب ١٩٨٤م: حلقت فوق البلدة طائرة مروحية لمدة ربع ساعة وغادرت، وبعد وقت قصير سمع دوي انفجار من الجهة الشمالية للبلدة تبين أنه ناتج عن عبوة في إحدى الآليات. ثم عادت الطائرة المروحية واستمرت بالتحليق والمناورة حتى المساء[٤].

٣٠ آب ١٩٨٤م: في الساعة التاسعة صباحاً دخلت آليتان للعدو البلدة من مدخلها الشرقي وخمس آليات من مدخلها الغربي. وعلى الأثر تجمع الأهالي في الساحة العامة وقطعوا الطرق واحرقوا الإطارات وما لبثت أن اشتعلت المواجهة وأطلق الجنود العديد من العيارات النارية فتسببت بجرح أربعة من المواطنين بعد مواجهة استمرت ساعتين حين انسحب العدو مكرهاً وفي صفوفه عدد من الإصابات.

بعد ذلك حلقت مروحية فوق البلدة لمدة ربع ساعة.

٣١ آب ١٩٨٤م: أقيم في البلدة مهرجان بعنوان «يوم الصدر» حضرت إليه حشود كبيرة من كافة القرى المجاورة وغيرها. وكان

(٣) مكتبة سيد الشهداء، معركة.

(٤) مخطوط/مكتبة سيد الشهداء، معركة.

بمثابة التحدي بعد يوم من المجابهة مع العدو. وإشعار القرى والجماهير بالمواقف التي تسجلها معركة والاستمرارية ولو بقي رجل واحد. وطوال ساعات المهرجان كانت المروحيات تحلق فوق الناس وكان لابسو الأكفان يلوحون لها بالسيوف إمعاناً في التحدي.

١٥ أيلول ١٩٨٤م: حاولت دورية من جنود العدو راجلة قوامها عشرون جندياً دخول البلدة من جهتها الشرقية إلا أن تجمهر الناس في منطقة المقعب والوطاويط ودحرجة الصخور باتجاههم جعلتهم يطلقون النار عشوائياً ويتقهقرون بعيداً.

١٩ أيلول ١٩٨٤م: حاجز اسرائيلي مفاجيء على طريق العباسية أعتقل أحد أهالي معركة وهو يمر بسيارته.

٢٥ أيلول ١٩٨٤م: في هذا اليوم أفرجت قوات الاحتلال عن المواطن الجريح محمد سلمان.

١٣ تشرين الأول ١٩٨٤م: اعتقلت قوات الاحتلال على حاجز باتر . جزين أحد أبناء معركة بينما كان عائداً من بيروت بسيارته. وبتفتيش سيارته عثر على أسلحة ومتفجرات كانت مخبأة بطريقة يصعب اكتشافها وغايتها الاستعمال في عمليات المقاومة. ونقل إلى ثكنة الخيام(٥).

٢١ تشرين الأول ١٩٨٤م: بثت إذاعة لندن تحليلاً سياسياً ذكرت فيه أنه إذا حصلت انسحابات للقوات الإسرائيلية من منطقة صور وسلمت إسرائيل المواقع التي تنسحب منها إلى لحد فإن قرية معركة بالإضافة إلى قرى غيرها ستصارعه وتواجهه ولن يستطيع

---

(٥) مكتبة سيد الشهداء، أوراق خاصة.

الصمود. لأن قرية معركة فيها كوادر أشداء كالسيد خليل جرادي مسؤول حركة أمل في المنطقة[٦].

٢٧ تشرين الأول ١٩٨٤م: غادرت آخر دفعة من القوات السنغالية البلدة وحلّت محلها قوات فرنسية تابعة لقوات الطوارىء الدولية.

٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م: الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، أقامت قوات الاحتلال حاجزاً على المثلث (المدخل الغربي للبلدة) بالقرب من حاجز قوات الطوارىء الفرنسية قوامه ثلاث آليات وعدد كبير من المشاة. واعتقلت اثني عشر شاباً من أهالي البلدة العائدين من أعمالهم. وبقي عدد كبير من الأهالي خارج البلدة عدا الذين عادوا عن طرقٍ فرعية سيراً على الأقدام. وفي الساعة العاشرة ليلاً انسحبوا.

٢١ تشرين الثاني ١٩٨٤م: أقيم في حسينية البلدة مهرجان تأبيني وخطابي بمناسبة استشهاد الأخ سامي خليل مصطفى بعد أن أمضى ثلاثة أشهر في مستشفيات حيفا، وقد كانت الأخبار التي تصل عبر الصليب الأحمر تفيد أنه يتمتع بصحة جيدة وقد شفي تماماً، وقد فوجىء الصليب الأحمر بوفاته. وحين نقل الخبر كان مستهجناً ومثيراً للعجب وعندما كشف عن جثته في مستشفى جبل عامل تبين أنه مقتول قتلاً.

وكان عريف الاحتفال الأخ خليل جرادي.

٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٤م: في الساعة الثالثة صباحاً حاولت

(٦) مكتبة سيد الشهداء، أوراق خاصة.

قوة اسرائيلية مؤلّلة دخول البلدة من مدخلها الشرقي إلا أن أصوات مكبرات الصوت وخروج الناس إلى الشوارع استعداداً للمواجهة أجبر القوة الإسرائيلية على التراجع والانسحاب.

٤ تشرين الثاني ١٩٨٤م: تم في مكتبة سيد الشهداء لقاء بين الأخ خليل جرادي والكولونيل الفرنسي المسؤول عن الوحدة الفرنسية العاملة في قوات الطوارىء الدولية. وتم الاتفاق خلاله على منهجية وسلوكية أفراد القوة الفرنسية داخل البلدة. فكانت على الشكل التالي:

- عدم التظاهر باللباس الذي لا يتناسب مع تقاليد الأهالي وقيمهم. «كانوا يخرجون بالشورت».

- عدم الدخول إلى الشوارع الضيقة والزواريب (الداخلية).

- عدم استعمال كاميرات التصوير داخل البلدة.

استمر اللقاء قرابة ساعتين.

٨ تشرين الثاني ١٩٨٤م: اعتقل أحد أبناء البلدة في مركز عمله في مدينة صور من قبل رجال المخابرات أثر وقوع عملية في المنطقة. وتمكن عدد من الأخوة يعملون معه من الفرار والاختباء.

١٠ تشرين الثاني ١٩٨٤م: أقيم حاجز للمتعاملين مع إسرائيل على طريق معركة ـ صور بين البساتين عند مفرق الحمادية بعد مقتل أحد العملاء على أيدي المقاومة. وتعرض أهالي معركة للتفتيش ونزولهم من السيارات والوقوف طويلاً على الأرض وضربهم وشتمهم.

٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٤م: تم لقاء في مكتبة سيد الشهداء في

مبنى الحسينية بين المسؤول عن الوحدة الفرنسية والأخ خليل جرادي. في الساعة الثانية بعد الظهر. طرح خلاله:

- التعاون على حل المشاكل بين الطرفين.
- الدين الإسلامي وأهداف الإسلام وتطلعاته.
- تم الاتفاق على لقاء يوم الأحد الساعة العاشرة صباحاً بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٩٨٤م في مكتبة سيد الشهداء(٧).

٢ كانون الأول ١٩٨٤م: حضر الضابط «لوكوز» والضابط «الوديير» إلى المكتبة وتم التداول بشؤون البلدة مع الأخ خليل جرادي وكان لقاء وداعي بمناسبة مغادرتهما لبنان(٨).

٥ كانون الأول ١٩٨٤م: حضر المسؤول الجديد عن القوة الفرنسية مع أحد مساعديه واجتمعوا بمكتبة سيد الشهداء مع الأخ خليل جرادي وعدد من الأهالي.

١٤ كانون الأول ١٩٨٤م: اعتصامات ومهرجانات خطابية عمّت مساجد وحسينيات قرى الجنوب تحدياً للهجمة الصهيونية الواسعة على قرى معركة وبدياس وبرج رحال وطورا ويانوح وطيردبا والعباسية. وأقيم في معركة مهرجان خطابي ضم حشوداً ووفوداً من القرى المجاورة. وقام أهالي طيردبا بمسيرة سيراً على الأقدام من ساحة طيردبا إلى ساحة معركة.

القيت في المهرجان كلمة وقصائد وعن الحركة الأخ خليل جرادي.

---

(٧) مكتبة سيد الشهداء، أوراق خاصة من الأرشيف.

(٨) مكتبة سيد الشهداء، أوراق من الأرشيف الخاص.

١٥ كانون الأول ١٩٨٤م: نفذ أضراب في كل مناطق الجنوب تلبية لدعوة رئيس حركة أمل الأستاذ نبيه بري وقد شهدت معركة لقاء عدد كبير من الوفود وجرى مهرجان خطابي.

١٦ كانون الأول ١٩٨٤م: تم لقاء بين الضباط الفرنسيين في قوات الطوارىء والأخ خليل جرادي جرى خلاله البحث في نتائج الهجوم الأخير الذي تعرضت له قرى الرفض والمواجهة (القرى السبع)[٩]. واللقاء موسع.

٢١ كانون الأول ١٩٨٤م: اعتقال شخصين من معركة، أحدهما على حاجز في صور والآخر على حاجز في البازورية.

٢٦ كانون الأول ١٩٨٤م: اعتقال شخصين من البلدة تم نقلهما إلى مركز الريجي في النبطية حيث حولته قوات الاحتلال إلى سجن.

٢٨ كانون الأول ١٩٨٤م: في الساعة العاشرة صباحاً دخلت البلدة قوة مؤللة من مدخليها الغربي والشرقي ضمت إحدى عشرة آلية وخمس سيارات تابعة للمخابرات. وعلى الأثر تجمع الأهالي في الساحة العامة وعلى مفارق الطرق والزواريب وسدوا الشارع بالأحجار والإطارات وغيرها. وبوصول الإسرائيليين احتدمت المواجهة بشكل عنيف وكان الإسرائيليون يضعون على آلياتهم كاميرات فيديو لتصوير المواجهة، وعبر مكبر للصوت أخذوا يخاطبون الأهالي: نحن نريد السلام... نحن لا نريد الحرب نريد السلام.. إلا أن مثل هذه الخدع لا تمر على الناس فاستمروا بالمواجهة حتى جلا الإسرائيليون من البلدة.

---

(٩) مكتبة سيد الشهداء، الأرشيف الخاص.

٣٠ كانون الأول ١٩٨٤م: حضر ضابط فرنسي يدعى (روند) مع ضابط آخر يدعى (مانوين) إلى مكتبة سيد الشهداء والتقيا بالأخ خليل جرادي. استمر اللقاء ساعتين[١٠].

٩ كانون الثاني ١٩٨٥م: اعتقلت قوات الاحتلال فتاتين من البلدة عند عودتهما من بيروت على حاجز باتر جزين.

١٠ كانون الثاني ١٩٨٥م: دخلت قوة من المشاة الإسرائيليين خلسة البلدة من مدخليها الغربي والشرقي في الساعة الثانية ليلاً وداهمت منزل أحد الأهالي وفتشته. كما فجرت سيارة من نوع مرسيدس عند أطراف البلدة أثناء انسحابها.

١١ كانون الثاني ١٩٨٥م: في الساعة الثالثة إلا ربعاً فجراً حاولت قوة من الإسرائيليين دخول البلدة خلسة إلا أنهم انسحبوا بعدما انكشفوا للحرس.

١١ كانون الثاني ١٩٨٥م: في الساعة التاسعة ليلاً من مساء يوم الجمعة حاول الإسرائيليون دخول البلدة بقوة كبيرة قدرت بخمسمئة جندي من المشاة كانوا يتوزعون على أطراف البلدة من كل نواحيها. وعلى الأثر اعتقل الأخوة أحد العملاء الذي كان على اتفاق مع الجنود ليكون دليلهم ساعة الاقتحام، واجتمع الناس في الساحة وتعالت أصوات المكبرات... وبتأخر الدليل عن لقاء الجنود علموا باعتقاله فانسحبوا على الفور[١١].

١٣ كانون الثاني ١٩٨٥م: أقيم احتفال في الحسينية في الساعة

---

(١٠) مكتبة سيد الشهداء، الأرشيف الخاص.
(١١) مكتبة سيد الشهداء، الأرشيف الخاص.

التاسعة صباحاً، تكلم فيه الأخ خليل جرادي عن خطر أعداء الداخل وحذر الذين يتعاملون مع إسرائيل وطلب منهم إعلان توبتهم. وجاء بالعميل وطلب منه التوبة وفعلاً اعترف وتاب أمام الجماهير الحاشدة.

٢ آذار ١٩٨٥: اقتحمت قوات الاحتلال البلدة بقوة قدرت بـ ١١٠ آليات ومدرعة و٨٠٠ جندي بهدف مواصلة حرب «القبضة الحديدية» التي تتعرض لها المناطق اللبنانية منذ ٢٠ شباط الماضي.

بدأ الهجوم عند الساعة الثامنة صباحاً وكل الذين شاهدوا ضخامة القوة الإسرائيلية وهي تتجمع عند منطقة البص توهموا بحرب كبيرة قد تحصل في المنطقة. كانت القوات الإسرائيلية المؤللة تهاجم البلدة عبر مدخليها الغربي والشرقي وقوات كثيرة من المشاة تتقدم عبر الحقول محمية من طائرات الهليكوبتر واحتدمت المعارك وتوقفت الآليات الإسرائيلية لأكثر من ساعتين عند الحواجز المشتعلة بالإطارات وبالسيارات القديمة والصخور وأعمدة الكهرباء بعدها أخذت تتقدم ببطء أمام المواجهة المستميتة من الأهالي وعند الساعة الواحدة والنصف كان الإسرائيليون يسيطرون على الشوارع وسطوح المنازل والحسينية التي أمضى فيها أوري أور قائد المنطقة الشمالية أكثر من ساعتين قبل انسحابهم عند الساعة الخامسة مساء وقد شاهدته نسوة وهو يطلب من جنود معه حمل معاول ورفوش وصناديق إلى مبنى الحسينية العلوي حيث مركز قيادة حركة أمل في معركة.

وقد أسفرت الحملة العسكرية هذه عن تدمير ٧ منازل واعتقال ١٧ شاباً وجرح ثلاث مواطنين واستشهاد رابع من المقاومة من خارج معركة على مقربة من مركز قيادة الكتيبة الفرنسية في قوات الطوارئ

الدولية في منطقة الغرب وفي اليوم التالي الأحد في ١٩٨٥/٤/٣ حصل مهرجان كبير في الحسينية عرّف فيه القائد خليل جرادي وتحدث فيه مع آخرين.

وفي الصباح الباكر ومع وصول محمد سعد وخليل جرادي لمقربة من الحسينية تحدثت إليهما ونقلت لهم ما رأى النسوة وأنه يخشى أن يكون الأسرائيليون زرعوا متفجرات في الحسينية فأجابني لقد اتصلنا بالفرنسيين وأجروا كشفاً وطمأنوا بعدم وجود شيء ومع ذلك خير إنشاء الله.

حديث اللحظة الأخيرة مع الشهيد محمد سعد[١٢]

س: يقول اسحق رابين وزير دفاع العدو أن سياسة «القبضة الحديدية» التي تنفذها القوات الإسرائيلية إنما تهدف إلى استعادة زمام المبادرة من يد المقاومة الوطنية ـ ما ردكم؟

ج: أي مبادرة يزعم أسحق رابين أنه قادر على الإمساك بزمامها؟. الأمر مضحك فعلاً، فإذا استعرضنا شريط أحداث الأسبوعين الماضيين، منذ بدء قوات الإحتلال بممارسة سياسة القبضة الحديدية، ماذا نرى؟ هل استطاعت قوات الاحتلال وقف عمليات المقاومة الوطنية ضد مراكزها ودورياتها؟ على العكس تماماً، فقد تصاعدت العمليات وتنوعت، عبر استخدام أسلحة جديدة كمدفعية الهاون وصواريخ الكاتيوشا. كل ما فعلته القبضة الحديدية الصهيونية أنها مارست نازيتها ضد قلاع الصمود والمواجهة، فقتلت الأبرياء وجرفت المنازل واعتقلت المئات وكأن قوات العدو تهدف من وراء ذلك إلى زرع الشقاق بين الأهالي ورجال المقاومة. لكنها فشلت في اختراق عمق العلاقة المتينة القائمة بينهما. إذ كيف يمكن

(١٢) مجلة الكفاح العربي، العدد ٣٤٨، تاريخ ١٩٨٥/٣/١١، وقد أجرت المجلة الحديث في معركة بتاريخ ١٩٨٥/٣/٤.

أن يحدث الشقاق بين القرى الصامدة وبين أبنائها من رجال المقاومة؟ ليفهم قادة العدو جيداً. أنه مهما بلغت قبضتهم الحديد من القسوة والقمع، فإن قبضة المقاومة الوطنية ستبقى أشد شراسة وضراوة وسوف تلاحقهم في كل مكان طالما ظل جندي صهيوني يدنس قرى الجنوب.

س: تحدثتم عن تصاعد العمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال في الأسبوعين الماضيين إلى ماذا تعزون ذلك؟.

ج: أولاً: كان لا بد من تصعيد وتيرة المقاومة إزاء تصعيد وتيرة القمع الإسرائيلي، يجب أن تبقى المعادلة قائمة، إذ لايجوز أن تهدأ عمليات المقاومة الوطنية، في الوقت الذي تشن قوات الاحتلال أشرس حملات الإرهاب ضد أهلنا في الجنوب. وإلا اعتبر ذلك خنوعاً واستسلاماً. أما السبب الثاني، فيتعلق بطبيعة الخط الجغرافي الجديد الذي انسحبت إليه قوات الاحتلال. بعد تنفيذ المرحلة الأولى من إعادة انتشارها في الجنوب، لقد خدمتنا اعادة الانتشار في أمرين. الأول: تحرير منطقتي صيدا والزهراني والثاني انكفاء قوات الغزو من خط شديد الوعورة هو مجرى نهر الأولي، والذي كان يشكل للصهاينة حزاماً أمنياً يصعب أختراقه. نظراً لتواجد قرى وظنيه على ضفتيه، والخط الجديد هذا يسهل عبره تسلل رجال المقاومة وإدخال الأسلحة المختلفة إلى المناطق التي لا تزال ترزح تحت الاحتلال. وسوف تشهد الأيام المقبلة تكثيفاً في العمليات العسكرية، لذا على قادة العدو أن يفهموا أن حماية حدودهم تشترط أولاً وقبل كل شيء الانسحاب الفوري والكامل من جميع الأراضي المحتلة.

س: هل هذا يعني أنكم متفائلون بالمستقبل؟

ج: ليس في مفهوم مقاومتنا الوطنية مفردات اسمها التفاؤل أو التشاؤم. اننا نعمل من منطلقنا الايماني البحت، وشعارنا واضح وصريح ومحدد. فإما أن نجبر العدو على الانسحاب ونحقق النصر أو نموت فنفوز بالشهادة، ليس أمامنا من خيار ثالث، لقد حاولوا كثيراً جرنا إلى ركوب قطار السلم الإسرائيلي لكننا أصبحنا خارج المعادلات العربية الميتة. مع اسرائيل لا يمكن أن يكون سلام، فإسرائيل هي الشر المطلق، وربيبتها

أمريكا هي الشيطان الأكبر. ولا يعقل أن نمد يدنا إلى الشر أو إلى الشيطان. نحن مؤمنون بالله، وبحقنا في أرضنا، وبحقنا في العيش بكرامة، وطالما نحن أصحاب الأرض وأصحاب الحق فالنصر سيكون حليفنا والمستقبل هو دائماً للمستضعفين في الأرض.

س: أعلنت اسرائيل مباشرتها في تنفيذ المرحلة الثانية من انسحابها من الجنوب، كيف ترون انعكاس ذلك على المناطق التي ستبقى تحت الاحتلال؟

ج: لا بد أولاً من توضيح أمر لا يزال قادة العدو مصرين على إنكاره، فالقرار الإسرائيلي بالانسحاب من لبنان على مراحل ثلاث، لم يأتِ عن قناعة ورضى وإنما جاء نتيجة للضربات الموجعة التي سددها رجال المقاومة لقوات الغزو فالكل يعلم أن خسائر إسرائيل في الجنوب، تفوق ما خسرته في جميع حروبها مع العرب والكل يعلم في المقابل المطامع التاريخية للدولة العبرية في مياه الليطاني، إزاء ذلك فإننا نرى أن اسرائيل تماطل في عملية الانسحاب. إنها تراهن على عامل الزمن آملة أن تكسر شوكة المقاومة الوطنية. حتى تثبت أقدامها على الأراضي التي تحتلها وما من شيء يحمل قوات الاحتلال على الجلاء النهائي من لبنان، سوى الاستمرار في توجيه الضربات الموجعة ضد جنودها.

س: أنت المطارد رقم واحد من قبل قوات الاحتلال كيف تشعر إزاء ذلك.

ج: (مبتسماً) هذا شرف لي وقد أخذته من الجنوب، المطارد الأكبر ولكنني أؤكد أنني لست مطارداً، والجنوب ليس كذلك، قوات الاحتلال هي المطاردة، فنحن نطارد جنود الغزو، ليس فقط في مواقعهم وإنما نطاردهم في أحلامهم وفي يقظتهم ونومهم، وفي كل لحظة من أيامهم السوداء، يكفي النظر إلى السواتر الترابية العالية التي تسيج مواقعهم، حتى تتأكد من الحجم الذي بلغه جو الرعب الذي يعيشونه، هم الخائفون لا نحن، فهم إذن المطاردون لأن المطارد يعيش باستمرار ملاحقاً بهواجس الخوف والرعب.

س: الوزير نبيه بري، هدد بقصف المستعمرات الإسرائيلية في الجليل الأعلى رداً على دهم قرى الجنوب. كيف تنظروف إلى الأمر؟.

ج: هذا أمر بديهي، إذ كيف يعقل أن نترك قوات الاحتلال تعبثُ فساداً في قرانا فتقتل المواطنين الأبرياء وتجرف منازلهم وتعتقل ابناءهم. فيما يعيش سكان المستعمرات بسلام؟ لقد هددنا وزير الحرب الصهيوني اسحق رابين قائلاً: «ليفهم سكان الجنوب جيداً. أنه لا يمكن أن يعيش الجنوب بسلام». إذا تعرضت قرانا الشمالية للمشاكل والإضطرابات. ونحن نرد إليه التهديد معكوساً «لا يمكن أن تنعم المستعمرات الإسرائيلية في الجليل بالهدوء والاستقرار طالما استمرت قوات الاحتلال في حربها القمعية والأرهابية ضد قرانا».

س: بعض المراقبين يتخوفون من إقدام إسرائيل على توجيه ضربات «وقائية» ضد المناطق المحررة وخصوصاً في الخط المواجه لنهر الليطاني بل وفي بيروت أيضاً. ما رأيكم بذلك؟

ج: لا نستبعد حدوث ذلك ونحن نتوقعه، إنها سياسة الإرهاب التي ترافقت مع الدولة الصهيونية منذ قيامها ومن الوجهة العملية فإن الضربات الوقائية، تعتبر أكثر فجاعة وأقل خسارة بالنسبة لقوات الإحتلال، من هنا يتوجب الحذر الدائم في المناطق التي قد تكون أهدافاً لتلك الضربات الوقائية، ومجدداً فنقول أن أي ضربة وإن كانت وقائية توجهها قوات الاحتلال لقرانا ومدننا أينما كانت سنرد عليها بضربات وقائية أشد.

س: البعض يعتقد أن ما يجري الآن في الجنوب، هو عبارة عن لعبة عض الأصابع بين قوات الاحتلال ورجال المقاومة إلى أي مدى يصح ذلك؟

ج: (ضاحكاً) أنها تسمية طريفة لكنها صحيحة إلى حد بعيد، ولكن ليكن معلوماً لدى الجميع أن اسناننا قوية جداً وأننا لا نتقن الصراخ!.

س: ما هي الفائدة التي جنيتموها من وراء الإعلان الصريح عن أنفسكم في حركة أمل كطرف أساسي في المقاومة الوطنية؟

ج: لم يأتِ الإعلان متوخياً الحصول على فائدة معينة، وإنما فرضته

الظروف المتلاحقة التي عاشها الجنوب، لقد بقينا وقتاً طويلاً نمارس دورنا الطبيعي في مقاومة المحتل، سياسياً وعسكرياً دون أن نشير مرة واحدة إلى ذلك وكثيراً ما كنا نتغاضى عن بعض التنظيمات والجبهات التي تتبنى عمليات عسكرية نفذها رجالنا ولم نصل إلى الحديث عن دور حركة «أمل» في المقاومة الوطنية، إلا بعدما صار مكشوفاً أمام الجميع، وقوات الاحتلال تعلم ذلك منذ فترة طويلة حيث قامت بملاحقة عناصرنا بشكل مكثف حتى غص بهم معتقل أنصار، نحن إذا لم نعلن أنفسنا كجبهة مقاومة وطنية بقصد التبجح والمفاخرة بل جاء الإعلان تلقائياً كما ذكرت.

سؤال أخير: ألا تخاف الموت؟

ج (ضاحكاً) وهل يخاف الموت من يجلس بين أنيابه كل يوم؟ وهل يخاف الموت من يملأ الإيمان قلبه؟ وهل يخاف الموت من يعلم أن هذا هو مصير الجميع؟.

حديث اللحظة الأخيرة مع الشهيد القائد خليل جرادي(١٣)

س: لقد صارت بلدة معركة رمزاً للصمود والمواجهة ما السر في ذلك؟

ج: إنه الإيمان، قد لا يصدقنا أحد، لكنه الإيمان، ذلك السلاح المدهش الذي لا تقوى على هزيمته أسلحة الدنيا بأسرها. هو الذي وحّد أبناء البلدة رغم أنهم كانوا متفرقين شيعاً وأحزاباً قبل الاحتلال، وهو الذي كان يهيج الدماء في عروقهم لدى مداهمة قوات الاحتلال للبلدة ولقد ساهمت حملات الدهم المتكررة لمعركة، والتي زادت عن ٥٠ حملة في أقل من سنة في تثبيت ملكة الإيمان في نفوس السكان. ولقد كانت النتائج في كل مرة معاكسة لتوقعات قوات الاحتلال فمع كل شهيد سقط من أبناء

(١٣) مجلة الكفاح العربي، العدد ٣٤٨، تاريخ ١١/٣/١٩٨٥، وقد أجرت المجلة الحديث في معركة بتاريخ ٤/٣/١٩٨٥.

البلدة، ومع كل قطرة دم نزفها الجرحى فوق ترابها، كان الإيمان يزداد تأصلاً في الشرايين، إننا محقون في قضيتنا ونحن مؤمنون بذلك وسوف نبقى على هذا الإيمان طالما ظل الدم يجري في عروقنا.

س: لقد أثرت سياسة القبضة الحديد التي تنفذها قوات الاحتلال بشكل سلبي على المنطقة بحيث أدت إلى موجه كثيفة من النزوح باتجاه بيروت كيف تنظرون إلى ذلك.

ج: هذا صحيح وإن كنت تستطيع أن تستثني معركة التي لم ينزح منها أحد، لقد جاءت موجة النزوح، بعد سلسلة المداهمات الأرهابية التي قامت بها قوات الغزو ضد قرى الصمود في منطقة صور، فمع الأزمة المعيشية والاقتصادية الخانقة ومع الجو الإرهابي الذي يفرضه الصهاينة، عبر إطلاق رصاص القنص ورصاص التمشيط العشوائي والذي أدى إلى سقوط العشرات من المواطنين من شهيد وجريح ومع الحصار المستمر للقرى السبع في منطقة صور، وجد الكثيرون أنفسهم مجبرين على الرحيل ولا سيما عنصر الشباب الذين يعتبرون هدفاً مثالياً للاعتقالات التي تقوم بها قوات الغزو بشكل اعتباطي ضد المواطنين وعلى الرغم من ذلك فنحن نلقي اللوم على جميع النازحين فكل ممارسات المحتل القمعية ليست مبرراً كي يترك الإنسان أرضه وبيته، فمن كان يحب الجنوب حقاً عليه أن يبقى فيه إننا ندعو جميع النازحين إلى العودة، وإلا فإنهم بنزوحهم يخدمون مخططات العدو الهادفة إلى تفريغ المنطقة من سكانها بغية ضمها نهائياً.

س: لقد تقدم لبنان بشكوى إلى مجلس الأمن حول الاعتداءات الإسرائيلية على قرى الجنوب، هل ترون فائدة من ذلك؟

ج: وأي فائدة ترجى من مجلس أمن دولي، ترتبط قراراته بهزة إصبع من الشيطان الأكبر أميركا؟ وما دامت أميركا تستعمل الفيتو ضد أي قرار يدين إسرائيل، فما جدوى الشكاوى مجتمعة؟ بل ما دامت إسرائيل لم تنفذ أياً من القرارات الكثيرة التي أصدرها مجلس الأمن فما الفائدة؟

أننا نعتبر العالم بأسره متواطئاً ضدنا.

سؤال أخير، يقال أن قوات الاحتلال تطاردك لأنك مسؤول عن تصفية عدد من العملاء في منطقة صور ما ردك على ذلك؟

ج: (ضاحكاً) بسيطة! لن أرد على التهمة بل أؤكد أن خطر العملاء يوازي خطر قوات الاحتلال إن لم يكن أشد منه فالعميل قادر على كشفك من الداخل. من الإماكن التي لا يستطيع العدو اختراقها من هنا كان لا بد من وضع حد لهذا العدو الداخلي، وقد نجحت المقاومة الوطنية كثيراً في هذا الأمر في منطقة صور حيث أقدمت على تصفية حوالي ٤٠ عميلاً مما دفع العملاء الباقين إلى الهرب والاختباء.

١٩٨٥/٣/٤: تفجير حسينية معركة: بعد أقل من ٢٤ ساعة على قرار الحكومة الإسرائيلية الشروع بتنفيذ المرحلة الثانية من الانسحاب نفذت قوات الاحتلال مجزرة بربرية جديدة استهدفت حسينية البلدة التي فجرت حسب تقارير الخبراء العسكريين بـ ١٠٠ كلغ من المتفجرات التي وضعها الإسرائيليون عند اقتحامهم البلدة قبل يومين وكانت تعج بمئات المواطنين من النساء والشيوخ والأطفال حيث كانت الهيئة العليا للإغاثة توزع مساعدات غذائية على البلدة الصامدة.

وقد ذهبت ضحية هذه المجزرة الغادرة ١١ شهيداً وفي طليعتهم نائب المسؤول التنظيمي لحركة أمل في الجنوب وقائد ثوارها في المقاومة الوطنية اللبنانية محمد سعد ٢٧ سنة ومسؤول الحركة في معركة خليل جرادي وسقط ٤٥ جريحاً معظمهم كانوا في حالة الخطر وقد وقعت عملية التفجير في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحاً وسمع دويها حتى مدينة صور على بعد ١٠ كلم من معركة وقد منعت قوات الاحتلال نقل المصابين إلى مستشفيات صور كما منعت سيارات الاسعاف والدفاع المدني من الوصول إلى معركة. وأشرف على عمليات رفع الانقاض نائب قائد القوات الدولية في

الجنوب والناطق الإعلامي باسم الطوارىء تيمور غوكسيل.

وقد علق مراقب عسكري صهيوني في جنوب لبنان في اليوم التالي لتفجير الحسينة أي في ٥/ ٣/ ١٩٨٥ بقوله: «محمد سعد عنصر مهم جداً، لأنه منسق المقاومة في صور ومقتله يوازي السيطرة على ٢٠٠ قرية»(١٤).

٤/ ٣/ ١٩٨٥: نعي الرئيس بري الشهيدين سعد وجرادي

وعقد وزير الدولة لشؤون الجنوب والإعمار رئيس حركة أمل نبيه بري إثر المجزرة مؤتمراً صحافياً: نعى فيه قائدي المقاومة سائر الشهداء بقوله:

«... استشهد نصف الجنوب محمد سعد، وخليل جرادي. والأخوة الميامين إلى جانبهم. وعلى النصف الباقي إنقاذ كل الجنوب. محمد سعد قمة المقاومة حاز قمة الشهادة، عهداً من أخوانك واخواتك قيادة وعناصر في حركة «أمل» تنشق عبير دمك الذكي حتى التحرير، «فشلوا في مواجهتك يا أخي فطعنوك في الظهر والقدر يا ابن الإمام الصدر... يا ابن «أمل» بين مهدك ولحدك كل أملنا، كل تاريخنا وسنضعه على شاكلة تاريخك.

أحمد روميه، الدكتور خليل عطوي، حسين شعيتلي، علي عباس، علي عبدالحسن غندور، محمد السيد حسين، أحمد حسين فواز، محاسن حيدر، الطفل عباس يوسف الزين وعشرات الجرحى الآخرين».

---

(١٤) صحيفة هآرتس، ٥/ ٣/ ١٩٨٥.

بيان هيئة الرئاسة في حركة «أمل»

ثم تلا الوزير بري البيان الصادر عن «هيئة الرئاسة» في حركة أمل التالي نصه:

«فور تلقي المعلومات عن مجزرة حسينية معركة هذا الصباح، دعا رئيس حركة أمل نبيه بري إلى عقد جلسة طارئة لهيئة الرئاسة حضرتها السيدة رباب الصدر شرف الدين. وقد صدر في نهاية الإجتماع البيان التالي:

أولاً: يبدو أن قرية معركة مصرة على انتزاع لقب أم القرى المجاهدة وكأنها في التحام أبدي مع أم القرى. الأم مكة المكرمة مهبط الوحي والرسالة. ولعل العدو الإسرائيلي وبسبب هذا الإصرار يرى في تدمير هذا البركان الإيماني إنهاء للمقاومة المجاهدة وإطفاء لشعلة الجهاد الإيماني. لذا فهو جاد في تدمير العمران وارتكاب أبشع الجرائم وهو خارج منها بمكره وخبثه. ولأن معركة محت العار الذي أراده العرب لأنفسهم ورفضته لنفسها وعنهم. فإن اسرائيل تهاجمها بأرتالٍ من الدبابات والآليات والطائرات تفوق عدداً وتنظيماً ما استخدمته على جبهات الحرب ضد الدول. وكأن معركة صارت دولة المواجهة الوحيدة في وجه السرطان الذي لا يتوقف عند حد.

ثانياً: وإذا كان لهذه القرية المعتصمة بحبل الله أن تفاخر وتفتخر بماضيها وحاضرها حتى صارت المثل الأعلى. فإن هذا الواقع المنير يؤهلها لأن تكون الأكثر صبراً وعناداً. إذ ان ليلها الطويل لا يزال في بدايته. فمعركة تسهر لينام لبنان وتتألم ليرتاح الوطن وستبقى تعطي دون حساب حتى تتفتت الأسطورة الإسرائيلية بعد أن تحطم كبرياؤها على أقدام شيبها وشبابها وأطفالها وشيوخها ونسائها.

ثالثاً: تطالب هيئة الرئاسة في حركة أمل الحكم في لبنان أن يضمن شكواه إلى مجلس الأمن بما يتوافق مع ضرورة إدانة هذه الجريمة الجديدة التي كرّست ظهور مدرسة في سياسة الدول بحيث لا بد من التحدث عن الدولة المجرمة ودولة الإرهاب. بعد أن طال الحديث عن الإرهاب الدولي حتى باتت المقاومة الوطنية في الفهم الإسرائيلي إرهاباً والاحتلال أفضل وسيلة لاستتباب الأمن.

وعلى لبنان أن يطلب الاجتماع فوراً لمجلس الأمن وعدم الرضوخ لسياسة التأجيل والتمييع المتبعة من الولايات المتحدة نفسها.

رابعاً: وفي الوقت الذي يجمع فيه اللبنانيون حول موضوع التحرير وينظر الحكم بعين الإرتياح والتشجيع إلى دور المقاومة الوطنية، فإننا نطالب هذا الحكم بأن ينقل هذا التوجه العام إذا كان حقيقياً إلى خانة المجابهة الواقعية كي لا تبقى زيارة صيدا كأنها مجاملة سياسية على غرار المجاملات الإجتماعية العادية.

إننا نؤكد على الحكم ونطالب ليس بدعم المقاومة الوطنية - وهذا أضعف الإيمان - وإنما بالاشتراك الفعلي بعملية التحرير وذلك بتعزيز الجيش الوطني وإعطائه الأمر بالتصدي للعدو المحتل والإفراج عن الأسلحة والدبابات المكدسة في اليرزة وفي روميه والاندماج الفعلي مع شعب الأرض، لأن شعب الأرض هو المقاومة ولأن هذا الجيش من أبناء هذا الشعب. ولا بد أن يستنفر كل شيء وأن يتوجه الحكم عبر دبلوماسييه وقواه الشرعية والحكومة بمختلف وزرائها وجميع مرافق الدولة ناحية التحرير، ودعم أهلنا الصامدين في الأرض التي كانت وستبقى محطة استراحة التاريخ، كلما أراد التاريخ أن يفيء إلى البطولة والإباء والعظمة.

خامساً: وتؤكد حركة أمل لأهلها وشعب لبنان أنها ما حادت يوماً عن خطها المحدد خط التحرير ووحدة الأرض والشعب، وبقدر ما تلاقي من صعوبات بقدر ما يشتّد عنادها وبقدر ما تزداد شراسة إسرائيل يرتفع مستوى تصميمنا حتى يجاور الشهادة أو يصير شيئاً منها. فهذا قدرنا رضيناه وآمنا بالله والله ينصر من يشاء وأمل بنصره».

وفور انتهاء الوزير بري من تلاوة بيانه، دخل عضو المكتب السياسي لحركة أمل الشيخ أديب حيدر وأبلغه تفاصيل جديدة عن قيام الجيش الإسرائيلي باقتحام مستشفى جبل عامل.

وتفاصيل المعلومات حسب ما وردت في البرقية أن جيش الاحتلال الإسرائيلي أطلق النار على الأهالي الذين تجمعوا أمام مبنى المستشفى للتبرع بالدم من أجل انقاذ المصابين وعمدوا إلى اعتقال ٢٥ شخصاً وأن مدير المستشفى أحمد مروة أغمي عليه.

معلومات عن الانفجار

وسئل الوزير بري عما إذا كانت لديه معلومات تتعلق بتفاصيل الإنفجار فأجاب لقد دخلت إسرائيل منذ يومين إلى معركة واقتحمت الحسينية وصعدت إلى الطابق الأول فوق مبنى الحسينية وعمدت إلى تفخيخ المكتبة. وحدث الانفجار لحظة انعقاد اجتماع موسع للتداول في موضوع تقديم العون لأبناء البلدة، وكان يحضر الاجتماع الذي عقد في مبنى الحسينية مسؤول الإغاثة الدكتور خليل عطوي والأخ أحمد رومية وهو في لجنة الإغاثة إضافة إلى الأخوان في حركة أمل.

وقيل له هل لديك إحصاءات نهائية عن المصابين؟ أجاب: لم يتوفر لنا حتى الآن العدد النهائي. وتفيد المعلومات الأولية عن وقوع

١٥ شهيداً وعشرات الجرحى موزعين بين مستشفيات صيدا وصور ومستشفى القوات الدولية في الناقورة ومستشفى قوات الطوارىء في معركة التي نقل إليها ٢٢ جريحاً.

وأضاف ورداً على سؤال حول نفي إسرائيل عن وجود أية علاقة لها بالحادث قال:

ليست هذه أول مرة تنفي إسرائيل علاقتها بحصول حوادث من هذا النوع منذ حادثة برنادوت حتى الآن لم يكن لها أية علاقة حتى أن لا علاقة لها بحادثة تفجير فندق الملك داود.

وسئل عن هدف اسرائيل من وراء حادثة التفجير. فقال:

لقد قلنا في مؤتمرنا الصحفي الأخير عندما سئلنا إذا كنا نتوقع انسحاباً اسرائيلياً سريعاً قلنا: إن اسرائيل تعلن من عام ١٩٧٨ عن رغبتها بالانسحاب من لبنان لكن اعلانها يبقى شيئاً والحقيقة تبقى شيئاً آخر. إن اسرائيل تحاول الآن احباط المقاومة الوطنية بشتى أنواع الغدر. وفي النهاية ستبقى الأرض إذا ترك لها الخيار لا سيما وأنها أعلنت بأنها غير راغبة بإخلاء منطقة الشريط الحدودي. وتعتبر هذه المنطقة متاخمة للشريط الحدودي ومطلوب أن تكون منطقة وقائية وبأن تتحول إلى أرض محروقة محاذية للشريط.

٤/ ٣/ ١٩٨٥ : تصريح الرئيس رشيد كرامي

بعد اجتماع لمجلس الوزراء عقب المجزرة صرح رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية رشيد كرامي بالآتي:(١٥).

(١٥) جريدة النهار، ٥/ ٣/ ١٩٨٥م.

«انعقد مجلس الوزراء الذي كان مخصصاً للبحث في المراسيم الإشتراعية، لكن شاءت الأقدار أن يقع الحادث المؤلم والمجرم الذي ارتكب ضد حسينية معركة فأودى بحياة العديد من المواطنين الآمنين والأبرياء، فكان لا بد من الأنكباب على معالجة هذا الموضوع وملاحظة أبعاده ومضاعفاته فاستدعيت قيادة الجيش لإعطاء المعلومات عن التطورات التي لديها في ضوء الانسحاب الثاني. وحسب ما أعلنه مجلس وزراء العدو أمس والترتيبات والاستعدادات المتخذة لملء كل فراغ عن حدوث أي انسحاب فكانت هذه المعلومات مفيدة وتقرر في ضوئها الموقف اللبناني وأعطيت التعليمات المناسبة ونحن سنتابع هذه الأمور ساعة فساعة ويوماً فيوماً.

وتقرر من خلال الاتصالات التي أجريت على صعيد القوة الدولية في شخص قائدها الجنرال كالاهان ومع اللجنة الدولية للصليب الأحمر القيام بكل الإجراءات اللازمة لتقديم المساعدات المباشرة إلى المتضررين في هذا الحادث المؤلم.

وتقرر كذلك دعوة سفراء الدول الخمس الأعضاء في مجلس الأمن التي تملك حق الفيتو للبحث معها ووضعها في صورة ما نراه وما نطالب به على أساس الشكوى التي تقدمنا بها، وتوخينا من جرائها إعلام الرأي العام الدولي بما يحدث في الجنوب والبقاع الغربي وراشيا من ممارسات لا انسانية وبربرية وفاشية بقصد الحصول على قرار يدين هذه الممارسات ويعمل على وضع حدِ لها لأن إسرائيل كما يبدو ومن خلال هذه الأمور فقدت أعصابها وهي مذعورة.

ونحن في الواقع لا نجد مبرراً لعدوٍ محتلٍ أن يفقد أعصابه أمام الواقع البشع الذي تسبب به هذا الهجوم البغيض على أرضنا الطاهرة. فكانت محاورة مفيدة من خلال اجتماعنا مع السفراء الذين وضعوا في جو سياستنا وأهدافنا والعمل على تحقيق الإنسحابات في أسرع وقت ومن دون هذه المجازر التي ستبقى لطخة عار تضاف إلى اللطخات السابقة من تاريخ هذه الدولة الفاشية».

١٩٨٥/٣/٤ : نداء رئيس مجلس النواب حسين الحسيني[١٦]:

واستنكاراً للمجزرة وجه رئيس مجلس النواب اللبناني حسين الحسيني إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية وإلى أبناء الجنوب نداء قال فيه:

«إن هول الجريمة الكبرى التي ارتكبها الجناة الصهاينة في حسينية معركة اليوم أكد بما لم يعد يحتمل الشك في نيات الإبادة والتهجير التي تضمرها إسرائيل. إضافة إلى الاعتداء الآثم على دار العبادة والدين. نحن نوجه إليكم اليوم نداء استصراخ واستنهاض لحميتكم العربية والإسلامية، فالمعركة التي نخوض وحدنا هي معركة المسلمين جميعاً ولم يعد لأحدٍ عذر في التقاعس عن بذل النفس والمال من أجل دعم المقاومة الوطنية اللبنانية الباسلة ومن أجل تمكين المواطنين في الجنوب والبقاع الغربي وراشيا من مواجهة نتائج التقتيل والتدمير الجماعيين اللذين تجري عملياتهما يومياً.

يا أهلنا في الجنوب. . .

في هذه اللحظات المصيرية التي يجتازها الوطن برهنتم على أنكم الشعلة العاملية التي لا تنطفىء والقدرة المتجددة لسيرة الجهاد التي سطرها الإمام الصدر عقيدة فحملتموها أمانة ومسؤولية مستمدين من الأخلاق النبوية في طهار الفكر واستقامة المسلك واستمرارية العطاء. فعندما طوق العدو بلدة معركة بالدبابات وأمطرها بنيران المدافع ومارس لعبة الشهوة إلى الدم والتدمير «والخراب» والتخريب إنما كان يحاصر نفسه بالخوف منكم بعدما تحولت سواعد المقاومة الوطنية اللبنانية إلى حبال تلف حول عنق الهمجية الإسرائيلية وبعدما وصل هذا العدو العرقي إلى مرحلة الانهيار المعنوي والإفلاس العسكري أمام ضرباب المقاومة البطلة.

يا أهلنا في الجنوب وراشيا والبقاع الغربي، إن ما حصل في بلدة

---

(١٦) جريدة السفير، ١٩٨٥/٣/٥م.

معركة يعد مؤشراً لمسلسل الجرائم الإسرائيلية ضمن سياسة الترغيب والتطبيع. وهذا ما يتطلب منا جميعاً الارتفاع إلى مستوى الخطورة الراهنة فنعمق الوحدة الوطنية ونحصن الصفوف من كل أنواع الاختراقات ومن نماذج حصان «طراوده» حفاظاً على طهارة الصمود وتأميناً لاستمراريته. وما من شك في أن مجزرة معركة ترافقت مع البدايات الأولى للمرحلة الثانية من الانسحاب تندرج في سياق المخطط الإسرائيلي القائم على تفريغ الأرض من قراها وتهجير الناس من بيوتهم كمدخل «النوع من الإستيطان المتحرك والثابت وفقاً لرياح الأطماع الإسرائيلية.

أيها الصامدون الصابرون على رغم ما جرى ويجري، كلنا ثقة بأن جهادكم لن يفتر وأن إيمانكم بعدالة القضية لن يتزعزع لأنكم رواد رسالة حسينية كتبت بدم الشهادة فظلت على الدوام حديث المنابر والخنادق. وإذا ما هدم العدو المنازل واعتقل وشرد وقتل فإن هذه الممارسة الجبانة سوف تزيدكم صلابة في الموقف وتمسكاً بالحق لأنكم أهل معركة انتصر شهيدها على قاتله وسيبقى محمد سعد وخليل جرادي ورفاقهما من الشهداء ومضة بطولة في ذاكرة الأجيال».

٥/٣/١٩٨٥: بيان المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى(١٧)

وأصدر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بتاريخ ٥/ ٣/ ١٩٨٥م البيان التالي:

أولاً: توقف المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ملياً عند تصعيد الهجمة الإسرائيلية ضد أهلنا في الجنوب والتي وصلت إلى تفجير حسينية معركة. هذه الجريمة النكراء التي وقع ضحيتها عدد كبير من شهدائنا الأبرار وعشرات الجرحى. وأبدى المجلس استغرابه الشديد للصمت العربي والدولي إزاء هذه الجريمة البشعة وما سبقها من جرائم اسرائيلية

(١٧) جريدة النهار، ٦/ ٣/ ١٩٨٥م.

كانت تقتضي تحركاً فاعلاً على صعيد المؤسسات الأقليمية والدولية لمواجهتها.

كذلك أبدى المجلس استغرابه الشديد لتقصير الدولة في إطلاع الرأي العام العالمي على الجرائم الإسرائيلية التي ترتكب ضد اللبنانيين في مناطق الاحتلال الإسرائيلي مطالباً إياها بنقل صورة الواقع الدامي إلى العالم كجزء من الحملة السياسية من أجل التحرير.

ثانياً: لاحظ المجلس أن اسرائيل أقدمت على ارتكاب جريمتها في معركة في أثناء عرض الشكوى اللبنانية على مجلس الأمن ضد ممارستها الإجرامية: وهذا العمل يشكل خطاباً إلى المجتمع الدولي المتمثل بمجلس الأمن والأمم المتحدة ويعبر عن عدم الإكتراث بالمؤسسات الدولية وقراراتها وما كانت اسرائيل لتتمادى في تحديها للمجتمع الدولي لولا الدعم الأميركي الكلي والمطلق لها منذ قيامها.

والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى إذ يتابع مجرى هذه الشكوى يؤكد إصراره على طلب الإدانة الكاملة لإسرائيل.

ثالثاً: إن تصعيد الهجمة الإسرائيلية البربرية والشرسة على أهلنا في المناطق اللبنانية المحتلة وما ينتج منها من تقتيل وتدمير وتجويع، تستوجب في المقابل تركيز اهتمامات كل مؤسسات الدولة على دعم صمود المواطنين وتيسير وسائل العيش والخدمات الصحية وغيرها مما يكفل لهم الإستمرار في صمودهم أمام العدوان الإسرائيلي المستمر.

ولاحظ المجلس بمرارة أن الدولة لم تقم حتى الآن بأبسط واجباتها علماً أن سكان المدن والقرى يعانون ضائقة معيشية خانقة.

رابعاً: أمام إعلان اسرائيل المرحلة الثانية من انسحابها يؤكد المجلس وجوب تحمل الدولة مسؤولياتها في المناطق المحررة وذلك بتهيئة الإدارات الرسمية العامة وتجهيزها بالوسائل والإمكانات الكفيلة بتأمين الخدمات اللازمة بما يؤدي إلى تلبية حاجات المواطنين ودعم صمودهم، وبنشر قوى من الجيش والأمن الداخلي في المناطق المحررة وتجهيزها

ونسليحها بما يجعلها قادرة على صد أي عدوان اسرائيلي على هذه المناطق والحفاظ على الأمن والاستقرار فيها».

٥/٣/١٩٨٥ : بيان الجبهة الوطنية الديمقراطية[١٨]

وأصدرت الجبهة الوطنية الديمقراطية حول مجزرة معركة البيان التالي:

«توقفت الجبهة عند الجريمة البربرية البشعة التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد قرية معركة البطلة وسكانها الصامدين وذهب ضحيتها عدد من المواطنين والمناضلين، ورأت أن هذه الجريمة التي تضاف إلى سجل اسرائيل الحافل بالإجرام والمجازر إنما تكشف عن مدى الهلع من حجم الهزيمة العسكرية والسياسية لقوات الاحتلال الإسرائيلي وعملائه بفضل العمليات البطولية للمقاومة الوطنية اللبنانية والصمود الأسطوري لجماهير شعبنا في الجنوب وسائر الأراضي اللبنانية المحتلة. إن الرد على هذه الجريمة وما تعده إسرائيل من جرائم أخرى مع إضطرارها لتنفيذ المرحلة الثانية من الانسحاب لن يكون بإبداء الشجب والاستنكار والإدانة بل بتصعيد عمليات جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية وتطويرها نوعياً لتحطيم سياسة «القبضة الحديدية» التي تنفذها إسرائيل ولإرغامها على الانسحاب الشامل بدون قيد ولا شرط مجرجرة أذيال الهزيمة.

إن أحزاب الجبهة الوطنية الديمقراطية في بيروت إذ تدين الموقف الأميركي المتواطىء مع الهمجية الإسرائيلية كما ظهر في مجلس الأمن كما تدين موقف الصمت المريب للأنظمة العربية الرجعية اللاهثة وراء الحلول التصفوية الإستسلامية، إنما تهيب بكل أوساط الرأي العام العربي والعالمي للتحرك بكل الأشكال شجباً للجرائم الإسرائيلية بغية وقفها عند حدها.

(١٨) جريدة السفير، ٦/٣/ ١٩٨٥م.

كما تدعو كافة القوى الوطنية اللبنانية إلى تحمل مسؤوليتها في مواجهة الحلقة الجديدة من المؤامرة بتوحيد قواها وموقفها على قواعد راسخة من التحالف والتنسيق والضغط على الموقف اللبناني الرسمي كي يخرج من دائرة الشكوى والتظلم إلى اتخاذ تدابير حازمة وملموسة بقطع العلاقات مع الولايات المتحدة عرابة العدوان الإسرائيلي على شعبنا وتجنيد كل إمكانيات الدولة في خدمة معركة التحرير ودعم المقاومة الوطنية اللبنانية وصمود جماهير شعبنا المنتفضة في الجنوب والمناطق المحتلة».

٥/ ٣/ ١٩٨٥ : موقف الحزب التقدمي الاشتراكي(١٩)

وأدلى مصدر مسؤول في الحزب التقدمي الإشتراكي بالبيان التالي:

«ليس غريباً أبداً ما حدث أمس في بلدة معركة المقاومة على يد الاحتلال الإسرائيلي فذلك كان دائماً طبيعة المحتل وخاصة عندما يفقد أعصابه في مواجهة مقاومة وطنية لبنانية بطلة عاهدت أن تطرد الاحتلال وأن تحرر تراب الوطن من شروره وجرائمه، كذلك لم يكن غريباً أبداً أن تنهض البلدة المنكوبة من عثرتها لأن الإيمان الوطني الذي يعمر قلوب أبنائها ومناضليها هو أقوى من كل وسائل الإرهاب والتدمير التي يملكها العدو المحتل.

إننا إذ نحيّي الشهداء الأبطال الذين سقطوا ضحية المؤامرة الغادرة وبينهم مسؤولون بارزون من الأخوة في حركة أمل. نعاهد أبناء الجنوب عامة وأبناء معركة خاصة على المضي في معركة المواجهة حتى التحرير والنصر. وإننا بالمناسبة لا يسعنا إلا أن نسجل شجبنا الشديد لهذا الصمت الذي يخيم على دول الديمقراطية الغربية الذين لم نكن نتوقع منهم يوماً أن يتجاهلوا مآسي الاحتلال في لبنان وأن يسكتوا عن هذه المآسي.

---

(١٩) جريدة السفير، ٦/ ٣/ ١٩٨٥م.

إن الإلتزام بالدفاع عن حقوق الإنسان لا يمكن أن يكون في لبنان أمراً مختلفاً عنه في أوروبا أو في أي مكان آخر فلماذا هذا الصمت؟ ولماذا هذا السكوت الذي يكاد يتساوى أصحابه في المسؤولية بالذين ارتكبوا المجزرة البربرية في بلدة معركة. كذلك لا يمكننا إلا أن نشجب بقوة هذا السكوت من قبل الدول الأعضاء في الاشتراكية الدولية أو من بعضهم على الأقل. إن الفكر الإشتراكي والنهج الإشتراكي لا يمكن أن يتوافق مع هذا الموقف اللامبالي والمهمل والغافل عن نصرتنا ومساعدتنا لإجلاء الإحتلال عن أرضنا بخاصة وإن الإشتراكية الدولية وبعض القوى الغافلة فيها كانت تمثل دائماً لدينا قوة عالمية تعمل لنصرة الانسان وللدفاع عنه ضد أية ظلامة يتعرض لها. إننا نطالب هذه القوى بأن تتحرك لمساعدتنا بمواقفها السياسية والإعلامية. وإن كثيراً من مصداقيتها التي بدأت تهتز عند كثيرين تتوقف على مثل هذا التحرك.

بقي أن نقول أن الدموع التي يحاول أن يذرفها حزناً على شهداء معركة إنما هي أشبه بدموع التماسيح إذ ومتى كان «لسوموزا» وعائلته الحاكمة في لبنان أن يشعروا بمآسي الآخرين. إن الأيدي التي تشارك في رسم خطط الاحتلال للبنان من قبل إسرائيل ولا يرف لها جفن أمام المجازر التي ارتكبت على أيدي العصابات الفاشية في صبرا وشاتيلا وفي كفرمتى وعبيه لا يمكن أن تتحول بقدرة قادر إلى أيدٍ تلبس القفازات البيضاء وتضمد جراح المصابين.

إن مؤاساة شهداء معركة ومساندة المقاومة الوطنية في الجنوب لا تكون بدعوة السفراء في مسرحية استعراضية لن تجدي شيئاً إنما تكون بتبني نهج المقاومة علناً وبدفع القوات المسلحة اللبنانية للمشاركة في عملية التحرير.

إن لبنان بحاجة في هذه المرحلة إلى بنادق تقاتل من أجل تحريره وليس إلى عيون تذرف الدموع كذباً ونفاقاً وربما شماتة على ضحايا العدوان الإسرائيلي».

٦/ ٣/ ١٩٨٥ : بيان اللقاء الإسلامي[٢٠]

واصدر اللقاء الإسلامي. البيان التالي حول المجزرة:

«عقد اللقاء الإسلامي اجتماعه الأسبوعي في دار الفتوى برئاسة الرئيس تقي الدين الصلح وحضور الأعضاء. فجرى التداول في الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية العامة وتناول بصورة خاصة الممارسات الإسرائيلية البربرية في الجنوب وفي بلدة معركة بالذات وموضوع المراسيم الإشتراعية وزيارة نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام وتردي الوضع الأمني في بيروت، وقد توقف عند شراسة وعنف الممارسات الإسرائيلية الوحشية الحاقدة التي تجري في الجنوب والبقاع ضد الأبرياء الآمنين واستخدام أبشع وسائل التنكيل والإيذاء التي تجلت بتفجير حسينية معركة وأدت إلى سقوط العشرات من أبناء شعبنا الأبرياء ومن الجرحى شيوخاً ونساءً وأطفالاً، وكذلك المجازر والجرائم البشعة التي يشهدها العالم عبر شاشات التلفزيون ووسائل الإعلام المختلفة بدون أن يلقى لبنان ممن يفترض فيهم نصرة الحق وخاصة أميركا إلا الانحياز الأعمى نحو إسرائيل بداعي الموازنة بينها وبين المقاومة الوطنية متناسية أنها توازن بين معتدى عليه ومعتدٍ تحول إلى عصابة إرهابية متغطرسة تعمل في ضوء النهار وعلى مسمع ومرأى من الجميع غير عابئة بالشرائع الإنسانية والمبادىء الانسانية التي التقت حولها أمم العالم ونصّت عليها الشرائع والمواثيق الدولية. وقد وجد المجتمعون في ما يكتنف الشكوى اللبنانية إلى مجلس الأمن في الأندية العالمية وفي أوساط الأمم المتحدة من مواقف متأرجحة ما يضعضع ثقة الشعوب بقدرة المنظمة الأم على صيانة المبادىء والأعراف الانسانية وهم يحمّلون أميركا بصورة خاصة والمجتمع الدولي والغربي بوجه عام مسؤولية السكوت عن وحشية الممارسات الإسرائيلية ويتوجهون إلى الأمم المتحدة والمجتمع الدولي وخاصة إلى الدول الشقيقة والصديقة طالبين

(٢٠) جريدة السفير، ٧/ ٣/ ١٩٨٥م.

إليها جميعاً أن تقوم بما يفرضه عليها الواجب الإنساني والقانوني والتشريعات الدولية صيانة للحق والعدل في هذا العالم، وعلى إبقاء المنظمة العالمية ملاذاً لكل شعب آمن ومستضعف واللقاء الذي يحيي صمود الشعب اللبناني الأبي والشجاع الذي ما فتىء يتحدى الغطرسة الإسرائيلية في المناطق المحتلة يدعو اللبنانيين جميعاً إلى مزيد من التوحد والإسهام في الدفاع عن الأرض والكيان وإلى مزيد من دعم المقاومة الوطنية التي هي وحدها طريق التحرير والجسر الذي يقودنا نحو توحيد الكلمة والإرادة في مواجهة التحدي الإسرائيلي».

٦/ ٣/ ١٩٨٥ : تصريح وزير الدفاع[٢١]

وأدلى وزير الدفاع عادل عسيران. بالتصريح التالي حول المجزرة:

«لا يسعني أمام هول الفاجعة التي استهدفت حسينية بلدة معركة إلا أن أنحني إجلالاً لأرواح الشهداء الذين سقطوا ضحيتها ليضافوا إلى سلسلة الشهداء الذين رووا أرض الجنوب بدمائهم الطاهرة ليعيش الجنوب ويعيش لبنان بكرامة وعزة وشموخ. وأتمنى الشفاء العاجل للجرحى العديدين الذين أصيبوا في الحادثة المريعة التي نفذتها اسرائيل ضد الآمنين داخل الحسينية. إن هذا العمل الإجرامي لا يرتكبه إلا الأوغاد الذين خلت نفوسهم من أي شعور إنساني وخلت ضمائرهم من أية خلقية واستقامة.

إن بلدة معركة الجنوبية العزيزة قد دفعت بسخاء ثمن الحرية والكرامة والعنفوان وهي بذلك سارت على خطى كل بلدة وقرية جنوبية أخرى من تلك التي تقع كل يوم هدفاً للمحاصرة وأعمال التنكيل والانتقام والإجرام من قبل العدو الغاصب.

إن للمقاومة الوطنية يداً طويلة جداً يمكنها أن تطال المستوطنات

---

(٢١) جريدة السفير، ٧/ ٣/ ١٩٨٥م.

الإسرائيلية في داخل الجليل الأعلى لضرب من اغتصب أرضاً ليست له ويريد أن يمنع أصحابها الحقيقيين من النضال لاستعادتها.

لقد كنت منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي أول من أعلن بأن العدو لن يغادر أراضينا إلا بضغط مقاومة من الشعب لا عن طريق المفاوضات والحلول السياسية والاتفاقات. وكنت دائماً من المطالبين قبل الاجتياح بتسليح أبناء الجنوب للدفاع عن أنفسهم في حال أرادت اسرائيل أن تقوم بأي عمل عدائي عليهم. واليوم لقد حدث ما كنت أتوقعه. والمقاومة الوطنية تكيل كل يوم الضربات الموجعة لإسرائيل وستظل تلاحقها ما دام لديها جندي واحد على الأراضي اللبنانية. فكما أنتزع لبنان استقلاله من الدولة المنتدبة عام ١٩٤٣م بانتفاضة شعبية دفع ثمنها من دماء أبنائه هكذا لن يتحرر إلا بانتفاضات أقوى وأشد لأن إسرائيل الدولة العنصرية الهمجية القابعة على جزء من أراضيه لن تفهم بغير لغة القوة والسلاح لأنها اللغة الوحيدة التي تستعملها في تعاطيها مع من حولها. إن الشعب اللبناني بأسره وشعوب العالم قاطبة تتطلع اليوم إلى عمل هذه المقاومة الرائع والمقدس الذي أجبر العدو على تغيير مخططاته والاعتراف بفشل الغاية من اجتياحه للبنان. إن هذا العمل الجبار قد أعطى جميع الشعوب المستضعفة درساً في أن الغلبة دائماً هي للحق على الباطل ولو كان قوياً، وإن العين باستطاعتها أن تقاوم المخرز ما دامت قد استمدت من إيمانها صلابة وقوة وعلى مجابهة عتو الغاصب وطغيانه.

فليتعظ الشعب اللبناني من أبناء الجنوب وليضع في روعه أن خلاصه بيديه وبوحدته وتضامنه وإجماع كلمته كشعب الجنوب. الذي أثبت أنه بجميع فئاته يداً واحدة على العدو المشترك داحضاً جميع الأقاويل التي صورته متعدد الولاءات والاتجاهات فبتضامنه ووحدته وبعمله الواحد الموحد استطاع أن يطرد العدو من أرضه ويعيد إليها حريتها وكرامتها. إن الشعب اللبناني مدعو اليوم إلى أن يقف صفاً واحداً ضد عدوه الواحد إسرائيل آخذاً عبرة من الجنوب لكي يستطيع أن يعود بلبنانه إلى ما كان عليه من عزة وكرامة وسيادة. فبوحدة اللبنانيين يمكن للبنان أن ينهض من

كبوته ويعود إلى مصاف الدول العزيزة الكريمة: وهنا لا بدّ من التوجه بكلمة إلى الأشقاء العرب الذين يعتبرون لبنان أخاهم الأصغر مذكراً إياهم بأن لهذا الأخ حقاً عليهم. هذا البلد الصغير الكبير بمعنويات شعبه الذي يدفع ثمن الكرامة العربية من دمه وكيانه وإزدهاره واقتصاده. أليس من المفروض الإسراع للوقوف إلى جانبه؟ أما حان الوقت لكي يتحرك هؤلاء الأشقاء وعلى جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لنصرة هذا الشقيق الصغير ومساعدته على الاستمرار في وقوفه على قدميه وعدم الذهاب ضحية ما يحاك له من مؤامرات تهدف إلى ضعضعته وحرمانه مقومات العيش تمهيداً لزواله كلياً.

لقد أثبت الشعب اللبناني ان ارادة الحياة لديه أقوى من إرادة الموت وأن للحرية والكرامة باباً لا يقرع إلا بالأيدي المضرجة بالدماء. فهل هبّ الأشقاء العرب إلى مدّ يد العون والمساعدة له قبل فوات الأوان. فالمطلوب من الأشقاء العرب أن يؤازروا شقيقهم هذا ويقفوا إلى جانبه على الأقل في البطولات التي يسجلها في تاريخ العرب على عدوهم الأكبر اسرائيل. إن التاريخ لن يرحم أحداً وسيقول الحقيقة دون مواربة. فالشعب في الجنوب يقدم القرابين من أرواح بنيه ودمائهم الطاهرة ليسطر في التاريخ أعظم معاني الجهاد والكفاح والنضال. إن الدول الأجنبية تتفرج علينا مكتوفة الأيدي فهل تفعل الدول العربية فعلها وتقف أيضاً في صفوف المتفرجين؟ والجواب على هذا السؤال متروك لبادرة الأشقاء الأعزاء.

وعن ذكرى مرور سنة على إلغاء اتفاق ١٧ أيار قال الرئيس عسيران: إن ذكرى إلغاء اتفاق ١٧ أيار هي ذكرى انسجام لبنان مع نفسه ومع محيطه العربي، وقد أقدمنا على إلغائه بكامل إرادتنا وتصميمنا وعن قناعة بأن لبنان لا تحرره الإتفاقات المكتوبة على الورق بل لبنان تحرره سواعد أبنائه ودمائهم، وأكبر دليل على ذلك ما نشاهد اليوم على أرض الجنوب فالمقاومة الوطنية هي التي عجلت بانسحاب الإسرائيليين من أرضنا المقدسة بدون قيد أو شرط: وكل أمانينا أن نرى لبنان معافى بكامل ترابه من العدو الإسرائيلي في القريب العاجل»...

٧/ ٣/ ١٩٨٥: كلمة الوزير نبيه بري[٢٢]

وألقى وزير الدولة لشؤون الجنوب نبيه بري في المتظاهرين بعد تفجير حسينية معركة واستشهاد محمد سعد وخليل جرادي الكلمة التالية:

«يا أخوات الثوار وأخوتهم وأخوة حسن قصير وبلال فحص وراغب حرب ومحمد سعد وخليل جرادي وكل طفل في الجنوب يا أهل بيروت يا أهل لبنان قلتم كلمتكم اليوم ومن دون تخطيط هذه التظاهرات هذا التعبير تم كله من دون تخطيط وبعفوية نقول:

أولاً: ليس لإسرائيل مكان في لبنان ولا لاسرائيل قرار في لبنان وليس لإسرائيل أية محادثات عسكرية أو غير عسكرية في لبنان لإسرائيل أن ترحل من لبنان فقط.

من جهة أخرى هذه الحرب الدائرة (على شعبنا في الجنوب) اليوم خصوصاً على كوادر حركة أمل ومجاهديها هذه الحرب الدائرة على شعبنا في الجنوب ألم تعلموا؛ ألم تسمعوا؟ أننا نزرع أجسادنا في الأرض والقطاف آتٍ هو التحرير هذا القطاف آت وعبثاً تحاولون وللمرة الأولى في التاريخ أن تلجأوا إلى الأمم المتحدة لتقولوا نحن على استعداد للانسحاب شرط أن توقف العمليات ضدنا نقول لا. . . سنلاحقكم حتى آخر شبر من تراب الجنوب. هذه العفوية اليوم هذه التظاهرات لا أحد يعتقد أنها استنكار لمقتل محمد سعد وخليل جرادي ونحن لا نستنكر أبداً مقتل أبطالنا محمد سعد أحد صانعي المقاومة الوطنية محمد سعد شيخ المقاومة الوطنية في الجنوب محمد سعد قتلكم وقتلتموه. قتلكم في صدوركم وقتلتموه غدراً. أرسل السيارات وأرسلتم التفخيخ فما أغباكم وأنذلكم واجبنكم وما أشجعه وما أقواه وأقدسه. هذه التظاهرات تعبير بسيط جداً عن تخاذل العرب وتآمرهم وعن الضوء الأخضر العربي الذي

---

(٢٢) جريدة السفير، ٨/ ٣/ ١٩٨٥م.

أعطي لإسرائيل. استثنوا سوريا البطلة والجزائر الشقيقة والكل يتآمر على الجنوب لكننا سنرفع راية العرب والإسلام أيضاً. كنا نثور إذا جرحت كرامة عربي وإذا انتهك شبر عربي من أي أرض عربية. إننا الآن نثور لكرامتكم نثور لهزيمتكم نثور للكرامة التي افتقدتموها وللهزيمة الأميركية التي ألحقت بكم وهل وصلت بكم الأمور أن فقد الدم العربي منكم أيها الأعراب أيها المنافقون؟ لقد أعماكم البترول الأسود. تطلعوا إلى الدماء الحمراء النقية في الجنوب التي تعيد لكم قحطان التي تعيد لكم علي التي تعيد عمر بن الخطاب التي تعيد لكم الشرف العربي. ما بالكم لقد نسيتم الإسلام ونسيتم العروبة ونسيتم كل شبر من أرض الجنوب وكل شبر من أرض العرب لماذا؟ لأن البترول الأسود غطى أعينكم لن نسكت عنكم بعد الآن فوالله لن نسكت عنكم بعد الآن لأنكم والحكم اللبناني صنوان.

يتساءلون لماذا الدولار؟ سأقول لكم لماذا الدولار ـ لماذا الدولار أصبح بعشرين ليرة؟ لأنه آخر معاركهم ضدكم لقد جربوا كل الوسائل جربوا الأطلسي وجربوا «نيو جرزي» والمتعددة الجنسية وجربوا قوات الطوارىء شمال الليطاني وجربوا ١٧ أيار وجربوا العرب وجربوا الخلاف بين حزب الله وحركة أمل وجربوا الخلاف بين السنة والشيعة وجربوا الخلاف بين المسلمين والمسيحيين وجربوا الكانتونات وجربوا وجربوا ولما فشلوا في كل هذا لم يبق إلا الاقتصاد لم يبق إلا الإمعان في حرمانكم لم يبق إلا قتلكم إقتصادياً إنها لعبة النظام وإسرائيل فليفتح الملف السياسي وليحصل الوفاق السياسي وعندئذٍ يتدنى هذا الدولار فليحصل الوفاق السياسي إذا ما أرادوا أن يبتزونا وأن يعيدونا إلى العام ١٩٤٣ فأنني أقول لهم لا يخاف المبلل من الشتاء نحن الفقراء نحن المحرومين نحن أولاد أبي ذر لا نملك الدولارات ولا يهمنا الدولار نحن نعيش من فتات يومنا نحن كما قال المسيح (ع). نعيش يومنا قوت يومنا لا يهمنا تكديس الأموال تركناها لكم تركناها للطائرات الرابضة وإيجارها من الشعب تركناها للأسلحة التي اشتريتموها لتقتلونا. اشتريتم الأسلحة بدمائنا وعدتم لتنزفوا دماءنا بها. افتحوا الملف السياسي وليحصل وفاق سياسي ولتلغ الطائفية السياسية وليصبح كل لبناني أخاً للبناني وليعش كل لبناني مع أخيه ولتفتح

الطرق ولتوقف الجباية والرسوم في الدوائر العقارية ولتوقف رسوم المرفأ ولتعزز الليرة اللبنانية وعندئذٍ سوف ترون أن زراعة الجنوب وفاكهته وحمضياته وإهراءات البقاع التي كانت تكفي لتمويل روما تكفيكم وتأكدوا أن لا خوف أبداً على الأقتصاد اللبناني الخوف هو منكم لأنكم أنتم ضد هذا الشعب. أما بالنسبة إلى الجنوب والدفاع عنه فلماذا تقولون أنه لا يوجد جيش. يوجد جيش من يقول يوجد جيش من يقول أننا في حاجة إلى دبابات وطائرات؟ نحن بحاجة إلى كلاشنكوف نحن في حاجة إلى آر.بي.جي. والرشَاشَات اللازمة باسم الجيش وقيادته وضباطه وجنوده أقول له أننا على استعداد لقتال اسرائيل فلم تكن المشكلة في يوم من الأيام من الجيش بل كانت من القيادة السياسية المارونية هذه القيادة التي كانت تريد أن يكون الجيش خانعاً أن يكون للبعثات الرسمية أن يكون الجيش فقط للتنزه. أن يكون الجيش في أميركا. ممنوع أن يذهب إلى سوريا ممنوع أن يذهب إلى إيران الإسلام ولكن مسموح أن يذهب إلى إيران الشاه هذه هي الحقيقة. نقول باسم الجيش باسم هؤلاء الجنود باسم الضباط الرابضين هناك على الحدود والذين لا يملكون سلاحاً على الإطلاق ألفان وثلاثماية جندي في الجنوب أتعلمون كم عدد المصطفين في مواجهة العدو ١٨٠ جندياً فقط لا يملكون العتاد. هذا الجيش جيش لبنان نحن لسنا في حاجة إلى أحد إلا الله عز وجل وإرادتنا ووحدتنا وتكاتفنا نحن اللبنانيين نحن سنلقن إسرائيل ذلك الدرس الذي تخاذل عنه العرب مئة وثلاثون مليون عربي تخاذلوا عنه وكان الحكم اللبناني يقول. قوة لبنان في ضعفه.

لله أبوهم أي ضعفٍ، لله أبوهم ثكلتهم أمهاتهم. هذا هو لبنان الذي سيحرر جنوبه وترابه وهو الذي سوف يكون المثل لجميع الثوار. إن شعبنا يريد الحياة لا بد أن يستجيب القدر وألف رحمة ورحمة على محمد سعد وخليل جرادي وكل شبل في الجنوب وكل شخص في الجنوب وكل جبهة في الجنوب ونحن سنلتقي في الجنوب أعدكم أيها الأخوة والأخوات سنلتقي في الجنوب ولن يكون لإسرائيل أي عميل. وجيش لحد ماذا صار للحد. أصبح في اللحد كانوا يقولون أن جيش لحد يصلح لتأمين الحماية

في الشريط الحدودي وقبل أن يصلوا إلى الشريط الحدودي أصبح لحد وجيشه منهارين. نعم على اسرائيل أن تختار إما أن تبقى هي في الجنوب وليس بواسطة أقنعة واتحدى أن تبقى بنفسها وإما عليها أن ترحل ضحكوا على الدنيا كلها أنهم يريدون أمن الجليل أين أمن الجليل. أين أمن الجنوب. أرضي وشرفي وسوف أهدر كل كرامة الدنيا في سبيله إذا كانوا قد اشتروا جلَّ العرب وإذا اشتروا دماغ العرب وتحكموا بأكثر العالم واستطاعوا على غفلة أن ينفذوا إلى الشعب اللبناني فهذا الشعب استفاق والأخوة المسيحيون استفاقوا والجميع يرغبون في التحرير والإسرائيليون يفرون في الجنوب اتعلمون كيف يسيرون في السيارات في الجنوب غير المحرر إنهم يسيرون بسرعة ٩٠ كلم يطلقون النار في الهواء كأسوأ الميليشيات يسرقون وينهبون الأموال ويقتنصون الآن. علمنا من أين تعلم الناس هنا هذه العادات الآن علمنا من أين صدرت لنا هذه النماذج من أمن الجليل كانوا يطمحون أن يفتتوا لبنان وأن يمزقوه شيعاً وطوائف ومنه ينفذون إلى العالم العربي أما بعد الآن فهم وحدوا لبنان على قتالهم وعلى كرههم ونحن على أتم استعداد لتحرير جنوبنا ولنا موعد هناك فلنستعد جميعاً ولنتأهب ولسنا في حاجة إلا لله عز وجل ولنتذكر دماء شهدائنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

٣ ـ ماذا بعد تفجير حسينية معركة

استلم المسؤولية التنظيمية لحركة أمل في معركة حيدر خليل وهو ثالث القادة بعد محمد سعد وخليل جرادي ولا يختلف عن خليل وجرادي بصلابة الموقف.

وكان أمن حركة أمل قد أتهم شخصاً يدعى علي فرج بتآمره مع إسرائيل في تفجير الحسينية وتم اعتقاله وحسب تحقيقهم أنه اعترف لهم بالجهاز اللاسلكي الذي استعمله في التفجير. وتم تصوير شريط فيديو له وهو يمثل الجريمة.

وكان الشهيد خليل جرادي قد كتب له عدة رسائل يدعوه فيها لإصلاح نفسه وواحدة منها كانت مع ابن عمه بعد الاعتقال وقد كتبت بالحبر الأحمر الناشف.

ولم تمض على اعتقاله أيام حتى أخذت حركة أمل في معركة قراراً بطرد خمسة منازل من آل فرج وبعد المهرجان الأول لمجزرة الحسينية والذي قال فيه القائد داوود داوود المسؤول التنظيمي لحركة أمل في الجنوب إن العميل علي فرج سيعدم في ساحة معركة أمام العالم.

بعدها بأيام قليلة قتل علي فرج عند جسر الشهيدين محمد سعد وخليل جرادي (جسر القاسمية) ولم يفصح عن طريقة قتله. مما أثار جدلاً كبيراً وفي أوساط أن العاطفة دفعت بمحبي محمد سعد وجرادي دون علم القيادة.

وكان القائد حيدر خليل قد تسلم مسؤولية المنطقة الرابعة في حركة أمل وكان كثير التحرك بين القرى ويمر على حواجز قوات الطوارىء الدولية السنغالية بكل ترحاب لكن الأمر تبدّل بعدما استبدلت القوة السنغالية بقوة فرنسية فكلما مرّ على حواجزهم افتعلوا له المتاعب وكان يرد عليهم لماذا لم تفعلوا ذلك مع الإسرائيليين وهو ممنوع عليهم التواجد في أماكن تواجدكم. وكان هذا يزعجهم جداً. إلى أن توجه في آب من عام ١٩٨٦ لحضور اجتماع قيادي في بدياس في منزل القائد داود داود فاوقف على حاجز القوات الفرنسية في مدخل العباسية الغربي فنزل مرافقه حسن دهيني وفتح صندوق السيارة وهو يهم بدخول السيارة امطرت السيارة بالرصاص من جندي فرنسي يتمركز فوق برج للمراقبة فقتل القائد حيدر خليل ومرافقه حسن دهيني على الفور.

وفي معركة هاجمت حركة أمل القوات الفرنسية المتمركزة في موقع قوات الطوارىء في حي كرم الداهوق وفي بلانة العين في الشرق بمختلف الأسلحة ولأكثر من عشر ساعات أسفرت عن جرح عدد من الجنود الفرنسيين الذين لم يخرجوا من مخابئهم طيلة المواجهة وقتل من حركة أمل علي الحاج علي.

وقد اتهمت حركة أمل الفرنسيين بوجود متعاملين مع إسرائيل بين صفوفهم.

المجالس الاختيارية والبلدية

١ ـ المجالس الاختيارية

تعاقب على المجالس الاختيارية في معركة كل من المختارين قاسم حسين خليل، أمين علي حسن، أحمد حسن الحاج، محمود عبدو طراد والحاج محمد قاسم وإبراهيم طالب (لشهرٍ واحد)، عبد المنعم زين (العضو الأكبر سناً)، محمود أمين قاسم، عبدالله يوسف خليل وهو أول مختار يفوز بعد خسارة مرشح الإقطاع. بعد وفاته استلم عبد اللطيف زيدان العضو الأول وبعده تسلم مكانه العضو الثاني أحمد محمد خليل سعد الذي استمر حتى الانتخابات الاختيارية في العام ١٩٩٨م. وحيث ان القانون حدد العدد بأربعة مخاتير فقد فاز كل من يحيى زين وجواد عبدالله يوسف خليل وعلي سعد وحسن حسان. ولعبت حركة أمل دورها في دعمهم ونجاحهم مقابل عدد من المرشحين المدعومين من الأحزاب وآل الخليل والأسعد وحزب الله.

ولم يكن الفارق شاسعاً بين الطرفين المتنازعين في عدد الأصوات إذ تفوقوا بالعشرات فقط على: ناصر حجازي، حسين عبدالرضا سلمان، نبيه خليل، أحمد حسين محمود خليل، عضو، علي قاسم، علي طالب زيدان، علي عجمي وأحمد سعيد روميه.

٢ ـ المجالس البلدية

عام ١٩٨٨م صدر مرسوم بإنشاء بلدية معركة إلا أن الصراعات الداخلية العامة والعائلية والحزبية والمحسوبية جعلتها لا تتفق على مجلس بلدي لا بالتعيين ولا بالترشيح، فتولى إدارتها قائمقام صور الأستاذ حسين قبلان.

أما في الانتخابات البلدية العامة في لبنان عام ١٩٩٨م، فقد تنافست لائحتان: أحداهما من حركة أمل والثانية من الحزبيين والمنتمين لآل الخليل والأسعد وحزب الله.

وقد فازت اللائحة المدعومة من حركة أمل برئاسة الدكتور سعد الله روميه وعضوية الأستاذ محمد حسن روميه وفؤاد سعد وحسن فرج وفؤاد عبدالأمير سلمان ومحمد الحاج علي وحسن زيون وإبراهيم ذيب وقاسم حجازي وشريف خليل وعلي حمود، ويوسف زيدان وناصر نجم وعلي سليمان وخليل طراد. وتوزعت النتيجة بين ١٦٣٧ صوتاً و١٣٥٠ صوتاً.

ويعتبر هذا المجلس الأول في معركة.

الفصل الخامس

الحركة الثقافية والأدبية والعلمية

الحركة الثقافية والأدبية

١ ـ المكتبات

يوجد عدد من المكتبات الكبيرة عدا الصغيرة التي تضم بين المئة والألف كتاب، وما أكثرها. أما الكبيرة فأهمها مكتبة العلاّمة السيد فخر الدين أبو الحسن نزيل الغازية بعد وفاة والده العلامة العلم السيد عباس أبو الحسن وفيها أكثر من خمسة آلاف كتاب بينها كتب قيمّة ومخطوطات نادرة، وتليها مكتبة العلامة الشيخ حسن طراد إذ تناهز الأربعة آلاف كتاب ويغلب على المكتبتين الطابع الإسلامي ففيهما كل ما كتبه علماء المسلمين عبر العصور. وتليهما مكتبة الدكتور حسين زيدان المتنوعة المصادر والمراجع وتجمع بين القديم والحديث في جميع العلوم، وفيها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب عدا المجلات والجرائد التي تملأ غرفة بكاملها. وهناك مكتبة الأستاذ حسن حجازي وتحوي كتباً قيمة ومتنوعة تفوق الألفي كتاب وأخيراً مكتبة الأستاذ محمد علي خليل، وفيها الكتب المختلفة القديمة الإسلامية والحديثة وكتب في السياسة والشعر والأدب.

٢ ـ الأمسيات الثقافية

كانت تقام في معركة منذ القديم أمسيات ثقافية في بيوت العلماء

والشعراء أمثال الشاعر الكبير الشيخ علي زيدان والشاعر الشيخ عباس البلاغي والعلامة الشيخ عبدالكريم مغنيه والحاج إبراهيم زين. إلاّ أن هذه الأمسيات لم تخرج إلى الوجود في إطار منظم ذي أهدافٍ تخدم الثقافة في منظورها البعيد. فكانت تقام مناظرات دون أن يعمل على تدوين وتوثيق هذا العمل، ولم يتبادر إلى الذهن بناء هيكلية لمؤسسة تهتم بالنتاج وجمعه ونشره ويكون دورها الريادي في توجيه وتحريك الطاقات الاجتماعية والسياسية.

٣ ـ جمعية الأمل الرياضية الثقافية

في مطلع الستينات، وبعد أنْ هدأت أحداث ١٩٥٨، رأى الشباب في حركة القوميين العرب والبعثيين أن يوجدوا لهم مقراً يتحركون من خلاله في العمل السياسي والاجتماعي والثقافي وتكون لديهم الحماية القانونية وهم ليسوا بعيدين عن نادي التضامن. فكانت فكرة العمل على تأسيس نادٍ أو جمعية أطلقوا عليها بادىء الأمر «فريق الإتحاد»، وفي العام ١٩٦٦م نالوا ترخيصاً باسم جمعية الأمل الرياضي الثقافي. ساهمت هذه الجمعية في نشاطات ثقافية كثيرة وفي مهرجانات وندوات وأمسيات، كما لعبت دوراً مهماً في رفع اسم معركة عالياً على المستوى الرياضي في الجنوب خاصة ولبنان عامة وكان لها الدور السياسي البارز في مواجهة الاقطاع السياسي. وأسست لإنشاء مجلة «البراعم» التي صدر منها عدد واحد. وقامت بمشاريع انمائية عديدة كشق طرق زراعية وتعبيد طرق أخرى وساهمت في بناء الثانوية وملعب كرة القدم وغيرهما.

٤ ـ مكتبة الشهيد خليل جرادي

أنشئت بعد تفجير حسينية معركة واستشهاد خليل جرادي فيها،

وأحدث إستشهاده إيماناً من رفاقه في متابعة ما بدأه من نشاطات ثقافية كان يدعو إليها اسبوعياً على مستوى عامة الناس في قاعة الحسينية أو على مستوى الخاصة في مكتبه الخاص في الطابق العلوي منها حيث قاعة كبيرة للمحاضرات ـ حضرتُ أغلبيتها كانت توجيهاته ومداخلاته تؤكد على وجود مجتمع واع يقاوم ليصمد ويبقى ويستمر.

قامت هذه المكتبة بمحاضرات وندوات عديدة وكانت تجمع إليها العديد من المثقفين من معركة والوافدين من القرى المحيطة إلا أنها أوقفت عملها في مطلع التسعينات لعدم قدرة القيمين عليها على المتابعة.

٥ ـ الحركة الثقافية في لبنان

بدأت في ٢٢ آب ١٩٨٨م عندما دعا يوسف عبدالله الشعراء في معركة أولاً إلى منزله وباسم مجلس الشعر العاملي[١] وقد ناصروا الفكرة وعملوا لها بإحياء اللقاءات والأمسيات الشعرية والمحاضرات الثقافية على مستوى الجنوب[٢]. بعد فترة عقدت الهيئة التنفيذية اجتماعاً وأخذت قراراً بتعديل الإسم وعُرف بالمجلس الثقافي العاملي. في هذا الوقت كنا نحشد جمهورنا للأمسيات العاملية في

---

(١) مؤرشفة في محاضر الجلسات وأشرطة الكاسيت والصحف.

(٢) الشاعر أحمد سعد (أبو عصام)، **هجرة وهجير**، ص ٢٩؛
- مجلس الشعر العاملي تقام أمسياته مساء كل يوم جمعة في منزل الأستاذ يوسف عبد الله جرادي في معركة ويحضره كبار الأدباء والشعراء والمثقفين من أكثر المناطق اللبنانية ويستضيف أكثر وألمع المحاضرين في لبنان.
- العواصف، ١٩٩٠/٦/٢٩؛
- حسين حجاري، العواصف، ١٩٩٠/١٠/١٩.

صور التي أسسها الأستاذ حسين شرف الدين وكانوا يحشدون جمهورهم إلينا، وقد أثمر هذا التعاون لمصلحة الثقافة في الجنوب حيث لم يظهر غير هذين المجلسين.

أوائل العام ١٩٩٠ وأمام هذا النجاح اجتمعت الهيئة التنفيذية في المجلس الثقافي العاملي وأخذت قراراً بتغيير الإسم مجدداً ليصبح الحركة الثقافية في جبل عامل(٣).

أوائل آب ١٩٩٠ سافرتُ إلى الإمارات العربية المتحدة. أبو ظبي لشهر واحد، وعند عودتي زارني صديقي رئيس تحرير مجلة العواصف في تلك الفترة الأديب والشاعر الأستاذ بلال شرارة ويرافقه الشاعر السوري زهير غانم. وقد قال الأستاذ بلال: أنت سافرت وتعطل العمل الثقافي، أجبته: ولكني عدت وقد انتهت المشكلة. قال: لقد عرضنا على الأستاذ حسين شرف الدين فكرة إنشاء مؤسسة ثقافية فرفض لأنه يفضل أن يحمل اسم رائد الأمسيات العاملية. ثم سأل وأنتم؟: قلت: نحن مؤسسة وأنتم تعملون؟ وتشاركون في أنشطتنا. بعد ذلك توجهت الأنظار إلى الحركة الثقافية في جبل عامل وانقطع المثقفون عن الأمسيات العاملية، وخرجت الحركة الثقافية إلى القرى والبلدات لتستوعب الحالة العامة. وفي الرابع عشر من أيلول ١٩٩٠ وفي نهاية ندوة في معركة جرت اقتراحات بتعديل الاسم ليصبح الحركة الثقافية في لبنان(٤).

في ١٩٩٥/٦/١٦ حزيران دعونا لمهرجان في حسينية الرجال

(٣) حسين حجازي العواصف ١٩٩٠/١٠/١٩؛ العواصف، ١٩٩٠/١١/١٦؛ الأمين أحمد حسن، السراج المنطفىء صفحة ٧١، ١٩٩٣.

(٤) العواصف، الجمعة ١٩٩٠/٩/٢٩.

وأعلنا رسمياً عن الحركة الثقافية في لبنان وقام تلفزيون إليسار بالتغطية الإعلامية، وفي اليوم التالي أي ١٧/٦/١٩٩٥ حزيران أعلن رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه برّي، في لقاء مع مثقفي النبطية والزهراني في مجمع نبيه بري الثقافي في تلة الرادار، الدعوة إلى المشاركة في الحركة الثقافية في لبنان[٥]. لكنّ حركة أمل في معركة قاطعت وحاولت جاهدة أن تمنع عقد المهرجان في الحسينية كما حذّرت أبناء البلدة من الحضور وتم عقد المهرجان بحضور مئتين وخمسين شخصاً من خارج معركة. بعد ذلك بدأت الحركة الثقافية نشاطها واتخذت لها مقراً مؤقتاً في المركز الثقافي العاملي التابع للنائب الحاج أحمد عجمي مفترق طريق العباسية ثم نُقلت إلى بناية حسين قشور رئيس بلدية صور لثلاث سنوات فإلى مركزها الخاص في صور بناية البدوي. وهي الأقوى حتى اليوم على الساحة اللبنانية نشاطاً واستيعاباً وانتشاراً وما كانت لتنهض بالصورة التي هي عليها لولا همة الأستاذ الكبير بلال شرارة، الإعلامي اللامع والأديب الشاعر، مدير عام الشؤون الخارجية في مجلس النواب والمستشار الإعلامي لرئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري.

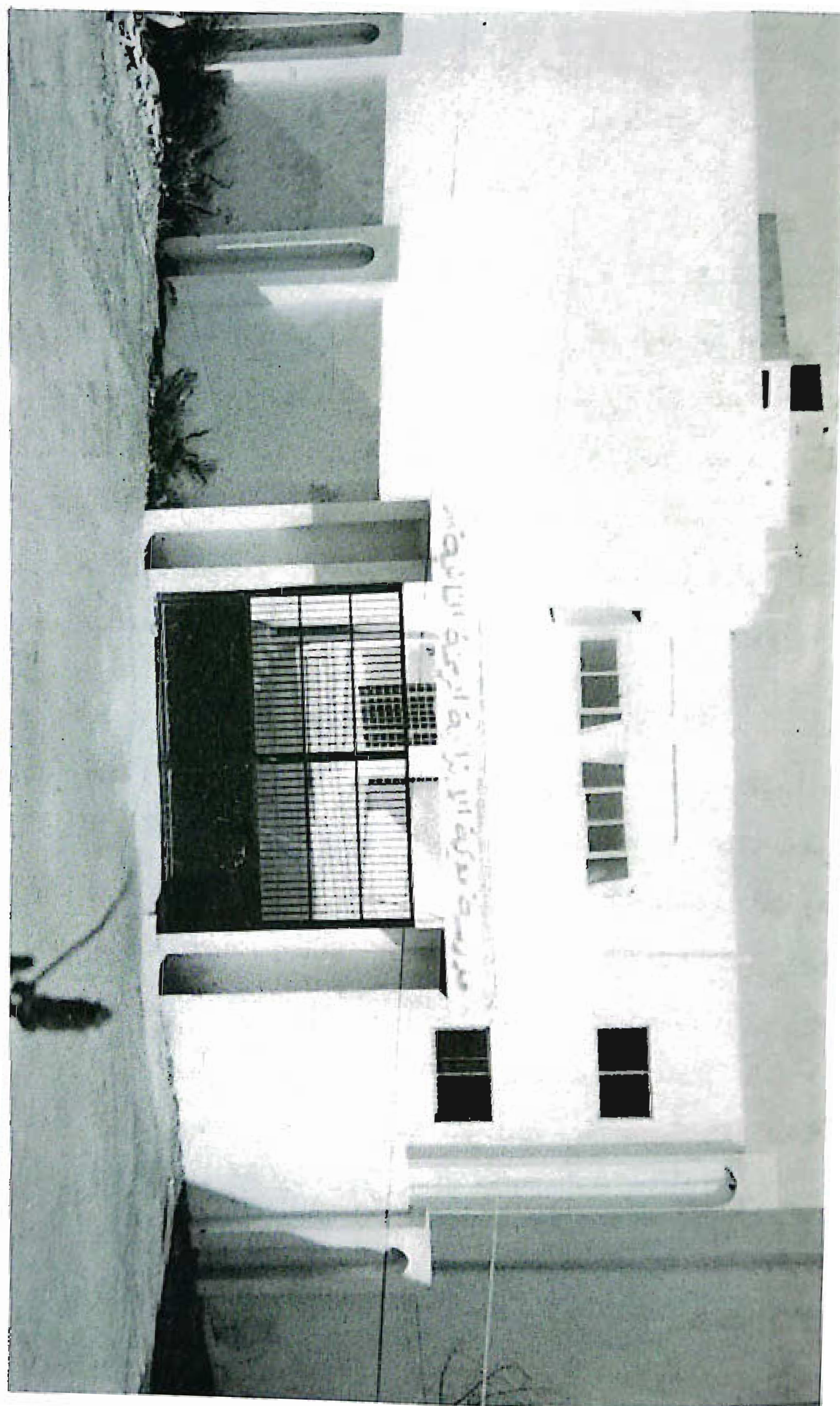
وإن ما تقوم به الحركة الثقافية من أنشطة وما تملكه من أرشيف لا يتهيأ لغيرها في نصف قرن. وهي أول من كرّم المثقفين والفنانين في حياتهم والأولى في تاريخ لبنان إذ التقى فيها كل مثقفي لبنان. ففي لقاءاتها العامة أو في هيئتها الإدارية يجتمع العديد من طرابلس وزحلة وراشانا ومرجعيون وبيروت وقب الياس وعين زحلتا وصيدا وجبيل وبنت جبيل والخيام وصور ومعركة وغيرها.

---

(٥) العواصف، الجمعة ٢١/٦/١٩٩٥.

المدارس

مع ان المدارس في جبل عامل قديمة إلا أننا لم نعرفها في معركة إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر، بدأها الشاعر الشيخ علي زيدان فكانت محج الطلاب من خارج معركة لأهميتها وكانت تعتمد أصول القراءة والكتابة والصرف والنحو وتعليم الحساب وتجويد وحفظ القرآن. استمرت المدرسة بعطائها حتى وفاته عام ١٨٧٢م، وحين انقطع عنها إلى مدرسة شقراء الشهيرة بطلب من صاحبها السيد علي الأمين المعروف بالطمطام، بقيت المدرسة مفتوحة حيث استنابه تلميذه الشيخ محمد طالب فسار بها على نهج أستاذه الكبير وكان من طلابه نجيبٍ عسيران من صيدا وغيره توفي سنة ١٩٠٧م. وفي العام ١٩٠٨ افتتحت مدرسة الشيخ زينو زيدان وفي العام ١٩١٥ مدرسة الشيخ علي فاضل من قرية دبعال ثم افتتح الشيخ محمد أمين شرارة مدرسة وهو من بنت جبيل. وقيد نفوسه الحالي في معركة ـ جاء أول أمره إلى قرية طورا وأنشأ فيها مدرسة ثم تركها إلى معركة حيث سكن في بيت الحاج خليل أمين في الحارة التحتا، ثم نقلها إلى بيت محمد سعيد صوفان وأرسل ولده عبد المنعم إلى النجف. ولما عاد ولده أقام في معركة بعد وفاة الشيخ عبدالكريم مغنية واستأجر ديواناً من الحاج أبو حسن والد الأستاذ حسين حجازي قرب الجامع الفوقاني وحوله مدرسة. وبعد مدة بنى بيتاً كبيراً اضطر إلى بيعه إلى



المدرسة الابتدائية الرسمية الثانية

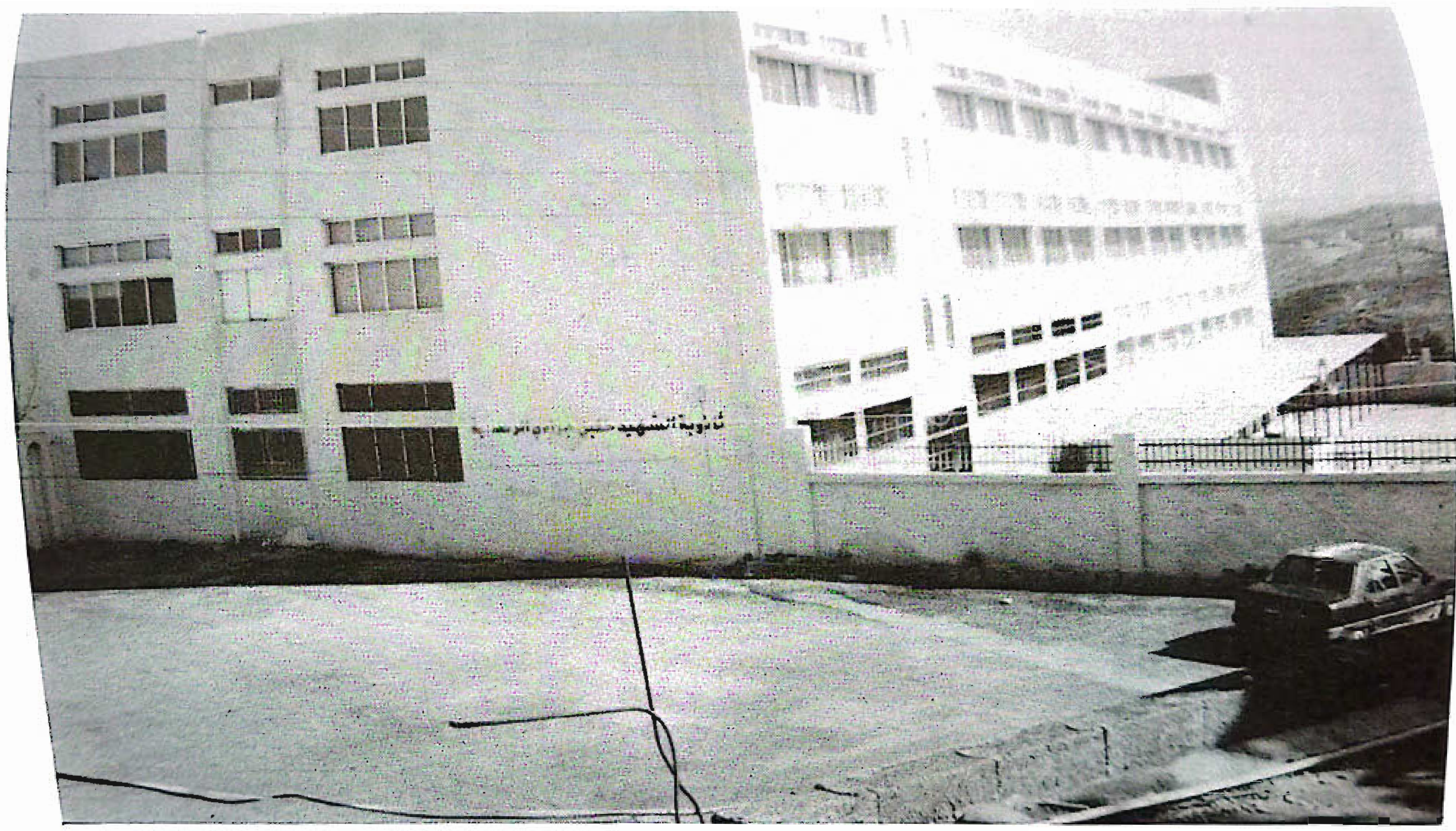
الحاج علي حسين حجازي (أبو عاطف) وغادر إلى يانوح لوصية تركها له سعيد الفارس (صاحب المطرية) من أسرة آل علي الصغير مشترطاً عليه عدم بيعها لآل الخليل، ثم باعها إلى الحاج عبد صوفان من جويا بمبلغ سبعمئة ليرة فلسطينية[1].

وتوالت مدارس عدة، كان أهمها مدرسة السيد محمد أبو الحسن والد العلامة السيد عباس أبو الحسن والد العلامة السيد فخر الدين أبو الحسن والعالم السيد إبراهيم أبو الحسن، ثم مدرسة الشيخ أسد الله زيدان، ومدرسة الشيخ حيدر سعد ومدرسة محمد خليل سعد وآخرها مدرسة محمد يوسف أحمد لتنتهي المدارس القديمة وتحل محلها المدارس العصرية التي اعتمدت التنوع في المواد واللغات.

في العام ١٩٤٤م. افتتحت مدرسة معركة الإبتدائية الرسمية بأستاذين هما: فندي صعب وكمال بيضاوي الذي أصبح فيما بعد رئيساً للدائرة التربوية في صيدا، وبغرفتين مستأجرتين عند يعقوب سعد وفاق عدد طلابها الأربعين. وفي مطلع الخمسينات زودت المدرسة بأساتذة جدد، وكانت بإدارة الأستاذ جميل بيرم. وفي عهده زاد عدد الطلاب إلى ١٢٠ طالباً وعدد الغرف إلى ست، وخرّجت أول دفعة من حملة الشهادة الابتدائية (السرتيفيكا) عام ١٩٦٦م. وفي العام ١٩٦٢م أصبحت مدرسة متوسطة وخرّجت سنة ١٩٥٥م دفعة أولى من حملة شهادة الدروس الابتدائية العالية (البروفيه). وزاد عدد طلابها على الأربعماية وخمسين طالباً وطالبة وعدد مدرسيها ٢٢ مدرساً. وكانت تضم عدداً من طلاب القرى المجاورة من جناتا

---

(١) السيد محمود جواد خليل، الحاج موسى عبدو طراد.



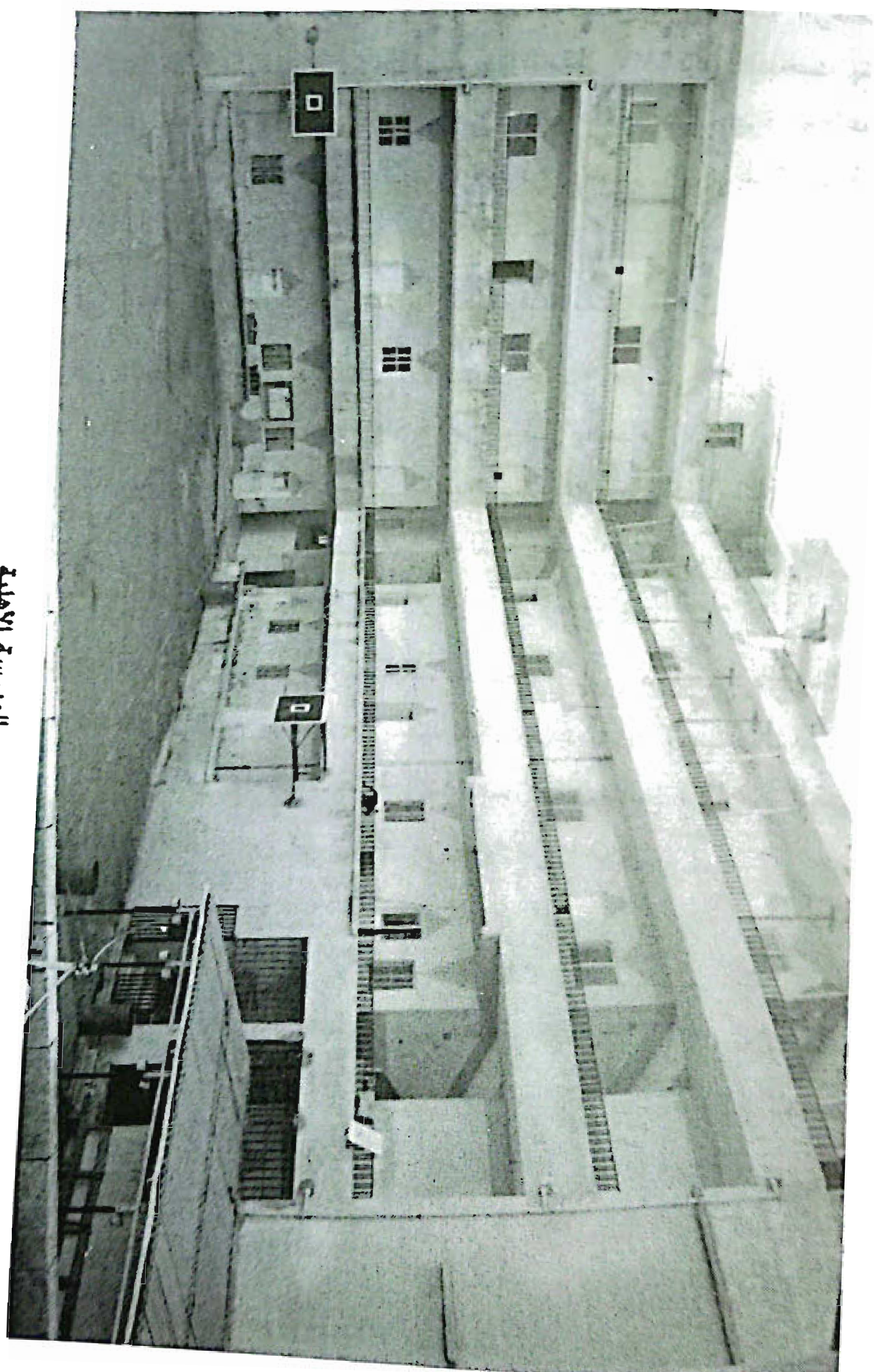
مبنى ثانوية الشهيد خليل جرادي

وطورا ويانوح وطيردبا وباريش. وفي العام ١٩٧٨م افتتحت الثانوية الرسمية بفرعيها البكالوريا والفلسفة وكانت تضم مئتي طالب وطالبة ومديرها الأستاذ عبداللطيف سعد من بعده الدكتور هاني روميه وكان عدد مدرسيها ١٥ مدرساً. في العام ١٩٨٤ تم فصل الابتدائية عن المتوسطة وأصبح لكل منهما بناء خاص ومدير. فالمتوسطة في المبنى القديم للمدرسة الرسمية التابعة لوزارة التربية ـ ومديرها الأستاذ عبدالله عيد وقد خلفه فيما بعد الأستاذ جميل سعد ـ والابتدائية في القزحة في البناء المستأجر من حسين أحمد حاج خليل ومديرها الدكتور حسين زيدان ـ وفي العام ١٩٩٦م تم تقسيم الابتدائية إلى قسمين: الابتدائية الأولى، لغة فرنسية ـ ومديرها الأستاذ سليم حجازي، والابتدائية الثانية ـ لغة انكليزية ـ ومديرها الدكتور حسين زيدان. وفي العام ١٩٩٨م أعيد دمج الابتدائية وعين الأستاذ سليم حجازي مديراً لها.

أما عدد الطلاب فقد ارتفع في الثمانينات وتضاعف في التسعينات، ففي الابتدائية أكثر من ثمانمئة طالب وطالبة وحوالي أربعماية طالب وطالبة في المتوسطة، وفي الثانوية أكثر من ثمانمئة طالب وطالبة في بنائها الجديد في ثانوية الشهيد خليل جرادي ومديرها الحالي الأستاذ عبدو شحيتلي وكانت قبلاً في البناء المستأجر من أحمد بلاغي ومديرها الدكتور هاني روميه. وفي العام ١٩٩٦م انتقلت إليها المدرسة المتوسطة وأقفل البناء القديم ـ المدرسة الرسمية التابعة لوزارة التربية.

المدارس الأهلية

في العام ١٩٦٠م افتتح الأستاذ عاطف حجازي مدرسة أهلية واستأجر بناءها من الحاج أبو بشير حاج علي قرب الساحة التحتا.



المدرسة الأهلية

وكانت تضم طلاباً من معركة وخارجها، وتساوي المدرسة الرسمية عدداً لكنها تفوقها شهرة وعطاءً. وفي العام ١٩٧٧م أصبحت بناء ضخماً على مساحة واسعة، تتألف من أربعة طوابق ومجهزة بملاعب حديثة وحدائق للصغار والكبار، وقد وصل عدد طلابها في الثمانينات إلى ثمانمئة وخمسين طالباً وطالبة.

وفي العام ١٩٦٤ أدخل عليها الصفوف المتوسطة.

وفي العام ١٩٨٦م افتتح الأستاذ حسن موسى طراد مدرسة الآداب وأقفلت في العام ١٩٩٧م. وفي العام ١٩٩١م افتتح الأستاذ ناصر سليمان المدرسة العلمية الحديثة بإدارة الأستاذ الأعرج ووصل عدد طلابها إلى الأربعمئة طالب وطالبة. وفي العام ١٩٩٦ افتتح محمد علي زيدان المدرسة الزيدانية وأقفلت في العام ١٩٩٨م.

ظلت معركة حتى أواخر الستينات تحتاج إلى معلمين من خارج البلدة. أما في السبعينات وما يليها فإن عدد أفراد الهيئة التعليمية غطى مدارسها ويُساهم بنسبة النصف في بعض مدارس القرى المجاورة وبنسبة الثمانين في المئة من مدارس أخرى.

الحركة العلمية والتأليفية

مدخل

ونحن نتحدث عن التاريخ العاملي الثقافي والسياسي والعسكري، نجد صعوبة في تقويمه وتوضيح حدوده ومعالمه خاصة ما كان قبل حملة أحمد باشا الجزار سنة ١١٩٥هـ ١٧٨٠م. فلا يمكن التوسع والتفصيل لبعد العهد وقلة المصادر واندثار الكتب العاملية التي تحولت رماداً في أفران عكا. إذ لم يسلم إلا ما ندر من الكتب التي تعدت جبل عامل في عصرها إلى غيره من البلدان الشيعية كاللمعة والمدارك والمكاسب والمعالم والوسائل وأدب المفيد والمستفيد وأمل الآمل والخلاصة والصمدية والكشكول والمخلاة. وما إليها من نفائس علمية وأدبية لا تزال إلى يومنا هذا أوثق مصدر وأعذب مورد لطلاب العلم والأدب في مدارس الشيعة أينما كانت. وأما في العهد الذي جاء بعد موت الجزار فكان أن استيقظ العامليون ووعوا مصيرهم بعد ما لحق بهم من قتل وتشريد ونزل بهم من بلاء وترويع. وخسروا علماءهم وتراثهم وجمعتهم المصيبة، فوحّدوا صفوفهم وهبّوا متحابين مخلصين لترميم ما درس من أطلال وإحياء ما سلف من عهود علمية وأدبية. وقد كان لهذا الاتجاه صداه فيما بعد وأثره في تأسيس المدارس التي لعبت دوراً مهماً في توجيه

الأفكار نحو الحياة العلمية وعملها المؤثر في إحياء الروح الأدبية، وتوطيد الأسس لنهضة مباركة قام بها أولئك اللامعون من أدباء هذا الدور وعلماء ذلك الجيل كالشيخ علي زيدان والشيخ ابراهيم صادق والشيخ علي السبيتي والشيخ عبدالله نعمه والشيخ محمد علي عز الدين والشيخ موسى شرارة والسيد محمد علي إبراهيم والسيد حسن يوسف والشيخ محمد سليمان والشيخ محمد حسين شمس الدين والشيخ موسى مغنيه. ممن رفعوا لواء النهضة العلمية والأدبية في هذا الجبل وأحيوا عهداً زاهراً تغلبوا فيه على شتى العوامل الهدامة التي أوشكت أن تجتاح اللغة والعلوم والآداب العربية في بيئتهم وطائفتهم، ولو أنه تسنى لهم ما قد تسنى لغيرهم في عصرهم من الاتصال بمثل معاهد اليسوعيين والأميركان واستخدام مطابعهم ومكاتبهم وتنوع ثقافتهم إلى كل ما يغذي المطامح العلمية والفنية لكان لهم في عالم النهضة الفكرية والأدبية أثر غير هذا الأثر وشأن غير هذا الشأن.

والبرهان على صحة هذا الزعم نبوغ السيدة زينب فواز العاملية من قرية جويا صاحبة كتاب «الدر المنثور» ورواية «حسن العواقب» عندما هاجرت إلى مصر واتصلت بمثل هذه البيئات العلمية.

ثم نبوغ حسن كامل الصباح من النبطية في دنيا العلم والإختراع عندما تهيأ له من معاهد أميركا ومختبراتها ما ساعده على تحقيق أحلامه واختراعاته التي تجاوزت الإثنين والسبعين اختراعاً في التلفزة والطاقة الكهربائية والشمسية وما إلى ذلك.

وبالرغم من ضياع وحرق العديد من المؤلفات العاملية إلا أن المتوفر منه في المكتبات كان يعادل خمس ما كتبه علماء المسلمين مجتمعين.

ومعروف أن جبل عامل يعرف بجبل العلماء وبجبل الشعراء فذلك يعني أن كل قرية من قراه يتواجد فيها أكثر من عالم وشاعر في آنٍ واحد. . . وعلى مر الأجيال والعصور. وقد ساهمت معركة قديماً وحديثاً بأن قدمت وتقدم كوكبة من علمائها وشعرائها أغنت التراث العاملي في شتى ميادينه الأدبية والفكرية ومن أهمهم.

١ـ الرعيل القديم

ـ الشيخ أبو القاسم علي بن علي بن جمال الدين محمد بن طي المعروف بالفقعاني، نسبة إلى فقعين وهي أرض واسعة من أراضي معركة من نواحيها الجنوبية، دمرها الجزار في هجومه على جبل عامل حيث كانت من أملاك السيد محمد الأمين كما يقول السيد محسن الأمين في خطط جبل عامل. حيث لا تزال آثار البيوت والآبار المهجورة ومقبرة تدل على ذلك. ويحدثنا كبار السن عن بيوت هناك بدون أسقف لغاية ١٩٢٠م. عاش الفقعاني أيام آل بشارة في زمن حسام الدين بشارة وتوفي عام ٨٥٥هـ.

ذكره صاحب «أمل الآمل» في القسم الثاني المعد لغير علماء جبل عامل، فقال: علي بن طي كان فاضلاً يروي عنه محمد بن داود العاملي: ومثل ذلك يتأتى من نسبته إلى فقعين ولم تكن معروفة كقرية. فلو نسب لمعركة لما وقع الأشكال حيث أن السيد محسن الأمين وحده الذي عرّف فقعين في خططه كقرية أو مزرعة لعلمه أنها من أملاك عمه السيد محمد الأمين. والظاهر أن ملكيتهم لها جاءت عن طريق الصدر الأعظم التركي وفي «رياض العلماء» لصاحبه الشيخ محمد بن مهدي مغنيه ـ مخطوط: انه من علماء جبل عامل وان له رسالة في العقود والإيقاعات، وكتاب المسائل الفقهية فرغ منه سنة ٨٢٤هـ وقد جمع فيه مسائل وفوائد من نفسه ومسائل وفتاوى أخذ

فيها من غيره. قال في أوله: أما بعد فإني أستمد من الله المعونة وتيسير المؤونة على جمع مسائل كتاب المسائل، كل مسألة في كتابها المختصة به وأضيف إليها من غيرها مسائل أخرى هي مسائل الشيخين الأمامين المرحومين ابن مكي وابن نجم الدين، أسكنهما الله في أعلى غرف الجنة بحرمة النبي والأئمة، وهي مرتبة على عدة كتب ومقاصد.

وفي تكملة أمل الآمل قال في آخرها: تمت المسائل المفيدة بالألفاظ الحميدة لذوي الألباب والبصائر السديدة في مسائل السيد الأمجد نجم الدين والسيد بدر الدين حسن بن أيوب المعروف بابن نجم الطراوي العاملي. وفي زاد المعاد للمجلسي نقلاً عن كتاب «زوائد الفوائد» للسيد علي بن طاوس في أعمال ربيع الأول أنه أورد خبراً حديثاً في اتخاذ يوم التاسع منه يوم عيد، وساق الحديث بطوله إلى أن قال في آخره: قال صاحب زوائد الفوائد كتبت هذا الحديث من خط علي بن علي بن جمال الدين محمد بن طي رحمه الله والظاهر أنه صاحب الترجمة نسبة إلى جده كما يقع كثيراً، وفي ذلك دلالة على أنه معروف وبالفضل موصوف وهو من تلاميذ أحمد بن محمد بن فهد الحلي. كان عالماً فاضلاً أديباً وشاعراً، ومن شعره قصيدة يرثى بها شيخه المذكور ويصف بها كتابه المهذب البارع. وفي مجالس المؤمنين لعلي بن طي هذا قصيدة يتشوق فيها إلى رؤية ابن فهد ومصاحبته وذلك قبل تتلمذه عليه منها:

معاقرة الأوطان ذل وباطل — ولا سيما إن قارنتها الغوائل

فما العز إلا حيث أنت موفر — وما الفضل إلا حيث ما أنت فاضل

وما الأهل إلا من رأى لك مثلما — رأيت وإلا فالمودة باطل

إذا كنت لا تنفي عن النفس ضيمها فأنت لعمري القاصر المتطاول
يعز على ذي النفس أن يستفزه إلى حيث لا يرضى له العلم ذاهل
يرد عليه القول والقول قوله وينكر منه فضله المتطاول
ألا أن هذا الدهر لم يسم عنده من الناس إلا جافل العقل ذاهل
فقم شد سرج الحزم من فوق سابحٍ يفوت الصبا منه على الشد كاهل
وعرج على أهل العراق ميمماً إلى بلدٍ فيه الهدى والفضائل
أنخ بنواحي بابل بعراصها فثم مقامٍ دونه النجم نازل
وحي فتى طال السحاب بطوله وجاء بما لم تستطعه الأوائل

ـ **الشيخ عبدالله بن محمد الفقعاني العاملي**: ترجمه صاحب كتاب أمل الآمل في الجزء الأول ص ١١٣ بأنه عالم فاضل عابد زاهد صالح محقق، كان شريكاً لنا في الدرس على جماعة من مشائخنا منهم العم الشيخ محمد الحر العاملي سكن أصفهان إلى الآن (حوالى العام ١٠٧٣هـ).

ـ **الشيخ زين الدين علي الفقعاني العاملي**: كان عالماً فاضلاً صالحاً ورعاً من تلاميذ الشيخ علي بن عبدالعال الميسي. كما ورد في كتاب أمل الآمل ـ الجزء الأول صفحة ٩٢.

ـ **الشيخ أحمد المازحي المعركي العاملي**: ذكره السيد محسن الأمين في الأعيان ص ١٦٦ في الجزء التاسع من المجلد الثامن والتاسع قائلاً: له أسئله للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي، سأله عنها سنة ٩٦٦هـ فأجابه عنها وجدنا منها نسخة مع أجوبتها في كربلاء سنة ١٣٥٢هـ وهي تقرب من مائة مسألة

وأجوبتها بطريق الفتوى دون ذكر الدليل، ووجدنا نسخة منها مع أجوبتها في المكتبة الرضوية المباركة.

ويقول الأمين: والمازحي لا نعلم هذه التسمية إلى أي شيء وفي قريتنا شقراء بئر يظهر أنه كان قربه خان يسمى بئر مازح. انتهى قول الأمين.

ولو علم الأمين أن آل مازح سكان معركة من زمن بعيد، وأن لهم فيها ما يدل على آثارهم من مسجد كبير يعرف بالمسجد التحتاني أو مسجد آل مازح ومقبرة واضحة المعالم. قبورها مبنية بحجارة منسقة أحسن تنسيق وبينها نصب من حجر كبير لرجل معمم يعرف عند الناس بقبر القاضي. ظللنا نراه لمنتصف السبعينات حيث اختفى وقيل بيع لتجار الآثار، والناس تعرف كل هذا بالمشافهة جيل عن جيل. لو علم الأمين بذلك لنسب الشيخ أحمد المازحي حكماً إلى معركة بتحقيق هذين الشرطين والثالث بالمشافهة.

وآل مازح أسرة عاملية قديمة عاصرت آل بشارة والوائليين وآل شكر، وكانت تسكن في قرية معركة. ويظهر وبالتأكيد أنهم في حملة الجزار عام ١٧٨٠م تركوا معركة إلى باريش وطرفلسيه.

ولا تزال آثارهم في معركة حتى الآن ممثلة بمقبرة تعرف بمقبرة آل مازح وبالمسجد التحتاني المعروف بمسجد آل مازح.

وقد حدثني السيد محمود جواد خليل الذي ناهز الخامسة والتسعين من عمره قائلاً: بعد أن فرغنا من صلاة الظهر خلف العلامة الكبير الشيخ عبد الكريم مغنية حوالي عام ١٩٣٠م تحلقنا حول الشيخ تحت نخلة المسجد التي يزيد عمرها عن الثلاثماية سنة ونيف، ودار بين الشيخ وخليل ابراهيم سعد الذي كان معاصراً

للشيخ علي زيدان حديث حول المسجد فقال خليل ابراهيم سعد: اتدري يا حضرة مولانا الشيخ من أصحاب هذا المسجد؟ قال الشيخ من؟ قال: هذا المسجد لآل مازح ولهم أيضاً مقبرة في منتصف الجبانة ودلّ عليها، وقد نزحوا من معركة إلى باريش وطرفلسيه. قال السيد محمود: ومع ذلك فقد كان شائعاً هذا بين الناس.

- **الشيخ علي زيدان. توفي سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧٢م**: كان عالماً كبيراً فاضلاً، أديباً وشاعراً، ذكره الشيخ محمد بن مهدي مغنيه في كتابه «جواهر الحكم» (مخطوط) فقال: أصله من عرب البادية من بني صخر تحضر جده من بلاد صفد ثم ارتحل عنها إلى قريته معركة من أعمال صور في زمن «نصار الأحمد بن علي الصغير» فتوفي فيها ونشأ ولده ناصر، وتقرب عند بعض أمراء العشائر وهو الشيخ مقبل من آل علي الصغير فأقطعه قطعة أرض بالقرية المذكورة لمعاشه وبقي بها إلى أن مات وتخلف بولدين: محمد الأكبر وكان عبداً صالحاً والشيخ علي صاحب الترجمة.

قرأ أولاً في جويا على الشيخ محمد علي الخاتوني وتقدم في علم النحو على أقرانه، واجتمع بالسيد المقدس البحر الطمطام السيد علي أمين. فسأله السيد فوجده كما يجب فقال له انتقل إلى شقراء فارتحل إليها. وقرأ على السيد مدة وجيزة ثم مارس مهنة التدريس مكانه لانشغال السيد عن مداومة الدرس ببعض العوائق. تعرفت به حكومة عكا حتى صارت له الوجاهة التامة عند عبدالله باشا. ويقول السيد محسن الأمين في «الأعيان»: سمعت من بعض الثقات انه لم يقرأ إلا على الشيخ حسن قبيسي: في إنصار وعلى السيد جدنا يقصد السيد علي الأمين.

وفي كتاب جواهر الحكم أن الشيخ علي زيدان كانت بينه وبين

عائلة بيت الزين اختلافات على أراضٍ وأملاك واتصلت لولاة الأمور. وحصل التشكي على أمير جبل عاملة حمد البك بسبب أنه منع بيت الزين عن الشيخ وصدهم وأقره على الأرض المدعى عليها ونصره وأخذ بيده. لذلك حقدوا على البيك حمد المحمود وتشكوا عليه لبيروت وتفصيل هذا يطول شرحه.

وكان رجل اسمه محمد طراد، له دعوى على أحد أهالي القرية (معركة) فترافعا عند الشيخ علي زيدان، فأعطى محمد طراد فتوى أو حكماً، فتشكى للحكومة وأبرز الفتوى فأخذها القاضي وقدمها للمتصرفية، فجاء أمر مشدد مكدر بأخذ الشيخ تحت الاستنطاق وإجراء قاعدة النظام لأن من يفتي بغير رخصة من خليفة المسلمين فعليه الجزاء الأشد، ولم أكن يومها في صور (الشيخ محمد بن مهدي مغنيه). ولما حضرت وعلمت ما نمت تلك الليلة حتى أخذت مضبطه من مجلس الإدارة والدعاوى وإنهاء من القائمقام بحق القاضي. وبعد ثمانية أيام جاء أمر بعزل القاضي وهو رجل من أعيان وذوات القدس وأظهرت له الأسف، ولم يكن في وداعه أحد في صور غيري وبالحقيقة هو من الإجلاء من أهل العلم من أجل بيت في القدس لكن غشه أهل الغايات. ولما علم الشيخ علي زيدان بعزل القاضي تخوف كثيراً وقام يشكر الشيخ مغنيه بأن بعث له بهذه الأبيات.

منيع الحمى لاغبث يوماً عن الحمى ... ولا عاش من يقلوك إلا مذمما
عداك الردى كن للمكارم فاعلاً ... فاني أرى فعل المكارم مغنما
فكن للفتى صنواً وللمنتشي أبا ... وذي العجز والتقويس بالكبر ابنما
إذا ما الفتى لم يرع حقاً لمن وفى ... ومن لا يفي لم يرع للمجد محرما

ويقول السيد محسن الأمين في الأعيان في المجلد الثاني والأربعين من الصفحة ١٨٥: حدثني الحاج محمد مبارك وكان من أتباع آل علي الصغير قال: تقدمت مضبطة في الشكاية على علي بك ومحمد بك وقع فيها السيد محمد الأمين والشيخ علي زيدان والحاج محمد بزي والحاج حسين فرحات ومحمد الجوني، فأرسلها ولاة الأمور إلى البكوات وطلبوا منهم توقيع مضبطة من هؤلاء الجماعة بضدها، فركب محمد بك من الطيبة ليلاً وأخذني معه وكنت صغير السن فلما وصلنا شقراء نزل قريباً وأرسلني إلى دار السيد محمد الأمين وقال: قل له يقول لك أخوك محمد بك وقع هذه المضبطة وأختمها؟ فقال لي وأين هو محمد بك قلت خارج القرية. فأراد أن يذهب إليه، فقلت له مستعجل ولا يرضى بذهابك إليه فوقعها، وركب محمد بك وأنا معه قاصداً بنت جبيل حتى وصلنا وعرة بيتمون فسمعنا حساً على الطريق وجلسنا بين الشجر وإذا بالحاج محمد بزي والحاج حسين فرحات ومحمد جوني. فقال لي قم وادعهم، فدعوتهم فحضروا وأخرج شمعة فأنارها وأمرهم بختم المضبطة فامتثلوا ومضوا لحال سبيلهم، وعدنا إلى الطيبة فأرسل إلى الشيخ علي زيدان يدعوه ولم يعلم الشيخ لماذا دعاه، فلما حضر طلب منه توقيع المضبطة وختمها فأبى وقال: أنا لا أكذب نفسي فألح عليه فأصر وقال لا يمكن أن أكذب نفسي فقال البيك لبعض أتباعه ائتني «بالقرابينا» فقال الشيخ وما تريد منها قال: أريد قتلك قال لماذا؟ قال: لأنك لم توقع المضبطة قال حقاً أنك تريد قتلي قال لا مناص عن قتلك إن لم توقع المضبطة، فقال يا رب أنك تعلم أني مقهور ووقعها: فلما وقعها قال له يا شيخنا أظننت أني أقتلك لو لم توقعها قال والله لقد اعتقدت ولولاه لم أوقعها. قال يا شيخنا لا يبلغ الحال بنا إلى هذا وما كان قصدنا إلا مجرد التخويف قال لو علمت أنه تخويف ما وقعتها. ثم أمر له بفرس

من جياد الخيل وطربوش وعمامة وجبة وقباء وقميص وسراويل وعباءة وبابوج وخمسمائة فرش.

ويحكى عنه أنه كان يتقعر في كلامه ويتكلم العربية الفصحى ويأتي بغريب الألفاظ، فكان يوماً مع الشيخ محمد علي الخاتوني في سفر فتأخر عنه الخاتوني ومرَّ هو على رجلٍ فلاح يستقي على بئر فقال له يا أيها الرجل استق لنا خصواً أو خصوين لنسقي هذه الرمكة فلم يفهم الفلاح كلامه وسمع خصواً أو خصوين فقال أما تستحي وأنت شيخ تتكلم بكلام الفحش؟ فأعاد عليه العبارة ووقع الشر بينهما فجاء الخاتوني وسأل ما الخبر فقال له الفلاح أن الشيخ يخاطبني بكلام فيه فحش فقال ماذا قلت له؟ فأخبره فلامه وقال له املأ لنا دلوين لنسقي الفرس. فقال هكذا تكلم ككلام الأوادم...

والشيخ علي زيدان محطة تستوقفنا طويلاً ونحن نبحث عن تاريخ قرية معركة، إنه الشيخ الشاعر، العالم والمدرس، واحد من كبار علماء وشعراء جيله في كل عاملة، ذاع صيته في كل الأمصار حتى كان محج الزائرين من قريب وبعيد، من علماء وزعماء، من أدباء وشعراء. ففي كتاب ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي لصاحبيه محمد رفعت ورفيق التميمي التركيين. يقولان، وقمنا بجولة في جبل عامل ومن صور توجهنا إلى قرية معركة ونزلنا عند الشيخ علي زيدان فوجدنا عنده الشيخ والشاعر حبيب الكاظمي وعلمنا أنه مقيم عنده. فتباحثنا معه في أمور كثيرة، في الدين والسياسة والأدب والشعر والعادات والتقاليد.

وبحديثنا عن الشيخ علي زيدان ندخل معركة التاريخ العاملي من بابه الواسع، فتاريخ الشعوب تراثها من أدب وشعر وفن، ذلك الذي يصنع حضارتها ويصقل انسانيتها.

- **الشيخ علي زيدان الشاعر**: لقد ترك ديواناً كبيراً بخط يده، وقد سألت عنه الدكتور حسين زيدان فقال: إن الديوان كان عند السيد محسن الأمين وهو اليوم في مكتبته في الشام وقد كتب عليه بخط يده «وقف لآل زيدان».

ومن شعره مخمساً.

بجدواك آمالي يراش جناحها لأخبار جودٍ عنك تروى صحاحها

لك الراحة البيضاء يرجى سماحها ولي حاجة قد غاب عنها نجاحها

وجـودك أوفـى كـافـلٍ بـقـضـائـهـا

أغث مستجيراً لا يزايله العنا وأجزل له النعماء يانعة الجنا

فيا واهباً أدنى مواهبه الغنى عطاؤك لا يفنى ويستغرق المنى

ويـبـقـى وجـوه الـراغـبـيـن بـمـائـهـا

أنلني من الدارين أعلى سعادة وخذني إلى نهج لأفضل قادة

وإن تـأب إمـدادي بـكـل إرادة شكوت وما الشكوى لمثلي بعادة

ولكن تفيض النفس عند امتلائها

ومن مراسلاته للسيد محمود وعلي الأمين من قصيدة طويلة هذه الأبيات.

خليليّ جاد الغيث روض حماكما ولا أوهنت أيدي الزمان قواكما

ولا برحت تهمي على القرب والنوى بغيثين من علم وجود سماكما

ولا عـجـب إن جـئـتـمـا بـفـرائـدٍ وجـاريـتـمـا بـحـر الـعـلـوم أباكـمـا

فأحرزتما التقديم في حلبة العلى وقـصـر أهـل الـفـضـل دون مـداكـمـا

وقطعتما يا كوكبي آل هاشم قلوباً على ضغن طوتها عداكما
قضى الله لي من فضله كل حاجة ولا زال يرعاني إذا ما رعاكما
لقد شق عن أصلٍ كريم سماكما كما شق عن حمد وأمن سماكما
وإني على ما حزته من فضائلٍ تقاعد عنها الطالبون سواكما

ومن قصيدة يرثي بها ولده محمد الأكبر.

ظعنوا الغداة واخلفوك الموعدا فغدا سوام النوم عنك مشردا
ما زال للأشجان قلبك معهداً مذ أخلت الأظعان ذاك المعهدا
هل تجمع الدنيا بهم شملي وهل تروي لي الأحلام عنهم مسندا

إلى أن يقول من نفس القصيدة...

لا تعذلي يا جارتا ذا لوعة لولا الجوى ما بات يرعى الفرقدا
عصبت يد الأيام مني مهجة كانت قناة في يدي ومهندا

إلى أن يقول:

أترى درى من كان يجهل ما الردى أن المنايا قد أصبن محمدا
علم الزمان الوغد أنك فوقه مجداً وأنك مصلح ما أفسدا
قد كان ليلي من صباحك أبيضاً فغدا نهاري من مصابك أسودا

ومن قصيدة أرسلها للشيخ عبدالله نعمة.

ألا قل لمن في سفح لبنان قد قطن لجنات عدن في مواطنكم وطن
لعمري لقد مدت عليكم جناحها حواضن فاقت في العلى كل من حضن
فأوريتم زنداً وأثريتم يداً وراشت جناح المجد منكم يد الزمن

بأبيض يستسقى بطلعته الحيا وأفضل عن ساحاته العلم ما ظعن

ثم يقول:

هو البحر عبدالله نال من العلى مناقب لا يأتي عليهن من فطن

هو البحر إلا أن لجّته تقى هو الغيث من غير الفضائل ماهتن

ثم يقول:

ففي صدره بحر وفي كفه حيا يجيشان فيضاً من علوم ومن منن

إلى أن يقول:

تطلع من أفق العراقين بدره وفي الدار من لبنان طاب له الوطن

وقال مخمساً.

أمي لحب الوصي المرتضى انتسبت به عن النفس يمحو الله ما اكتسبت

فازت وما يدها في حبه تربت لا عذب الله أمي أنها شربت

حب الوصي وغذتنيه باللبن

سنت ولاه فيا لله من سنن تجري عليه كمقرونين في قرن

نيطت يداي بحبل منه لم يهن وكان لي والد يهوى أبا حسن

فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

ومن قصيدة يرثي به حمد المحمود حاكم عاملة ويمدح خلفه ابن أخيه خلفه علي الأسعد وهي مؤلفة من اثنين وتسعين بيتاً ومطلعها:

قفوا نسقها منا الدموع السواكبا منازل للأقمار أمست مغاربا

ديار عفت منها الطلول وطالما حبسن على ساحاتهن الركائبا
كأن لم تلح فيها الدراري ولم يكن حماها لفتيان المعالي ملاعبا

ثم يقول:

فتىً كان طوداً للمعالي وغارباً فجب الردي منها سناماً وغارباً
فتى مارس الأيام حتى تهذبت فلم تلف ذا عيب ولم تلف عائبا
فتى كان يقري السامعين فصاحة كما كان يقري الوافدين مواهبا

ومن قصيدة يرثي بها السيد علي الأمين وأخيه السيد أحمد والشيخ جعفر كاشف الغطاء ونجله السيد علي ويعزي السيد محمد الأمين ويمدحه ويعزي أخاه السيد محسن وابن عمه السيد كاظم ويرثي الإمام الحسين ع.

منازل أروى كيف أقفرت من أروى تبدلت طلح الغور من بانتي حزوى
منازَل أقمار أفلن وطالما حبسن على ساحات أعتابها نضوا
وقفنا بها نستنجد الدمع والأسى عليها بأحشاء على البين لا تقوى
وقد قلن للوجناء جدا فإنما خلقت لغير الشيح والحوض والمثوى
وللركب إنضاء نشاوى من السرى وقوفاً بأطلال المرابع من أروى
وللظاعن العجلان طارت به النوى حنانيك سر بي عن منازلكم رهوى
عزيز على من عزه الصبر أن يرى منازل من يهوى على غير ما يهوى

- **الشيخ عباس البلاغي**: هو ابن الشيخ عبدالله بن عباس الربعي من ربيعة العاملي وأصلهم من النجف عاش في معركة وله فيها أملاك وبيت سكن هو اليوم خراب قرب الجامع الفوقاني.

وقد أخبرني الحاج وجيه زين أن الشيخ توفيق البلاغي ابن الشيخ عباس البلاغي كان يتردد كثيراً على السيد عبد الحسين شرف الدين في صور ولعله السبب في إقامته بصور.

يقول عنه السيد محسن الأمين في الأعيان (المجلد السابع والثلاثين) من الصفحة السادسة والسابعة والثلاثين؛

(كان شاعراً أديباً مجيداً فطناً حاضر الجواب لطيف النادرة مكفوف البصر منور البصيرة، تعاطى صنعة الشعر فأكثر ومدح الأمراء والحكام والكبراء وأجازوه. رأيناه وعاصرناه وتوفي ولم يبلغ الخمسين وقد أخبرني أحمد بلاغي أن الشيخ عباس البلاغي قد أرخ وفاة كامل بك الأسعد في الشام في مقام السيدة زينب ع. ومن هنا يظهر لنا أن الشيخ عباس توفي بعد هذا التاريخ حيث أن كامل الأسعد توفي عام ١٩٢٥م).

ومن نوادره أن وجيهاً لقيه وقد حمل لحماً ومعه عظام كثيرة فقال له. يا شيخ عباس هل الكلاب في ضيافتك الليلة؟ فقال نعم أو ما جاءتك ورقة الدعوة!. وقضاياه ونوادره كثيرة ومن شعره قوله من قصيدة يرثي بها السيد محمد الأمين منها هذا البيت:

شبل العفرني لا يكون نعامة ومن النعامة ما تولد عثلم

وقوله في أبيات يعتذر فيها إلى الشيخ موسى شرارة عن إبطائه في زيارته:

فيا موسى إذا لم تعف عني فقم واضرب بفضل عصاك هامي

وقوله في العشارين:

طغت سفهاء عامل في البلاد وفيها أظهروا كل الفساد

لقد ظلموا العباد ولم يخافوا من الرحمان في ظلم العباد
إذا «العشار» وافى نحو قومٍ تراهم هائمين بكل وادي
لقد عاثوا بعاملة فساداً كأنهم بقايا قوم عاد
من التقدير أهل الملك أضحت تحيي بالسلام على الجراد
وأن بكا الأرامل واليتامى له لأن الأصم من الجماد
فكم نادت بذل واستجارت ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال مخاطباً السيد أبو الحسن الأمين.

أيا بدراً تكامل في الدياجي ويا باب السخاء لكل راجي
أتيت إليك من بلدٍ بعيدٍ فقم واذبح لنا طير الدجاج
فقم واذبح لنا طيراً سميناً إذا ما فاتنا ذبح النعاج
وإن تبخل أبا حسن علينا «نشحر» رأسكم في قاع «صاج»

- **السيد اسماعيل الصدر**: هو السيد اسماعيل بن محمد بن صدر الدين بن صالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن علي بن نور الدين أخي صاحب المدارك ابن نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الأصفهاني الكاظمي العاملي المعروف بالسيد اسماعيل الصدر.

ولد سنة ١٢٥٨ هـ بأصفهان وتوفي بالكاظمية يوم الثلاثاء في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ ودفن في الرواق الشريف.

أصل أبيه من جبل عامل من قرية شدغيث أو مزرعة شدغيث وهي حي من أحياء معركة من ذلك اليوم، هاجر منها والده مع عائلة آل الصدر وشرف الدين في حرب الجزار إلى العراق وإيران ورأس

بها وصار له جاه عظيم، ثم توفي بها أبوه وعمره خمس سنين فتربى في حجر أخيه السيد محمد علي المعروف بآقا مجتهد فقرأ عليه النحو والصرف والمنطق والبيان وبعض الأصول والفقه حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره، فتوفي أخوه فتكفل تدريسه الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب حاشية المعالم فقرأ عليه شرح اللمعة. وفي سنة ١٢٨١هـ حج الشيخ محمد باقر فتوجه السيد إلى النجف الأشرف بقصد حضور درس الشيخ مرضى الأنصاري. فلما وصل كربلاء جاء خبر وفاة الشيخ مرتضى فدخل النجف في أيام فاتحته فحضر على الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء وحج سنة ١٢٨٢هـ وبعد رجوعه اعتلت صحته فذهب إلى أصفهان لتغيير الهواء وأقام بها مدة وحصل له فيها جاه عظيم، فخرج منها مظهراً أنه يريد الذهاب إلى بعض القرى. ورجع من هناك إلى العراق ولم يعد إلى أصفهان وكان ذلك سنة ١٢٩٤هـ. وفي سنة ١٣٠٠هـ سافر إلى خراسان ثم عاد منها وفي سنة ١٣٠٧هـ طلبه أهل جبل عامل للذهاب إليهم بعد وفاة الشيخ موسى آل شرارة فأبى. ثم انقطع إلى الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي الشهير تلميذ الشيخ مرتضى وهاجر إلى سامراء بعد مهاجرة الميرزا إليها فكان بها إلى سنة ١٣١٤هـ بعد وفاة الميرزا بسنتين. ثم هاجر إلى كربلاء لأسباب قاهرة وقطنها وقلده جماعة في إيران والعراق وغيرهما ثم عاد في أواخر عصره إلى الكاظمية حتى وافاه أجله بها. وكان على جانب عظيم من التقوى وحسن الأخلاق، متواضعاً لا يحب الشهرة. يمشي وحده ليلاً ونهاراً ولا يحب أن يمشي معه أحد. وكان كثير الاحتياط في فتاواه وله كتابات غير مدونة والكلام للسيد محسن الأمين[1].

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٢ ص٧٩.

عاصرناه وعاشرناه ويحكى عن بعض مشاهير عصره كلام في علمه. له أربعة أولاد كلهم علماء أجلاّء وجلّهم فحول فقهاء أكبرهم السيد محمد مهدي المتولد سنة ١٢٩٦هـ والسيد صدر الدين محمد علي المتولد سنة ١٢٩٨هـ والسيد محمد الجواد المتولد ١٣٠١هـ، والسيد حيدر المرتضى المتولد سنة ١٣٠٩هـ والمتوفى سنة ١٣٥٧هـ. وكتب الشيخ مرتضى آل ياسين على قبره أبياتاً وتاريخها لمولده السيد صدر الدين وهي:

لئن بك أخفى القبر شخصك في الثرى فهيهات ما أخفى فضائلك القبر
لقد كنت سر الله بين عباده ومن سنن العادات أن يكتم السر
فطوبى لقبر أنت فيه مغيب فقد غاب في أطباق ترتبه البدر
ولست بمستسق له القطر بعدما غدا بثراه اليوم ينتجع القطر
تخيرت صدر الخلق مأوى فأرخوا من الخلد اسماعيل طاب له الصدر

أخذ عنه الميرزا محمد حسين النائيني النجفي المشهور والشيخ غلام حسين المرندي الحائري والشيخ موسى الكرمانشاهي الحائري وغيرهم. ويروي بالإجازة عنه جماعة منهم الميرزا أبو طالب الموسوي الشيرازي صاحب كتاب أسرار العقائد والسيد محمود الحسيني المرعشي التبريزي والشيخ محمد حسين ابن محمد خليل الأمامي الشيرازي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ..

- **السيد أبو جعفر بن السيد صدر الدين الشدغيثي العاملي الأصل الأصفهاني المولد والنشأة:** ذكره السيد محسن الأمين في الأعيان ص ١٦٩ من الجزء السادس توفي سنة ١٣٢٠هـ

أمه بنت الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، كان سيداً جليلاً

فاضلاً متعبداً صالحاً قرأ على علماء أصفهان واختص بالسيد أسد الله ابن السيد محمد باقر وكان صهره. وتتلمذ عليه في الفقه وكتب فيه وعرضه على أستاذه فكتب عليه ثناء على مؤلفه بالفضل.

ـ السيد جواد بن السيد اسماعيل بن صدر الدين الشدغيثي العاملي الأصل الكاظمي المنشأ توفي سنة ١٣٦٢هـ في الكاظمية. كان عالماً فاضلاً تقياً نقياً فطناً ذكياً فاق الشيوخ والكهول وهو في إبان شبابه وعاجلته المنية[٢].

ـ السيد محمد علي بن صالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن نور الدين الحسيني الموسوي العاملي الأصفهاني: ترجمه السيد محسن الأمين في الأعيان في الجزء السادس والأربعين من الصفحة ١٢٠ حيث يقول:

ولد سنة ١١٩١ هـ في قرية شدغيث بشين معجمة مفتوحة ودال مهملة ساكنة وعين معجمة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وثاء مثلثة آخر الحروف. قرية من قرى جبل عامل في ساحل صور هي اليوم خراب. توفي بأصفهان سنة ١٢٣٧هـ وأوصى أن ينقل نعشه إلى النجف فنقل ودفن في الحجرة التي عند أول باب الطوسي.

هو أخو السيد صدر الدين العاملي الأصفهاني وشقيقه والجد الأدنى للسيد حسن الصدر الكاظمي وهو جد العائلة الشهيرة بآل صدر الدين، وأما فرعها الذي في جبل عامل فنسب إلى جدهم السيد إبراهيم شرف الدين وكان حق الذين عرفوا بآل صدر الدين وهم من نسل السيد محمد علي أخي السيد صدر الدين أن يسموا

---

(٢) الأمين، أعيان الشيعة ج ١٧ ص ٤٠.

بآل شرف الدين لا بآل صدر الدين. هاجر مع أبيه إلى العراق في فتنة الجزار وعمره ست سنوات واشتغل على أبيه ثم على السيد علي صاحب الرياض ثم على السيد مهدي بحر العلوم، ثم على المحقق السيد محسن الأعرجي صاحب المحصول وكان شريك أخيه السيد صدر الدين في كل مشائخه وجميع دروسه.

وقال حفيده في «تكملة أمل الآمل»: حدثني ابن عمي السيد محمد علي بن السيد أبي الحسن أنه رأى عند عمه العلامة السيد صدر الدين مجموعة بخط السيد صدر الدين فيها مسائل من علوم شتى، كان السيد صدر الدين سأل أخاه السيد محمد علي عنها فأجابه عنوانها. سألت أخي الأعز السيد محمد علي عن كذا فأجاب بكذا أكثرها من غوامض المسائل. وكان على جانب من التقوى والورع وله كرامات وأورد فيها بعض المنامات. وقال؛ حدثني والدي عن الثقة العدل الحاج محمد صالح كبه البغدادي أن أهل بغداد على عهد الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء التمسوا السيد محمد علي أن يقيم عندهم ليكون لهم مرجعاً في الأحكام الشرعية. فأجابهم إلى ذلك وأقام عندهم سنتين ولما استقر السيد محمد علي وطلب منه أن يزور الرضا عليه السلام وأن يجيء إلى أصفهان لملاقاته ويجيء معه بالعيال والأولاد جميعاً فرحل بهم سنة ١٢٣٥هـ حتى ورد أصفهان فأقام بها حسب التماس أخيه فلم تطل أيامه حتى مرض ومات بالتاريخ المتقدم. قال وما أشبه هذين الأخوين بالمرتضى والرضى في الأشتراك في الشيوخ وقصر عمر الأصغر فإن الجد عاش ٤٦ سنة على قدر عمر الرضى وتوفي عن ثلاثة أولاد ذكور هم: السيد عيسى والسيد موسى والوالد السيد هادي. وكان عمر الوالد حين وفاة أبيه سنتين لا غير فكفله عمه العلامة السيد

صدر الدين ورباه وأما عماي السيد عيسى والسيد موسى ـ والكلام للسيد محسن ـ سكنا طهران وكانا فيها من أجل العلماء وخصوصاً السيد عيسى فإنه كان ربانياً ذا علوم غزيره لا ينالها إلا الربانيون.

٢ ـ الرعيل الثاني من العلماء والأدباء والشعراء ١٩٥٠ م ـ ٢٠٠٠ م

ـ **الامام السيد موسى الصدر**: هو السيد موسى بن صدر الدين بن السيد اسماعيل الصدر بن محمد. . . . ولد سنة ١٩٢٧م في مدينة قم الإيرانية. أصل جده محمد من قرية شدغيث في مزارع بلدة معركة[٣].

فكانت زيارته للبنان عام ١٩٥٧م ليحل مكان العلامة الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين لوصية تركها، ثم عاد إلى إيران ليعود من جديد عام ١٩٥٩م. وفي عام ١٩٦٦ زار بلدته معركة وبرفقته المرجع الكبير السيد محمد باقر الصدر واصطحبا عدداً كبيراً من الناس لزيارة قبور أجدادهما في مزرعة شدغيث وتكررت الزيارة مراراً. وكان في نية عدد من المؤمنين أن يبنوا للسيد منزلاً في معركة إلا انه كان يرفض أن يمتلك بيتاً وهو يرد: كل بيوتكم بيتي وهناك عند المقبرة انشد الشاعر الدكتور هاني روميه هذه القصيدة:

جمّل الحرف صاغه هاشمي — زعزع الغرب في امتشاق الحسام
عظّم المجد مجده يعربي — ثبت الشرق آية للسلام
جده المصطفى رسول الأنام — جده المرتضى عليّ الكلام
شرّف العلم علمه عالي — قد دنا منه رتبة في المقام

---

(٣) الأمين: محسن: أعيان الشيعة ج ١٧ صفحة ٤٠.

صاحب العصر يا رسول الوئام رعشَة الحشر كنهها للعظام
من ترى أنت في عظات الصيام آيـة الله سـرّهـا فـي الـنـظـام
قـوة أنـت شـعـلـة فـي الـظـلام جاء وقت النفير بعث العظام
إيه شرغيت ابشري في الزحام آن وقت الجهاد بعث النيام
فالفدائي في فلسطين زحف يحمل الراي مشعلاً للأنام
يبذل النفس والنفيس بلاءً وجـهـاداً فـي قـوة واحـتـدام
إيه شرغيث زغردي في ابتهاج جاءك النصر في وجود الأمام
قلت في صور ثم أهلاً وسهلاً فيك شرغيث نفحة من عظامي
في بلادي في فلسطين نور فيه عمر الغضا وفرط السقام
بالصهيون يبتني اليوم قصراً شيدته يد الطغاة اللئام
وعد بلفور حقق الوغد وعداً وسـراجـاً مـرصـعـاً بـالـحـرام
فالعدو الذي يرين علينا يبطن الحقد في ثياب السلام
كيف تقضي على عدو لئيم دأبه الغدر في هديل الحمام
ديننا الحق بالدين قويم يحطم البطل في مضاء الحمام
إنما الدين آية جسدته طاقة الصدر عبرة للأنام
من ترانا سيحمل العبء حقاً ينقذ الطفل طفل تلك الخيام
من ترانا يحوّل النار نوراً أو يبقي الشعب شر ذاك الزكام
إنه الصدر منك فتوى فجهاد الـجـهـاد جـهـاد أمـر الأمـام
عيدنا حين نلتقي في كفاح مستميت كأكؤس من حمام

سيدي الصدر رحمة للأنام جدك المصطفى رسول السلام
حسبك الله تبتغيه ولياً أولياء الإله رمز الوئام
في مجالاتك الفريدة نبل وصفاء وهمة باحتشام
إنما أنت آية للحيارى للوجودي للأنا كالغمام

وكثيراً ما كان يسأل عن هويته في المقابلات الصحفية وكان يجيب: انني لبناني من قرية معركة في جنوب لبنان. ومراراً في مجلة الحوادث اللبنانية قائلاً: انني وكما صرحت مراراً من عائلة لبنانية جنوبية من قرية معركة(٤). انجازاته: تأسيس حركة المحرومين في لبنان والمجلس الإسلامي الشيعي، مؤسسة جبل عامل المهنية في البرج الشمالي، نادي الإمام الاصادق في صور، مدرسة الزهراء في خلدة، مقر المجلس الإسلامي الشيعي في الحازمية، مؤسسة الشهيدين في الشياح.

وفي تاريخ ٢٥ آب من عام ١٩٧٨ ذهب إلى زيارة الجماهيرية الليبية ملبياً دعوة خاصة أتته من العقيد معمّر القذافي رئيس جمهورية ليبيا مع رفيقيه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين واختفى أثرهم. ترك عدداً كبيراً من المحاضرات والخطب والتفاسير القرآنية.

- **المرجع السيد محمد باقر الصدر:** هو ابن عم السيد موسى الصدر وأصل أجداده من مزرعة شدغيث ولد وعاش في العراق. عرف بفيلسوف العصر. قتله النظام العراقي في منزله مع أخته بنت الهدى الأديبة اللامعة التي تركت عدداً وافراً من المؤلفات رغم أنها

(٤) الحوادث، مقابلة في ١٩/ ١٠/ ١٩٧٧.

لم تتجاوز الثلاثين. من مؤلفاتها: ليتني كنت أعلم، القضية تنتصر، امرأتان ورجل على تلال مكة، الباحثة عن الحقيقة، لقاء في المستشفى، كلمة ودعوة وغيرها.

وترك العلامة السيد محمد باقر عدداً من المؤلفات تعتبر أهم ما كتب في القرن العشرين من أهمها: فلسفتنا، اقتصادنا، الاستقراء. وله رسالة عملية معروفة بالفتاوى الواضحة وقد قلده عدد كبير من الطائفة الشيعية في العراق وإيران ولبنان وغيرهم.

ونفذ الحكم العراقي الاعتداء عليهما في نيسان في العام ١٩٨٠م. كما اعتدى بالقتل على معظم أفراد أسرة آل الصدر لاسيما مؤخراً في العام ١٩٩٩م على المرجع الديني الكبير ابن عم السيد محمد باقر الصدر المرجع العلامة السيد محمد الصدر. فالتقى مع الجزار الطاغية الآخر الذي قتل أحد أجدادهم في مزرعة شدغيث واحرقها ودمرها وشردهم منها.

٢ ـ العلماء

ـ العلامة السيد عباس أبو الحسن الموسوي (١٩١٢م ـ ١٩٧٢م): كان عالماً فاضلاً تقياً ورعاً مشرعاً سكن بلدة الغازية قضاء صيدا بإلحاح من وجهائها وأعيانها، وتوفي فيها وترك عدة مؤلفات مخطوطة في الفقه والشريعة، وله أشعار كثيرة وكتاب واحد مطبوع هو «الإسلام في شهر الصيام». وترك من بعده خلفاً صالحاً وعالمين فاضلين هما السيد فخر الدين عباس أبو الحسن والسيد ابراهيم عباس أبو الحسن.

العلامة السيد فخر الدين عباس أبو الحسن الموسوي: عالم فاضل وخطيب ومحاضر بارع حلّ محل والده في الغازية. له مكانة

بين أهل العلم وصيت كبير.

ـ **العلامة السيد ابراهيم عباس أبو الحسن الموسوي**: عالم فاضل تقي ورع محبوب عند الناس لشدة تواضعه وتقربه منهم، طلبه أهل بلدة عين بعال منذ عودته من النجف عام ١٩٨٢ ولا يزال إلى اليوم سنة ١٩٩٩م.

ـ **العلامة الشيخ حسن طراد**: عالم فاضل تقي ورع مجتهد يتخذ من الغبيري مقراً له، خطيب ومحاضر بارع يتمتع بفصاحة عالية معروف على مستوى لبنان والعراق، شاعر مجيد له مؤلفات مخطوطة ومحاضرات مسجلة في أشرطة كاسيت وتباع في المكتبات، له كتاب واحد مطبوع.

ـ **السيد محمد جواد خليل الحسيني**: عالم فاضل وعابد زاهد ومشرع فطن، أقام في معركة منذ عودته من النجف إلى حين وفاته سنة ١٩٨٣م.

وكان له وللسيد عباس أبو الحسن الفضل في المسيرة الحسينية التي تعم شوارع البلدة في اليوم العاشر من المحرم وتشترك فيها النساء والأطفال إلى جانب الرجال. وقد أثمرت كلها في تجميع النفوس في مواجهة الباطل والثورة على مواجهة المعتدين ولا تزال هذه المسيرة آخذة في طريقها.

ـ **الشيخ محمد علي طراد**: عالم فاضل يقيم في معركة منذ عودته من النجف.

ـ **الشيخ أحمد طراد**: عالم فاضل وخطيب جريء على المنابر وقارىء عزاء مشهور، يتمتع بصوت مميز. يقيم في معركة ومعروف في المنطقة.

- **الشيخ مصطفى طراد:** عالم فاضل ذهب إلى العراق طلباً للعلم من العام ١٩٦٨م وما يزال.

- **الشيخ مصطفى الزين:** عالم فاضل، عابد زاهد شديد التواضع كثير الوضوح في معالجة الأمور، يقيم في معركة.

الشيخ علي زيدان (١٩١٠م - ١٩٩٤م): قارىء عزاء وصاحب مجلس لأكثر من سبعين سنة، فقد بصره في عامه السادس فحفظ القرآن وألفية ابن مالك دونَ العاشرة منور البصيرة كثير الدعاء والصلاة.

- **السيد أبو الحسن محمد أبو الحسن الموسوي:** قارىء عزاء مشهور يتمتع بصوت مميز وثقافة دينية وانسانية واسعة، خطيب بارع وشاعر مكثر في آل البيت.

- **السيد شريف محمد جواد خليل:** قارىء عزاء معروف، دام مجلسه لأكثر من أربعين سنة إلا أن مرضه الشديد منعه منذ سنوات عديدة.

الحركة الأدبية في النصف الثاني من القرن العشرين (١٩٥٠م ـ ٢٠٠٠م)

بدأت بجماعة ممن دخلوا المدارس الحديثة إلى جانب ما تعلموه على يد الشيخ على الطريقة القديمة أمثال الشعراء الحاج أسعد سعد والسيد حيدر أبو الحسن والحاج أحمد سعد والسيد أبو الحسن أبو الحسن وغيرهم.

ـ **الحاج أسعد سعد**: أصدر الحاج أسعد سعد باكورته الأولى «نكبة فلسطين» في العام ١٩٥٠م. وفجّر باكورته الثانية انتصار الدم بعد استشهاد ابنه قائد المقاومة البطل محمد سعد في العام ١٩٨٨م، وفيه يصف الجريمة النكراء التي قضى فيها ولده قائد المقاومة محمد سعد:

صعق العالم يوم الكبرياء ... وانحنى الكون لهذا الانحناء
وبدا الناس حيارى جزعاً ... واستحال العذب صاباً بالآناء
لعويل الناس كم كان صدى ... خرق الحجب وآفاق السماء
كل بيت كان فيه مأتم ... أي بيت لم يكن فيه عزاء
أي طود أي ركن قد هوى ... أي فعل فعلوه الجبناء

مهجتي كان لأرباب الحجى قدوة يعمل من وحي السماء[1]

وأصدر ديوانه الثالث عام ١٩٩٥م. «حصانة الشعر وحضارة الفكر».

- **الشاعر الحاج أحمد سعد**: أصدر باكورته الأولى «هجرة وهجير» عام ١٩٩٢م وديوانه الثاني «صدى الأعماق» في العام ١٩٩٧م. يغلب على الديوانين معاناة الشاعر في غربته الطويلة وآلامه لفقد ولده عصام في ريعان شبابه، ومن قصيدة له في دكار في ١٤/١/١٩٤٨م في وصف القهوة:

يا له ساق بوجه قاتم عربي الوجه زنجي السمات
راح يسقيني وما أكرمه كلما لي قال خذها قلت هات
هاتها خمرة أرباب النهى واسقنيها فهي اكسير الحياة
قهوتي تطفح عطراً ولظى من رأى الرمضاء تروي الذابلات
تتجلى بسواد حالك كسواد العين يجلي الحالكات
يسبح الهال على شطآنها كغريق صارعته السافيات

وفي الذكرى السنوية الثالثة لفقد ولده عصام يقول في صدى الأعماق:

هزّني الشوق والقاني الحنين بين آهات وشحوٍ وأنين
ساهر في وحشتي أرعى السهى أرقب الفجر وفجري لا يبين
كل طرف غير طرفي هاجع كيف يغفو مسهد الجفن سخين

---

(١) أسعد سعد، انتصار الدم، (بيروت، ١٩٨٨).

كل قلب غير قلبي وادع   وفؤادي في لظى الوجد رهين

شعراء آخرون

هذا الرعيل من الشعراء شكل مجلساً للشعر في أواخر الثمانينات والتسعينات - ذكرناه في الحركات الثقافية في معركة في نصف قرن حتى بات معروفاً في الأوساط العامة خارج معركة. ومعركة بلد الثلاثين شاعراً لا يسعني إلا أن اسمي معظمهم فخوراً بادئاً بالأكبر سناً وبالذين مارسوا الكتابة قبل غيرهم:

الحاج أسعد سعد، الحاج أحمد سعد، السيد حيدر أبو الحسن، السيد أبو الحسن أبو الحسن، الدكتور هاني روميه، عبد الأمير سلمان، يوسف عبدالله، خليل عجمي، محمد موسى سعد، علي محمود حجازي، نوح حسن وهيب عجمي، حيدر عجمي، مصطفى خليل، حسين مصطفى العبد عبدالله، علي حسن حجازي وغيرهم.

معظمهم نشر في الصحف والمجلات وشارك في المناسبات والمهرجانات. لهم مقابلات عبر الصحف والإذاعات والتلفزيونات. ومنهم متفوق لبنان في برنامج المتفوقين الذي أعده تلفزيون (L.B.C) الشاعر علي محمود حجازي، والمميزون في برنامج الشعر الارتجالي الذي أعده تلفزيون لبنان كالشاعر خليل عجمي والشاعر محمد موسى سعد والشاعر العبد عبدالله.

لجميعهم دواوين مطبوعة أو مخطوطة. وفي كتابنا المخطوط «الحركة الشعرية في معركة في نصف قرن» دراسة موسعة ودقيقة لكل شاعر تتناول نبذة عن حياته ونتاجه الشعري.

- **الشاعر خليل عجمي:** لقب بشاعر المقاومة وأصدر باكورته

الأولى «رقصة البنادق» عام ١٩٩٠م فكان أصدق ما قيل في المقاومة وكان أكثر المقاومين مقاومة، فالمنبر له ساعة المواجهة يلهب الجماهير حماسة فيقول:

الله أكبر قم يا شعب معركة ... إلى الجهاد فهذا اليوم للنوب
جاؤوا بجيش له الهيجاء قد ذعرت ... مثلث الشكل والتخطيط والشِعب
براً وجواً كأن الأرض تحتهم ... صارت على الفور أكواماً من الترب
من كان ينظر للآلات يحسبها ... وحوش (تنين) قد صارت على الدرب
لكننا رغم هذا كله فلقد ... قلنا لمعركة التحرير إصطخبي
فشمر الكل حباً عن سواعدهم ... لخوض معركة في دحر مغتصب
من كل حد وصوب للوغى انطلقت ... كأنها من وحوش الغاب في طرب
كل الجماهير للميدان قد زحفت ... إما الشهادة إما النصر لم تهب
ها قد رمينا على الأعداء أنفسنا ... وأصبح الليل بركانا من الغضب

القصيدة من سبعين بيتاً القاها الشاعر في المهرجان الكبير الذي أقيم في ذكرى شهيد معركة الأول محمود خليل في ٢٤ شباط ١٩٨٤م. وأصدر ديوانه الثاني «غزل إلى الأزل» في التسعينات.

ـ **الشاعر محمد موسى سعد**: إن ما يقال في الشاعر خليل عجمي هو نفسه يقال في الشاعر محمد موسى سعد فهما يشكلان انسجاماً متكاملاً لمرحلة مهمة من تاريخ معركة المقاوم، كان صوتهما أقوى من طلقات المدافع وازيز الرصاص وفوق هدير الطائرات.

محمد سعد المتميز بعمق الرؤيا وقوة السبك وكثرة المفردات

المتمكن شعراً ولغة، أرّخ لنا بشعره مواقف معركة البطولية في وجه الاحتلال الإسرائيلي. كما كان مقاوماً من نوع آخر ومن موقع آخر، له المنبر حيث صوته يصل إلى كل الأسماع وصداه، يرعب فلول الأعداء، يغلب الصنعة على العفوية:

دقّ النفير إلى الأبطال يعلمهم ... أن العدو على الأطراف ينتشر
بطائرات وآلاف مؤلفة ... من الجنود ومع آلاتهم عبروا
لأن معركة الشماء ترهبهم ... قد أكثروا من عديد الحقد واستتروا
هبوا إلى الحرب لم تهدأ لهم نفس ... ولا تلكأ فتيان ولا اعتذروا
تخضبت مهج الأبطال عبر دجى ... تخاله بوميض النار ينهمر
أرض تجذر في أعماقها لهب ... فلا تطيق صلالات ولا تذر
فلليالي براكين تؤججها ... وللنجوم على استارها درر
وإن خيبر لو عادت مجددة ... فإن قبضة شعبي ملؤها الظفر

- الشاعر عبدالأمير سليمان: هو أبو الشعراء في معركة، أسبقهم إلى الشعر وأقدرهم على المنابر يرتجل أكثر من نصف القصيدة ومعروف بشاعر المناسبات ويكتب في الحال. يسمع بأذنه فتدمع عيناه فيجري قلمه هذا هو عبدالأمير شاعر أينما وقف.

وها هو يؤذن بالجماهير في ٢٤ شباط ١٩٨٤م في قلب المواجهة:

حي الجهاد وحيّ صدر لبنانا ... فالصدر من سجنه المجهول نادانا
حيّ مواكب موسى في طلائعه ... واهد السلام إليه أينما كانا

حيّ نباهة بري في مواقفه | والمجد ما كان إلا من ضحايانا
الله أكبر إن الحق رائدنا | الله أكبر إن الصدر نادانا
نادى فلبت نداء الصدر معركة | وحولت كل ساحٍ فيه ميدانا
الله أكبر هذا يوم معركة | يوماً جعلناه للأعمال ميزاناً
جاء العدو بآلات محصنة | في ظلمة الليل حيث الليل يغشانا
جاءوا بقصف وانزال وغطرسة | يستخدمون من الأرهاب ألوانا
الله أكبر هزت كل معركة | وايقظت من نداء الحق جيرانا
هبت شيوخ وأطفال محاصرة | ونسوة صرن بالهيجاء فرسانا
كانت أبابيلنا ترمي حجارتها | رملاً وصخراً وكداناً وصواناً
والزيت أضحى لهيباً من معاملنا | والغاز رد على الغازين نيرانا

ومن قصيدة يرثي بها الشهيدين محمود خليل وحسين سعد.

هذي دماؤك يا محمود قد طلعت | شمساً وعطراً وانداء ووجدانا
ما زلت تركض في الساحات منطلقاً | ما زال صوتك بالآذان رنانا
هذي دماء حسين أصبحت مطراً | وأنبتت أرضها خوخاً ورمانا
هذي حجارته للجنة انطلقت | وشيدت في جنان الخلد بنيانا

ومن شعره في مهرجان الشعر العاملي الأول في معركة.

وثورة الشعب لا يرقى الجهاد بها | إلا بقافلة لله تجتهد
كانت وما زالت الأيام أعهدة | على بطولة شعب هاهنا صمدوا

في وجه غطرسة جاءت مؤللة — في البر والجو قوات لهم عدد
مـزوديـن بـارتـال مـدجـجـة — تكاد من زحفها الأجواء تنعقد
لا ترهبنك بعد اليوم طائرة — ولا تـخـافـن عـامـودية تـرد
قد أثبت الشعب للتاريخ مقدرة — على التصدي بإيمان له سند
كـرّ وفـرّ وإصـرار وتـضـحـيـة — وقـاذفـات وتـكـبـيـر ومـعـتـقـد

القصيدة طويلة.

ومن قصيدة

آت مع الفجر كالبركان محتدم — ولـلأهـازيـج فـي أجـوائـه صـدد
إليكم يا طواغيت البلاد ويا — أرباب منظومة سفاحة يفد
في صوته غضب في قلبه همم — في وقعه أثر من طيفه الرعد
كالسيل مندفع بالله معتصم — كالبدر هامته بالنور يتقد

- **الشاعر يوسف عبد الله جرادي**: بدأ بكتابة الشعر مبكراً، ونشر في صحف ومجلات دولة الإمارات العربية المتحدة كثيراً من قصائده بين أعوام ١٩٧٦م و ١٩٨٢م. دق أبواب الشعر كله: الوجداني والسياسي والمهجري العاطفي.

ومن قصيدة يرثي بها...

أين يا قلب بعدها من لقاء — وحديث ورحلة في الغروب
قد أتاها الردى وسار بعيداً — خلّف القلب هائماً كالغريب
وتـلاشـت كـوردة بـنـداهـا — حطمتها ريح الخريف الغضوب

سحرها لم يزل يجوب بحزنٍ باحثاً عن عبيرها المسكوب
كم أنادي فظل صوتي سراباً وخيالي مشتتاً في هروبي
قد أتى الموت في غيابي إليها مزق الصدر باللظى واللهيب
لست أدري بأي قبر تراها أو دعت فيه بعد عامي حروب
كم تلقيت من رسائل باتت تغرق القلب في الأسى والنحيب
هكذا عدت ضائعاً في حياتي بعدما ضاع في التراب حبيبي

القصيدة طويلة.

ومن قصيدة. على لسان جبل عامل في قانا بعد المجزرة.

وجهي الذي تراه.
وجهي...
تعفر في تراب الطف
في وضح النهار
وجهي كما وجه الحسين بكربلا
والكل يشهر سيفه... ليلاً
على القمر المدمى
في العراء.
والوجه يشتد الضياء به
وينبلج الصباح.

ومن قصيدة في ١٥/١١/١٩٨٤ أيام المواجهة مع العدو

الصهيوني في معركة.

لن نستكين... لن نستكين

حتى نؤجج تحت أقدام

الغزاة الطامعين

ناراً...

يطال لهيباً المتآمرين

لن نستريح... لن نستريح

لا شيء غير القنبلة

لا شيء غير الدم

يغسل ما استبيح

ومن قصيدة قدم بها الصحافية نجلاء أبو جهجه في الحركة الثقافية عند توقيعها لكتابها أسعاف المنصوري في ١٩٩٩/٨/٢١.

أغمضت العين قليلاً

ومددت يدي في مخلاة

جواد عربي أصهب

أخرجت حروف العرب الأولى

في جفر غزال.

حدقت ملياً

لم أجد النقطة فيها

فتنبهت لبداية عهد
الدفعة فينا
وتنبهت لضياع الاسم الأعظم
رمز الكلمات

- **الشاعر علي محمود حجازي**: شاعر بليغ يتميز بحافظة عجيبة، خبير بأوزان الشعر العربي، عرف بمتفوق لبنان في الثمانينات من خلال تلفزيون L.B.C.

كتب للمقاومة منذ انطلاقتها ورثى شهداءها، وأخذ الصدر حيزاً كبيراً في شعره، ينتحي فلسفة خاصة به حاول جاهداً أن يغرسها في الناس إلاّ أنه كان يعود حاسراً. للشاعر ديوان مخطوط وشعره معروف في أوساط الناس في معركة وخارجها من خلال مشاركته في المناسبات والمهرجانات. ومن قصيدة له ألقاها في المهرجان الشعري العاملي المقاوم في بلدة معركة في الذكرى السنوية الخامسة لاستشهاد القائدين محمد سعد وخليل جرادي: في ٣/ ٣/ ١٩٨٩م.

يا صاحب الدار لا لوم ولا عذل   لا تبطئن فهذا خطبنا الجلل
يا صاحب الدار قد سدت مسالكنا   وزادنا جزعاً فقد الألى رحلوا
لا تبطئن ففي انفاسنا رمق   عليه راحت عوادي الدهر تقتتل
عج بالمطي على ساحات معركة   واقر السلام فصحبي هاهنا قتلوا
وقلّب الطرف في أرجاء عاملة   واندب على تربها أن الثرى خضل
في مشرق الأرض في لبنان طائفة   ابناؤها من تراب الطف قد جبلوا
إليك أبصارهم ما غبت شاخصة   والروح ما انتقلت عيناك تنتقل

القصيدة طويلة

ومن قصيدة يخاطب فيها الإمام الصدر.

يا يوسف العصر يا صدّيق أمتنا	من كحل عينيك هذا الكون يكتحل
طال انتظارك فاقدم إن امتنا	لله ضارعة لله تبتهل
هذا جنوبك مشتاق لعاشقه	عز الفراق وأنت العاشق الغزل
هذي مرابعك الخضراء قد ظمئت	للقطر للطل أين العارض الهطل

القصيدة طويلة وهي من أمهات القصائد ومن الأدب الرفيع.

- **الشاعر وهيب عجمي**: وإن بدأ متأخراً إلا انه سرعان ما نضجت تجربته وفاق أقرانه نتاجاً، فاتسعت دائرته على مساحة المناطق وخرج لمهرجانات في سوريا والأردن وغيرها. لم يكتب الشعر العاطفي وهو موضع تساؤل. كتب للمقاومة في لبنان وفلسطين وكتب للفقراء والكادحين، وأصدر ثلاثة دواوين في التسعينات وذاع صيته في الأول «أنتم العقلاء وأنا المجنون» إلى جانب الديوانين الآخرين «البركان» و«القارعة».

وها هو يمد يده إلى فلسطين يقبض على حجر من أرض الجنوب، ومن معركة بالذات ويفجره بركاناً يرمي حمماً فوق رؤوس الصهاينة فيقول:

أدخل حبات ترابي

تتنفسني أزهار البرّ

أريجاً...

ولقاحاً...

تحملني الريح جنوباً

حب يحملني....

قد عشش..

في كريات دمي/ أو نحلة كرمي/ ونزيف الثوار/ جنوباً...
فجنوباً/ حتى القدس المحتلة (القصيدة طويلة).

ومن قصيدة يخاطب بلدته معركة.

يا أم القرى السبع ويا أم الجنوب...

طوبى لمن التف بحجابك الأزرق.

والتحس ما يتيسر من زيت زيتونك

وارتشف من مياهك

ليصبح غيمة خير تمطر الحب

طوبى لحجارتك المستنفرة

التي تقص للعالم...

حكاية شعب لا يقهر

باحت لك السماء بأسرارها

فصعدت منك إليها كواكب

وريحنا الوطن

يا أم الصدر

ها هي الشجرة كبرت

هذه شجرة تنضج فيها ثمرة

فتنسف دبابة محتل...

وتمتد في الأرض لتصل آذار...

وآذار قادم بأجمل الهدايا. (القصيدة طويلة).

- **الشاعر حيدر عجمي**: أصدر ديوانين في التسعينات استوحى قصائدهما من أيام المواجهة مع العدو الصهيوني في شوارع معركة ونواحيها.

وهما:

١- زهرة الحرية

٢- أضواء النفق.

ومن شعره.

ذكراك جسران قد مدّا بأنفسهم في القاسمية حتى يعبر البشر

ذكراك رقّصت الدنيا وأنجمها في ليلة زينتها الأنجم الزهر

ومن شعره أيضاً

بناها رجال من دماء بناؤها ربيعاً وصيفاً ما خلينا ديارها

قلاع من الماضي وقفنا ببابها نوّد دخولها فيأبى سوارها

- **الشاعر نوح أحمد حسن**: له ديوان مخطوط جلّه يتحدث عن المواجهات أيام الاحتلال الإسرائيلي، لم يظهر بشعره إلا في المناسبات.

- **الشاعر العبد عبدالله**: بدأ بكتابة الشعر الزجلي (العامي) وأجاد

فيه، ثم انتقل في أواخر الثمانينات لكتابة الشعر العربي المقفى، وطرق كل أبوابه في الشعر الغزلي والهجائي والسياسي والاجتماعي والغنائي.

له ديوانان: أحدهما يشتمل على قصائد للمقاومة ويعده للطباعة والآخر مخطوط يحكي فيه تجربته العاطفية.

شارك في برنامج الشعر الارتجالي المسمى «المميزون» عبر شاشة تلفزيون .L.B.C ويشارك في مهرجانات شعرية ومناسبات محلية. ومن أشعاره في المقاومة في معركة:

وبالدماء كتبنا مجد أمتنا   وبالشهيد أعدنا خفقة العلم

سل في شباط زيوتاً أمطرت شهباً   من وهجها الأرض بركاناً من الحمم

وله من قصيدة الربيع.

فكأنما الورقاء أرقها النوى   فشدت على فنن الفراق نواحا

ومن قصيدة يقرض بها الشاعر أحمد حسن الأمين.

فلست أعجب أن حلقت مرتفعاً   أبوك من قبل متن المجد قد ركبا

ـ **الشاعر مصطفى (حمد) خليل**: تعرفه المنابر في المناسبات في معركة وخارجها، له ديوان مخطوط. ومن قصيدة بعثها للشاعر أحمد حسن الأمين بعد أن أهداه ديوانه زهور الياسمين:

فاحت زهور الياسمين   من دوحة الفذ الأمين

فاحت أريجاً طيباً   بالشعر يعبق بالحنين

أنفاسها قد عطرت   أنفاس كل المعجبين

في «أنت» والشمس التي   أذكت لهيب العاشقين

لـــمـــيـــاء مـــا كـــانـــت لـــه ولـــشـــعـــره إلا الـــمـــعـــيـــن
لـــمـــيـــاؤه فـــي شـــعـــره شـــغـــلـــت عـــقـــول الـــقـــارئـــيـــن

القصيدة طويلة...

كتاب وأدباء

الدكتور هاني رومية: صاحب كتابين: الأول علي مروة (أعده لشَهادة الماجستير في اللغة العربية).

والثاني محمد عبدالسلام كفافي ١٩٨١م أعده لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

- **الدكتور حسين زيدان**: صاحب كتابين هما:

السيد حسن محمود الأمين أعده لشهادة الماجستير في اللغة العربية والثاني «الاتجاهات الشعرية في جبل عامل في قرنين ١٧٠٠م - ١٩٠٠م» أعده لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

- **الأستاذ حسين أبو الحسن**: له عدد من المؤلفات المخطوطة وواحد منها مطبوع هو «أزمة بعض الحركات التقدمية في الوطن العربي» - المطبعة العصرية، صيدا.

- **الأستاذ محمد علي سعد**: له كتاب واحد «الأحوص» أعده لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية.

- **الأستاذ محمد حسن روميه**: أصدر كتابين من سلسلة القادة الشهداء هما: كتاب الشهيد القائد خليل جرادي وكتاب الشهيد القائد محمد سعد في مطلع التسعينات.

المراجع

- ابن اياس، **بدائع الزهور**، طبع اسطنبول.
- ابن طولون، رسائل ابن طولون التاريخية.
- علي الزين، **للبحث عن تاريخنا في لبنان**، طبعة أولى ١٩٧٣، لم يذكر تاريخ ومكان الطباعة.
- أبي شقرا، **الحركات في لبنان**.
- الصفدي، **تاريخ الصفدي**.
- ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**.
- المقريزي، **السلوك**.
- طه ثلجي الطراونة، **مملكة صفد في عهد المماليك**.
- أنيس فريحة، **معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها**، ط ٢، مكتبة لبنان، ١٩٧٢.
- بطرس مرهج، **اعرف لبنان**، ط ٢، ١٩٨٥؛ (موسوعة القرى والمدن اللبنانية.
- يوسف ديب، **شهادات الهزيمة: اسرائيل في لبنان**، (بيروت: المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والإعلام، ١٩٨٩).
- روبرت فيسك، **ويلات حرب**، (بيروت، دار المطبوعات)،
- كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، (بيروت: دار النهار، ١٩٦٧).
- شبيب الأسعد، **العقد المنضد**، طبعة ثانية، ١٩٩٠م.

- محسن الأمين، **خطط جبل عامل**، جزء أول، طبعة أولى ١٩٦١، مطبعة الإنصاف . بيروت.
- **أعيان الشيعة**، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٣٦، الطبعة الأولى ومطبعة الأنصاف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦١.
- محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، منشورات دار متن اللغة بيروت لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.
- وجيه كوثراني، **الاتجاهات الاجتماعية. السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي** ١٨٦٠ـ ١٩٢٠، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢.
- أحمد عارف الزين؛ **خطب جلل**، ١٩٤٩.
- أحمد سعد، (أبو عصام)، **هجرة وهجير**، طبعة أولى ١٩٥٢.
- أحمد حسن الأمين، **السراج المنطفىء**، أصدقاء الحرف، طبعة أولى، بيروت ١٩٩٣.
- أسعد سعد، **انتصار الدم**، طبعة أولى، ١٩٨٨.
- **حصانة الشعر وحضارة الفكر**، (بيروت: دار بلال، ١٩٩٥).
- حسين أبو الحسن، **أزمة بعض الحركات التقدمية في الوطن العربي**، المطبعة العصرية، صيدا، لم يذكر تاريخ الطباعة والطبعة.
- محمد سعد، **اشتريت شمس بلادي**، طبعة أولى ١٩٩٢.
- خليل عجمي، **رقصة البنادق**، دار الفنون، طبعة أولى ١٩٩١.
- **غزل إلى الأزل**، طبعة أولى ١٩٩٦.
- موسى الصدر، **منبر ومحراب**، ١٩٨١، دار الأرقم.
- الحر العاملي، **أمل الأمل**، ج، طبعة ٢، ١٩٧١.
- حيدر الشهابي، **تاريخ حيدر الشهابي**، م ٢، ط ١٩٦٥.
- لبنان ١٩٤٩ـ ١٩٨٥: **الأعتداءات الإسرائيلية. يوميات ووثائق ومواقف**، المركز العربي للمعلومات بالتعاون مع مجلس الجنوب.

- مكتبة سيد الشهداء معركة (أوراق خاصة ووثائق) من الأرشيف.
- جريدة السفير ١٩٨٥.
- جريدة السفير ١٩٩٠.
- العواصف، ١٩٨٩- ١٩٩٠- ١٩٩١- ٩٢- ٩٣- ٩٤- ٩٥.
- الحوادث: ١٩٧٧. ٣٠/١٠.

مقابلات

- السيد محمود جواد خليل (معمر من معركة)
- الحاج موسى عبدو طراد (معمر من معركة)
- أبو علي العتريسي (معمر من معركة)
- الحاج يوسف حسين حجازي (معمر من معركة)
- الحاج علي فرج (معمر من معركة)
- الحاج أحمد مصطفى سليمان (معمر من معركة)
- السيد محمد إبراهيم خليل (معمر من معركة)
- المحامي محمد علي حسان
- الأستاذ منير سعد
- السيد حسن سليم عبدالله
- السيد حسن أحمد ذيب
- السيد أحمد بلاغي (مذكرات ودفتر محاضر جلسات حركة القوميين العرب في معركة).
- الحاج جواد نجم (معمر من معركة).
- محمود عبدالله جرادي (معمر من معركة)
- الحاج ابراهيم عيد (معمر من معركة)

«نجمة الصبح»، «بوابة التحرير»، «أم القرى»،

تعددت الأسماء والبلدة واحدة: «معركة»

القرية العاملية المقاومة التي تكرر فيها التاريخ:

الصليبيون انكسروا على أرضها، الإسرائيليون اندحروا على أبوابها الى لحظة الغدر، وهي التي خبأت الثوار في ثنايا ليلها، وأطلقت التحدي لـ«قبضة الحديد» الإسرائيلية، وكانت رأس الحربة لعيون القرى العاملية: طورا، بدياس، برج رحال، العباسية، يانوح، طير دبا، التي قاومت المخرز الإسرائيلي وانتصرت ..لينتصر معها لبنان وقضية الإنسان في كل مكان

الناشر

